

عُمانُ عبرِ التاريخ

تأليف

الشيخ الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السيابي

عُمانُ عبرِ التاريخ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سَاطِحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَامِرِ بْنِ السَّيَّاحِي

الجزء الأول

الطبعة الخامسة

١٤٢١م - ٢٠٠١م



مؤلف الكتاب

(ترجمة مؤلف الكتاب)

تمهيد

بقلم : سليمان خلف الخروصي

اهتم العرب بعلم التاريخ اهتماما بالغاً ، واعتنوا به عناية فائقة ، وعلى أيدي علماء التاريخ ارتقى هذا العلم الانساني في سرعة مرموقة ومكانة بارزة ، ففتحت أبوابه ، وتنوعت طرائفه ، وتعددت آفاقه وصارت له أهدافه السلمية ومنهجه العلمي الذي تميز به عن بقية العلوم ، فلولا التاريخ لجهلت الأنساب ، ونسبت الأحساب .

وعلى مر التاريخ يبرز علماء مؤرخون ومن أشهرهم الواقدي ، ومحمد ابن اسحاق والمدائني ، وابن الأثير والكلبي ، وابن قتيبة واليعقوبي ، والطبري ، وابن خلدون ، وابن خلكان .

وكان دور عثمان - قديماً وحديثاً - دوراً بارزاً . يذكر لعثمان مدى الأجيال ، وفي هذا العلم بالذات ، نجد لعثمان علماء مؤرخين طبقت شهرتهم الآفاق أذكر منهم الشيخ العلامة أبا سفيان محبوب بن الرحيل والشيخ العلامة المؤرخ سرحان بن سعيد السرخني الأزكوي على المشهور ، والامبو على من بنى سعد الطائيين نسبا على الصحيح مؤلف كتاب كشف الغمة ، والعلامة المؤرخ ابن رزيق النخلى مؤلف كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، وكتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عثمان الذين طبعتهما وزارة التراث القومي والثقافة والشيخ

العلامة سليمان بن بلعرب بن عامر النزوى مؤلف كتاب المؤتمن فى ذكر مناقب نزار واليمن • والشيخ العلامة محمد بن خميس السيفى النزوى والشيخ العلامة عامر بن سليمان الريامى الأزكوى والشيخ العلامة الجليل نور الدين السالمى وغيرهم كثير • ويبرز علامتنا المترجم له مؤلف هذا الكتاب ، الذى هو بين أيدينا ، كفارس من فرسان هذه الحلبة ، أو رائد من رواد علم التاريخ •

« من هو مؤلف الكتاب »

فى الواقع هو غنى عن التعريف ، فهو أجل من أن يذكر ، وشهرته العلمية الواسعة غير منكورة وحياته العملية الثمينة غير مجهولة ، ولكن من خلال هذه الأسطر القليلة نتعرف على بعض الجوانب المهمة لنقدمها للقارىء الكريم ، عن هذا العلامة الجليل الكبير •

« اسمه ونسبه »

هو الشيخ العلامة الجليل سالم بن حمود بن شامس بن خميس بن على بن عبيد السيابى ومن المشهور أن قبيلة آل المسيب العمانية ينتمى نسبها الى القائد البطل شهاب بن النويرة التغلبى المعلم المشهور « بذى قار » الواقعة المشهورة فى أيام العرب فى الجاهلية ، فمسيب وحبس القبيلة الشهيرة المعروفة بالشرقية فى عمان إخوان ينتميان الى شهاب بن النويرة المذكورة آنفا •

« مولده ونشأته »

ولد العلامة المترجم له بقرية « غلا » من أعمال بوشر في سنة ١٣٢٦ هجرية الموافق ١٩٠٨م وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وذلك من فرط ذكائه وكثرة حفظه ودرس تلقين الصبيان وملحة الاعراب للخريزى والفية ابن مالك في سن مبكر بنفسه بدون أن يتلمذ على شيخ ، بل ثقف نفسه بنفسه ثم توجه الى سمائل الفيحاء التي استوطنها فيما بعد وكانت آنذاك تترخر بالعلماء الأكابر فدرس على الشيخ العلامة خلفان بن جميل السيايى أصول الدين والفقه وأصول الفقه والفرائض ولازمه ليلا ونهارا كما لازم الشيخ العلامة الشهير أبا عبيد حمد بن عبيد السليمى وأخذ منه أيضا علما وافرا . كما أشبع طموحه العلمى بمجالسته للامام الرضى محمد بن عبد الله الخليلى ومذاكرته لكل من المشايخ العلماء سعيد بن ناصر الكندى ومحمد بن سالم الرقيشى وعبد الله بن عامر العزرى ، فقد أذن لكل مواهبه أن تنتشط وتتألق ومازال يدأب فى التحصيل وجمع العلم ، حتى صار فحلا من فحول العلماء الذى يشار اليهم بالبنان . وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره .

« صفاته وبعض من أخلاقه »

يعتبر اليوم من أكبر علماء عثمان وأجلهم ، فهو من فحول العلماء المرموقين مكانة وصدارة فى هذا العهد المشرق الزاهر وبالتالى هو سمح جواد حسن الاخلاق شريف النفس نقى السريرة ، آية فى الحفظ والذكاء والفهم ، ومن أنشط الناس للقراءة والكتابة - فلا يرى

الا قارئاً أو كاتباً . يحب مكارم الأخلاق ويمشق المحامد منذ صباه ، علامة غيور من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم .

وهو فيصل في الأحكام ، ثمهم شجاع ، أبى الضيم ، ماضى العزيمة صعب الشكيمة ، منيع الجانب ألف مألوف محبوب عند الناس ، يجب الوحدة وجمع الشمل ، ومن الدعاة الى التمسك بكتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم .

وصفه الامام محمد بن عبد الله الخليلي ، بأنه ممن تسد به الثغور ويوجه في مهمات الأمور ، كما وصفه الشيخ الفقيه محمد بن راشد ابن عزيز الخصيبى في قصيدته المسماة سموط الجمان في أسماء شعراء عَمَّان فقال :

وفقيه مؤرخ وهو علامة هذا الزمان ذو المكرمات .

السيابى سالم ابن حمود
فأراجيزه من الرائعات

سيما نظمه المسمى بارشاد الأنا
م المبين الخافيات

« أعماله »

لما تالقت نجم العلامة المترجم له ، وعلا ذكره ، استدعاه الشيخ الجليل على بن عبد الله الخليلي والى محافظة بوشر ، ليكون مدرسا

لأولاده ، وذلك في عام ١٣٥٠ هـ ، فقام بأمر التدريس خير قيام وتآدب عليه حوالى « ٤٠ طالباً » ولما أن توفى الشيخ العلامة سعيد بن ناصر الكندى قاضى محافظة بوشر ومفتيها رضى الله عنه • عيّن قاضياً في بوشر وذلك في سنة ١٣٥٢ هـ وبقي بها قاضياً حتى سنة ١٣٥٩ هـ فانفصل من العمل لظروف خاصة ورجع الى سماء التي استوطنها • وفي سنة ١٣٦٠ هـ عين والياً وقاضياً على نخل ومتعلقاتها ، فتحمل المسؤولية وهو أهل لها وكان بها الحاكم القدير الادارى ، والقاضى المنصف الحكيم • ثم في سنة ١٣٦٩ هـ عيّن والياً الى جعلان بنى بحسن فبقى هناك ، والياً وقاضياً ثم انفصل عن العمل لأسباب دعت ذلك ، ثم استدعاه السلطان سعيد بن تيمور فعينه رئيساً لمحكمة الاستئناف وبقي بها مدة ثم ولاه محافظة السيب فأقام بها والياً حوالى عام واحد ثم نقله السلطان سعيد الى الكامل والواقى من جعلان ليكون والياً وقاضياً ، ثم استدعاه السلطان فعينه قاضياً في المحكمة الشرعية بالعاصمة ، وبقي منذ ذلك اليوم قاضياً ؟ بها •

ولما أشرق فجر الانتفاضة المباركة أو الحركة التصحيحية المجيدة بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم • حفظه الله كان هو في مقدمة القضاة بالمحكمة الشرعية بالعاصمة مسقط ومن أبرز العلماء المرموقين لحكومة صاحب الجلالة المعظم • ثم في أول هذا العام ١٩٨٢ م • نقلت خدماته من وزارة العدل الى وزارة التراث القومى والثقافة ، ليتفرغ فضيلته في تحقيق الكتب العلمية والتاريخية ، التى تطبعها وزارة التراث القومى والثقافة لما له من باع طويل وسعه وادراك في كل الفنون •

« مؤلفاته »

ان مؤلفاته الكثيرة التي تزيد على (٥٠) مؤلفا في كل الفنون تدل على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه • وبالتالى تدل على خلق عظيم ونفس عالية وهمة سامية ، بالاضافة الى أنه شاعر كبير ، وأديب بارع ، فهو في الأدب والشعر قد ضرب بسهم بعيد الرمى ، واليك أيها القارىء الكريم أسماء أهم مؤلفاته :

- ١ - إرشاد الانام فى الأديان والأحكام نظم فى مائة وعشرين ألف بيت ما يقارب ١٠ مجلدات •
- ٢ - العقود المفصلة فى المسائل الموصلة - مجلدان - (٣٠) ألف بيت •
- ٣ - العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة فى المذهب الإباضى وأصوله •
- ٤ - مطالع الأقطار على مقاصد الأبرار شرح رجز للشيوخ العلامة أحمد ابن سعيد الخليلي • فى الوصايا مجلد واحد •
- ٥ - إعانة الحكام بقواعد الأحكام نظم الورد البسام •
- ٦ - جوهر التاريخ المسمى فى سيرة الرسول الأعظم ﷺ •
- ٧ - معالم الاسلام فى الأديان والأحكام - قصائد مطولات حوالى ٢٠ ألف بيت •
- ٨ - العنوان فى تاريخ عثمان - مطبوع •
- ٩ - الحقيقة والمجاز فى تاريخ الأباضية باليمن والحجاز - مطبوع •

- ١٠- الاسعاف في التاريخ العثماني مطبوع •
 - ١١- ازالة الوعشاء في اتباع ابي الشعثاء - مطبوع •
 - ١٢- طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الاباضى - مطبوع
 - ١٣- عثمان عبر التاريخ - الكتاب الذى بين ايدينا •
 - ١٤- أعلى التحف فى أصول الشرف •
 - ١٥- أصفى الحياض فى مذهب ابن أباض •
 - ١٦- هدى الفاروق •
 - ١٧- فصل الخطاب فى السؤال والجواب •
 - ١٨- كتاب فى السلوك •
 - ١٩- العقود المنظمة فى الخيل المسومة - مطبوع •
- اكتفى بذكر هذه المؤلفات القيمة الجليلة ، والله أسأل أن يمد
الشيخ العلامة المؤلف بصحة وعافية ، ويطيئ فى عمره ،
وختاما لا يفوتنى أن أسجل آيات الشكر والثناء لصاحب السمو
السيد فيصل بن على بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومى والثقافة
على ما بذله ويبدله من جهود جبارة - على ضوء التوجيهات السامية
لاستخراج هذه الكنوز الثمينة وطبعها ونشرها فى أغلب أنحاء
المعمورة والله ولى التوفيق ...

حرر : ٣ من رجب سنة ١٤٠٢ هـ

٢٧ ابريل سنة ١٩٨٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل للتاريخ مستودع أخبار الأمم على اختلاف أجناسها ، وجعل أهل أمناءه فى أمته لحفظ حوادثها وأحكامها • مع تباين مقاصدها وتباعد أهراسها ، غلغل للآتين أخبار الماضين ، وأعرب للمقبلين عن حوادث الذاهبين ، وندد بأهل الباطل فى مجمع الضالدين ، وصرح بحق أهل الاستقامة فى المسلمين ، وكشف القناع عن مساعى البغاة فى المؤمنين من الأولين على توالى الأزمان الى يوم الدين •

أما بعد • فهذا تاريخ عمان الذى وفق الله له وأعان ، جمعناه من الكتب المتبشرة ، والرسائل المطولة والمختصرة ، وألفناه بعناء لا يقاس عليه ، وبذلنا الجهد لإدراكه ، وهذا ما حصلنا عليه ، وان كان أكثره كمنقاء مغرب ، لأنه غالباً لم يدون ، وما دون منه لم ينشر ، ولم يتبين ، ولكن بعض ما وجدناه ربما أغنى عما فقدناه ، ومن لم ينفعه قليل الحكمة ضره كثيراً ، ومن أين لنا أن ندرك المفقود من تاريخ عمان ، وقد لمبت به أيدي الحدثن ، ومزقتة طيلة الأزمان ، وهذا الجزء الأول منه يشتمل على مقدمة وخمس حلقات •

المقدمة : فى علم التاريخ وفوائده وحكمته وأصوله التى يقوم عنها •

الحلقة الأولى : فى التعريف بعمان قديماً وحديثاً •

الحلقة الثانية : فى بيان الأمم التى قطنت عمان من الأمم التى مرت بها العصور الخالية ، والأيام الماضية ، من الأمم البائدة والباقية •

الحلقة الثالثة : في نزول مالك بن فهم بعثمان وحروبه للفرس بها
الى انتهاء أمرهم •

الحلقة الرابعة : في بدء الإسلام بعمان الى إنقضاء أيام الخلفاء
الأربعة •

الحلقة الخامسة : في فضائل أهل عمان ومشاهيرهم في صدر الإسلام
وبه يتم الجزء الأول ان شاء الله من تاريخ عمان •

مقدمة

قال الامام السالمى رحمه الله تعالى : « لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بالصالحين ، ويرشد الى طريقه المتقين ، لأن فيه ذكر من مضى من صالح وطالح ، فاذا سمع العاقل اخبار الصالحين اشتاقت نفسه أن يكون من جملتهم ، واذا سمع أخبار المالحين أشفقت نفسه أن يقتفى آثارهم ، أى فيعد من أنصارهم ، فتراه بذلك يقتفى آثار من صلح ، ويتجنب أحوال من طلع . أ ه » .

فترى هذا العالم الجليل يجعل علم التاريخ مما يعين على لاقتداء بالصالحين . وذلك من أفضل ما يرشد الانسان الى الأعمال الصالحات ، ولا شك أن ذكر أخبار الصالحين يصقل قلوب المؤمنين طبعاً ، وأصدق داعية لهم الى الله قطعاً ، وكما أن مجالسة الصالحين تقود الانسان العاقل الى خيرى الدنيا والآخرة ، فكذلك ذكر أخبار من صلح ، وكيف لا والتاريخ سر من أسرار العلوم الكونية ، وضع الله أصوله فى كتابه العزيز وأبرزه فيه بأشبهه من سلاسل الابريز ، قال الله عز وجل : (أو لم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) . وقال عز وعلا : (فاقصص القصص) الآية فى أمثالها .

وقد شرح الله فى كتابه العزيز تاريخ الحوادث فى الأمم الماضية ، والأيام الخالية ، وأيد ذلك الرسول ﷺ بقوله : ولدت زمن الملك العادل . ولا تنس عام الفيل وما وقع فيه من أمر عظيم وخطب جليل ، وقد أجمع العلماء الأجلاء على شرفه وفضله ، وبينوا مقامه بين العلوم الاسلامية . واذا هو حافظ الأمة ، وخازن سرها فى كل جيل ، فإنه حفظ بعث النبيين ورسالات المرسلين ، والى من أرسلوا اليه ، وبماذا أرسلوا . وأخبرنا عن الفراعنة والأكاسرة . والتبابعة والقياصرة ، ودون لنا أعمال

الامم الظافرة والخاسرة ، وعرفنا سالف الأمم قبلنا ، ورأينا فيها الصالح والپالاح ، وأدركنا منها المؤمنين ومقاصد المتقين ، وبنى المضلين وفساد الحائرين ، وسوء أعمال المجرمين ، واستفدنا من سياسات المصلحين ، وأفعال المتقين ، ومن اجتهد وجاهد في الله لارغام الكافرين ، ومن جد لارشاد الأمم الى سبل الخير من المخلصين ، فكان لهم في عالم الحياة الذكر الحسن والفضل المبين ، وأخبرنا عن نام على فراشه راضيا بمعاشه ، ومن عمل بما فرض عليه ، ومتى كلف واقترض ، وعلى من أوجب فقام ، ومن صد فربص ، مراغما لمن قام بواجبه ونهض ، وعلمنا الأئمة وما مثوابه ومن قام معهم فأقامهم ومن قام عليهم فكان ضدهم ، ومن دعا الى الحق فاضطهد وشنق ، ومن تجرد لله ناصر لدينه ، ومن دعا لاهياء الشريعة بواضح الحق وصحيح براهينه . ولا يخفى ما في ذلك من حكمة ، ولا يجهل ما يثمره التاريخ للعقول القوية من نشاط ، وما تتحرك به القلوب الضعيفة من اغتباط ، وما يستحق به الثناء على الفعل الجميل ، وما يلزم به الذم والتقييح لأهل التعطيل .

فالتاريخ داعية الأمم الآتية لسلوك طريق الأجيال الماضية ، فهو المعبر عما سلف من عز وشرف لأهل الوفاء ، والمخبر عن خلا من أهل الجفاء ، فيختار المخلص من مسالك أولئك المنهج الصحيح ، ويصطب الى قصده لذلك كل عمل مليح ، ويتبع في سيره وسراه كل أمر صحيح ، فالتاريخ على الاجمال جمال الرجال الكمل ، وكمال الأبطال في كل الملل ، والحاث على الأعمال الفاضلة لكل شريف ذى نبل ، وهو الترجمان المعبر عن سالف الدول ، طالما حدث التاريخ عن الأئمة الصالحين ، وبين من أعمال الحق في العالمين ، وكم أنبأ عن أعمال الجورة المتعطرسين ، ليتجنب أفعالهم كل كريم مصلح في الدين .

وهل نعلم نحن لولا التاريخ ما فعل أئمتنا الأولون ، وما عمله أهل الحق من العلماء الأكرمين ، وهم مجتهدون ، وما مشى عليه

المبتلون بأمور الأمم التي عاركتهم للتغلب عليهم ، وما قابلوا به أعداءهم من الصبر والثبات ، وما مال اليه في أثناء ذلك عند مساجلة الحروب لنا وعلينا ، واذا أكبر العلماء التاريخ فقد أدوا واجبا على عواتقهم عظيم المسؤولية ، وجاء في الكتاب العزيز قوله عز وجل ، قصصا عن أمم ضلت في حياتها الطريق ، وسلكت بعثوها المضيق ، قال الله فيهم : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية • سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية • فهل ترى لهم من باقية • وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة • فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية • إننا لما طغى الماء حملناكم في الجارية • لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) الى آخر الآيات الناقصة عن أحوال هؤلاء الناس الذين تمردوا على الله ، وعتوا على رسله وجاروا في عباده ، وطغوا في بلاده فأذاقهم لباس الجوع والخوف •

وكم قص الله قصص النبيين في الكتاب المبين ، وحسبك قصة نبينا سليمان بن داود عليهما السلام • وما صار بينه وبلقيس ملكة سبأ ، فذكر الله فيها الهدد ، وما جاء به ، وسليمان وجنوده ، وبلقيس وعرشها ، وما دار بين نبي الله سليمان والعفراريت في جلب عرشها • وارهابها بتك الآيات الباهرة ، وذكر الله سياستها وغازرة عقلها ، إذ قال لها نبي الله ﷺ : أهكذا عرشك ، مختبرا لعقلها • وموهما لها فيه ، فأجابته بمثل ذلك • إذ قالت : كأنه هو • فلم تحقق ولم تتف ، إذ تعارضت الأحوال عندها ، يقينا وعادة ، وانظر قوله عز وجل : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من قبله) الآية •

وفي الحديث : « القرآن حبل الله المتين فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم » • فذكر فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما

بعدنا . وهذا أصل من أصول التاريخ ، وإذا أطلق العلماء التاريخ فالمراد به أخبار الأمم الماضية ، وسيرهم وحوادثهم على العموم .

ولا شك أن لكل أمة تاريخا خاصا بحوادثها في حلها وترحالها وأخبار كل جيل على حدة ، وحوادث الملوك وقاتل أعاديهم وما أحدثوا من خطط ، ووضعوا من قوانين ، وأبانوا من أسرار فلهذا ان مادة تأريخ الأمم على اختلاف أحوالها ، وما بنت وهدمت وما أبدت وما أعادت ، وما طوت من أعمال ، وما نشرت من خصال ، فالتاريخ له تعلق بكل شيء ، فتعلقه باللغة من حيث حدثت ، وعلى يد من حدثت ، ومن أول من لغابها ، وفي أى عهد نشأت وله تعلق بأدابها وأسبابها ، وبالأحكام الشرعية . على من أول ما أنزلت ، وما أول حكم وقع ، ومن هو أول حاكم ، وأى أول دولة قامت في هذا الكون ، ومن أول من قام بها وما صفة قيامها ، وماذا صنعت ، وعلى أى حال انقرضت . وما هى الأسباب التى قضت عليها ، ومن قام بالعلوم الطبية ، ومن برع فيها ، ومن اخترع الكيماويات الى ما وصلت اليه الآن ، ومن أول من اخترع السلاح ، وعمل به فى الكفاح حتى تطور الى ما يعلم ما عليه الآن .

ولولا التاريخ من أين لنا أن نعلم الناسخ والمنسوخ من أحكام الله عز وجل ، وهو قسم عظيم فى الأحكام والحجة فى معرفته التاريخ الصحيح، ولو قيل ان التاريخ يشتمل على نصف العلم لكان غير بعيد ، لأن عليه تترتب أمور كالعديد والنفقات ومواقيت الحج وتعيين أوقات الزكاة ، وعدد المطلقات فى أشياء يطول ذكرها . ولا ريب فان مدار أمور الدنيا عليه - ولولا التاريخ من لنا أن ندرى اجماع المسلمين فيما أجمعوا فيه حلا وحرمة ، وهو من قواطع الأدلة فى الاسلام ، ومن أمهات القواعد فى الأحكام ، كما يشهد له الكتاب العزيز والسنة النبوية .

ولولا التاريخ من أين لنا علم الهجرة ، وكم فيها من أحكام تختص بها في الاسلام ، وبمن هاجر وأحكام المهاجرين •

ولولا التاريخ فمن لنا بمعرفة الامامة الصديقية ووقوعها ، والقائمين بأمرها واحتجاجهم على اخوانهم الأنصار فيها ، ومن أين لنا أن نعرف عن الثوري ، وما جاء فيها — ولولا التاريخ فمن ذا الذي يعرفنا أحوال من خالف الحق من الأمويين والعباسيين وأمثالهم ، وهل يعلم الانسان سياسات الملوك ورئاسات الممالك ، ومتى نعظم عن قصة عمر بن الخطاب في طاعون عمواس ، وما رآه المسلمون فيه من أمر واتفاق مشيخة المسلمين على الحكم بالواقع فيه ، خلاف السامع به ، وما اتفق عليه المسلمون •

ولولا التاريخ من لنا بتوضيح تأسيس المذاهب ، ومتى ذهب اليها الذاهب ، وبماذا يظهر فضل السابق للحق ونحوه •

ولولا التاريخ متى نعظم عدد المطلقات تحليلا ، وعدد الحيض والنفاس والرضاع المحلل والمحرم ، كما قال الله عز وجل : (حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ، ومتى تخرج المرأة من عدة زوجها طلاقها أو موتا ؟ ومتى تحل النفقات وحضور آجال المحقوق المعلقة بالذمم ؟ ومن أصول التاريخ قوله تعالى : (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) • الى قوله : (منها قائم وحصيد) وقوله : (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) •

وكما فهمت عن الامام السالمى رحمه الله ، قوله : لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بال صالحين ، ويرشد الى طريقة المتقين ، فتراه يجعله علما مستقلا ، وأنه يرشد الى طريقة المتقين ، وهذا من أعظم فوائد العلوم في الاسلام ، فان الارشاد الى طريقة المتقين ، والاعانة على سلوك الصالحين من المسلمين ، أمر مطلوب في الدين •

ولولا التاريخ من أين لنا أن نعلم ما صار على الخليفة الثالث عثمان ، وما عده عليه القائمون ضده حتى قضاوا عليه بذلك ؟ ومن لنا أن نعرف ما صار بصفين بعد انجمل وبما استحل المسلمون القتال وسفك الدماء وأحكام الأموال حلا وحرمة ، وكذلك ما صار بالنهروان لى آخر ما عمل المسلمون ، وأيام الحجاج الطاغية الخبيث ، وما صار منه على أهل عمان وما وقع على الامام الجلندى بن مسعود رحمه الله على يد الأمير خزام بن خزيمة ، وقضية شيبان الخارجى ، وعلى كل حال ان علم التاريخ حتى عند الافرنج له المقام الأعلى . والمؤرخ معهم معدود من العلماء الأجلاء لأن علم التاريخ يتضمن انتقاد القضايا ووزن الأعمال بميزان التحقيق تأييدا للمصالح وأهله ، وتفنيدا للبلاد وخويه ، ولا شك أن أعمال المسئولين فى الأمة مثال يحتذيه التالى لهم ، ويحتج به من جاء بعدهم ، فما كان حقا كان من الواجب الركون اليه ، وما كان باطلا كان من اللازم التباعد منه ، وقد يشير الى الحقائق التاريخية .

قول إمام أهل الأدب ابن تيريد حيث يقول :

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثا حسنا لمن وعاه

أى أن التاريخ يحفظ للانسان أعماله القولية والفعلية ، فعليك أيها الانسان أن تتحفظ فى أعمالك كلها فتكون حديثا حسنا لمن يأتى بحدك ، فان لسان التاريخ يخبر عنك وما صنعت ، ويحفظ لك وعليك ما سر وما ساء .

واسمع ما يقول أبو طالب :

ذكر الفتى عمره الثانى إلخ .

أى أن الانسان يبقى له بعد موته عمره الثانى الذى هو ذكره ، فان كان الذكر حسنا كان له عمر حسن يتداوله الناس بعد ، ويمشون على ضوئه ، وان كان الذكر سيئا ، كان على خلاف الأول ، قال فى (لقطه العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الانسان) .

فاعلم أن التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتى بعده ، وقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة ، تعد من أول زمن مفروض لتعرف بها الأوقات المحدودة ، قال : « ولا غنى عن التاريخ فى جميع الأحوال الدنيوية والدينية ، ولكل أمة من أمم البشر تاريخ تحتاج اليه فى معاملتها وفى معرفة أزمنتها المضروبة دون غيرها من بقية الأمم ، وأول الأوائل القديمة . وأشهر ما يكون مبدأ البشر » .

وقال أيضا عن سعيد بن المسيب . قال : « جمع عمر بن رضى الله عنه الناس فسألهم من أى يوم يكتب التاريخ » . فقال على بن أبى طالب : « من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك » ، ففعله عمر رضى الله عنه ، وعن سهل بن سعد الساعدى قال : « أخطأ الناس فى العد ، فما عدوا من مبعثه عليه الصلاة والسلام . ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة ، قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة ، وقال قره بن خالد عن محمد : « كان عند عمر من الخطاب عامل جاء من اليمن ، فقال لعمر ، أما تؤرخون تكتبون فى سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا ، فأمر عمر الناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله ﷺ . وقبل رفع الى أمير المؤمنين صك محله شعبان ، فقال أى شعبان ؟ أهو من هذا العام أو من عام مضى أو عام يأتى الى آخر ما أطال فيه صاحب (لقطه العجلان) ، وهو كتاب أكثره فى التاريخ ولوازمه وفوائده .

قال فى جواهر الأدب ، لأحمد الهاشمى : « التاريخ هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم

ولغتهم»، أى أن علم التاريخ له تعلق بهذه الأحوال كلها • وإذا
اعتبرت هذه الجملة رأيت لها عموماً شاملاً ، لأحوال الدنيا والآخرة ،
هنا النظر فى المعاش والسياسات مما يتعلق بأحوال الدنيا ، وما
يتعلق بالمعائد والآداب واللغة ، يتناول أمور الدين التى هى النجاة
فى الآخرة أو الهلاك فيها والعياذ بالله •

وللتاريخ من هذه الوجوه مقام عال فى نظر الفكر العربى ، وهل
التاريخ من خصائص أمة أو أمم أو هو لمطلق الأمم ، وهو الواضح كما
بينه فى لقطة العجلان ، فكل أمة عاشت أو تعيش فى جيل من الأجيال
لا بد لها من حوادث بحسب طبيعة حالها ، وما تدعو إليه آمالها ،
وبذلك يكون تاريخها مشتملاً على قضاياها • ولأجل ذلك ترى الأمم أن
التاريخ عنوان أمته ، ودليل على خيرها وشرها ، إذ يعرب عن نواياها
ويبرهن على مالها من صعود وهبوط فى أدوار حياتها ، ومن حق
التاريخ الصادق الصحيح أن يكون مع الأمة كما هى ، حافظاً لها
الحقائق ، وجامعاً لها الدقائق ، واضعاً كل شئ فى محله الذى يجب أن
يوضع له •

وللافرنج مزيد اعتناء بالتاريخ لأنه داعية الأمة أو البيئة ، أو القطر ،
وبه تعرف الأمم طيلة الدهر ، فانه أعظم باعث للخلف ، للسير على نهج
السلف ، وأكبر دليل على حقيقة العناصر العالية والسافلة ، وأصدق
قيل على الشرف المتأصل فى الأمم الفاضلة ، ولا تتركه أمة فى حال رقيها
لما له من مقام عند السادة الأعلام ، والقادة الكرام على الدوام :
ألا تسمع صاحب معالم الجزيرة يقول فى صدر كتابه : « حرام على
الأمم أن تفرغ من أشباع تاريخها القيم والحديث دراسة وتطليلاً ،
ونحن لا نزال نتشاغل بالتأفاه من الأمور ، لنعيش فى جهل بماضينا
وحاضرنا ، ومن ثم فى غفلة عما ينبغى أن نرسم من خطط المستقبل على
ضوء هداية التاريخ ، ولست أدرى متى يقتبه حملة الأقلام منا وولادة

الأمر فينا الى واجب كهذا ، أعتقد أنه من العوامل الأساسية
للنهضة التي نرجوها » .

فانظر في كلام هذا البطل الحر ، وهكذا رجال العمل ، وأنا
أعتقد أن ذكرى التاريخ من أعظم العوامل الفعالة في الانسانية ،
فلذلك يحتفل الافرنج بذكرى عظمائهم ، وأحاديث كبارهم طيلة أزمانهم
ذلك لما للتاريخ من نفوذ روحى فعال ، ولأجل ذلك لا تظهر الافرنج
تواريخ الأمم التي تسيطر عليها أو تريد السيطرة عليها ، ولذلك لما
أراد الامام السالمى رحمه الله إعادة الإمامة فقام أولا بنشر تاريخ الأمة
العمانية فبرز في عالم القضاء ، ودرسه للطلبة وشاع بين رجال
الأمة ، وعرفوا أفعال أسلافهم وأعمال آبائهم ومقاصد أبطالهم ، فهبوا
متشوقين اليها ومتشوقين لها ، وكذلك طبع دواوين الشعر الحماسى
الداعى الى نبذ الخمول واعتناق النشاط ، فكان ذلك أعظم فاعل في
النهوض بالأمة حتى اهتزت من أعاليها وأدانيها ، وديوان الامام الحضرمى
كان أكبر مؤثر على قلوب الأمة ، فلقحت أفكارها وتلظى شرارها ، فتحررت
حركة شهدا التاريخ وضج العالم العربى العمانى حتى رفع عقيرته في
القبائل العمانية . وأقام الامامة على صرحها الكريم ، حتى أجلسها على
عرشها الذى فقدته أعواما . وكل ذلك بفضل دراسة أنبياء سالف
الآباء ، وبما عرف من أفعال الأجداد الماضين ، ولا يزال التاريخ هكذا
طيلة الأدهر ، فان الأمم تتحرك طبعيا الى اقتفاء أفعال السلف من
ملوك وأئمة ومصلحين ، كما أشار الى ذلك هرقل بقوله لأبى سفيان
إذ يسأله عن رسول الله ﷺ : « هل فى أجداده من ملك ؟ » فقال له أبو
سفيان : لا . فقال هرقل : فقلت لو كان فى آبائه من ملك لقلت رجل
يطلب بملك آبائه ، أى فأشك فى نبوته والمعنى من كان آباؤه ملوكا فهو
يحلهم بملكهم ويروم أن يكون ملكا مثلهم ، هذا فاذا درس تاريخ
آبائه لا بد ولن يتحرك بذلك رغم العراقيل .

وسبق لنا فى بعض المقالات فيه قولنا : « التاريخ مدرسة الحوادث

الكونية ، ولسان معبر عن ما تمشى عليه المواشى الانسانية ، ودعاية عامة الى الأعمال العالية ، ونعى شاهر للأفعال السافلة، يجد الناظر فيه الأعمال الحرة الفاضلة ، كما يجد ضدها من المقاصد السافلة ، ويقتبس منه العاقل فوائد قد لا يجدها في غيره ، ويتسلح منه الكامل سلاح السياسة السامية » أ ه . وهى كلمات حقها أن تكتب بماء الذهب على جبهة الدهر لتخلد طيلة الأيام عنوانا لسر التاريخ ، ومما يقطع به دراسة التاريخ تلتح الأذهان وتتحب بنى الانسان ، ويورث درسها قوة الجنان ، وحصانة الرأي وصادق الاعتبار ، لأن فيها درس أحوال الزمان ، وقضايا البرية مختلفة الأحوال متباينة الأعمال ، فىرى فيه قارؤه احسان الأخيار ، وإساءات الأشرار ، وجور البغاة ، وكفر الطغاة ، ويرى السياسات العالية للملوك السامية ، ويتجلى فيه خبث الطوايا وسوء النوايا ، بحيث يخرج الدارس فيه وهو من أبطال الرجال المثقفين .

ولا شك أن أفعال الأوائل سلاح الأواخر وحجة الأكابر ، وبه يأمن المرء من لوم اللائمين ، وتأنيب المختصون ، والأتباع آمن من الابتداع بالعمل على نهج من مضى من أهل الحق نفس الاتباع . واذا أخذ العاقل بعمل من سبقه من المسلمين لم يعنفه أحد من المؤمنين ، وأفعال السابقين حجة اللاحقين ، ومن لم يفهم عن سبق ، لم يدرك من الحق إلا القشر ، ولم يعرف من الدهر إلا الاسم .

والحقيقة أن التاريخ مدرسة عالية تجمع مختلف الإدارات ، ومتباين الأغراض ، وتجتمع فيها المواهب والمطالب من جميع الانسانية أفرادا وجماعة ملوكا وشعبا ، وما أبدته الدول من تقريب أمة وابعاد أخرى على حسب مقتضى السياسات الخاصة والعامة ، وانقلاب الأمور من أمة الى أخرى ، وانتهيار صرح وقيام آخر ضده ، والعمل المتباين فى الأمة يقضى على العقول بالعجز عن ادراك الحقائق ، ويعبر عن الدنيا تعبيرا صحيحا لمن يفهم لا لمن يسمع بأذنيه ، ويمر على القضايا لا يلقى

لها بالا ولو كانت على عتبة بابه ، وقد أشار القرآن الى هذا في قوله عز وجل : (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) •

ولا شك أن من حكّم هواه ، وتعامى عن حكم الله فانه معرض لزوال نعم الله ، فان ذلك يسبب انفجار البراكين الضخمة ، ولا يبعد عليه وقت انفجارها ، فاذا انفجرت أعجزه ردها ، وأعياء تيارها ، فغاية ما عنده الخضوع لحكمها ، والسكون تحت وطأتها ، وكم لهذا من دليل عقلى ونقلى •

قال الامام السالمى فى تحفته فى الجزء الأول صحيفة مائتين وثمانين إذ يذكر راشد بن الوليد المختلف فيه قيل كندى • قال : « ولولا أن أبا سعيد يعنى الكدمى ذكر هذا الطرف من سيرته ، لغاب عنا علمه كما غاب عنا علم غيره من الأئمة ، قال وذلك كله لإهمال التاريخ وقلة هذه الجملة التى وضعها هنا وتأسف وتلف على ضياع التاريخ •

ولا يخفى أن التاريخ مرآة تتجلى فيها أحوال الأمم أخلاقا وأعمالا ، وعواطف ومكارم ، وغلظة وشدة ، والتاريخ خازن هذه الأحوال بعد استجلائها وكشف حقائقها • وانه لمعتبر لأهل العقول ، وحجة لأهل المنقول ، ومن لم يعتبر بأحوال الدهر ، وما يتحدث عنه التاريخ ، فهو خال من العقل ، فاقد للشعور ، يرتضى فى الهلاك غير مبال بما يلاقى ، وهيهات أن يحيا الا على سبىء الأحوال ، وقال عبد القادر المذكور : « ولكنها أى عمان سرعان ما أعلنت توبتها ، وانضوت تحت لواء دين الله » •

قلت : على فرض صحة المدعى ، فالحمد لله الذى ردها الى الحق راغبة غير مقهورة ، كما أسلمت كذلك والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولكن الحق هو ما قدمت لك ، وانما يرجع الى أصله المجبور

الذى لم يدخل فى الأمر الا مكرها ، وقد علم أمر عمان أنه لما أسلم ملكاها جيفر وعبد طائعين ، قاما على الفرس الباقين بعمان اذ أنه لا يجتمع فى عمان دينان ، فاما أن تدخلوا فيما دخلنا فيه ، والا فالسيف هو الحكم حتى أخرجوهم عن بكرة أبيهم منها ، وقد خليا بين عمرو بن العاص والزكاة وائتمرا بأمره ، ودعوا من خالفه الى الحق . وكاننا له عوننا على مهمته وخرجا بصحبته الى المدينة ، لما بلغتهم وفاة النبى ﷺ ، وأخرجهما أبو بكر رضى الله عنه لقتال آل جفنة بالشام ، وبعد ذلك ردهما الى بلدهما مزودين بالأوامر والنصائح . وسوف ترى ما يؤيد هــذا حتى تعلم بطل ما قال هؤلاء الذين يتبعون كل ناعق ويكتبون الغث والسمين غير مباليين بما يكتبون عن الأمم التى يتكلمون عنها فى سيرهم وتواريخهم ، والله سائلهم عن كل نقطة يحررونها وكل كلمة يكتبونها فى أساطيرهم .

واعلم أنا إذ نذكر التاريخ أو تاريخ عمان على الأخص ، لا نريد أن نجعله أقصوصة من الأقاصيص اللاهية ، أو أحداثة من الأحاديث الواهية ، أو ملهى للسمار ، أو سلوة للمجتمعين فى المجالس والنوادي ، أو الدارسين فى المساجد أو الفارغين فى بيوتهم أو العاطلين من الأعمال . انما نريد أن نحدث الناس عن أعمال الرجال الكمل ، أو عن الأعمال الفاضلة ، التى يعتمد عليها الرجال المعنيون بحب أوطانهم أو باستقامة دينهم ، أو بسعادة شعوبهم أو بأمن رعاياهم ، أو بحسن العمل لدينهم وديناهم ، ولندل الناس أن الحق يشترك فيه القوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والسابق والمسبوق ، وأن الله لم يجعل الحق لناس مخصوصين أو أسرة معلومة ، وانما الحق لكل يستحقه الناس بقدر أعمالهم ، ولا نريد أن نمشى على منهج من مشى محبا للمنفق عليهم ، وان كان ظلما جبارا جائرا على الأمة ، ولو أنفق عليها أموالا طائلة ، ولا يسألون عنها من أين نهبها أو من أين اكتسبها ، مع العلم بأنه ظالم جائر نهاب

يأكل أموال الناس بغير حق ، بل نريد أن تمشى الأمة أميرها ومأمورها ، على الصراط المستقيم ، والطريق السوى الصحيح ، الذى لا شائبة فيه من الباطل غير ناظرين الى المحرم الذى يقرب الأمة مختدعا لها بالعطاء وضاء لها بدينها ودنياها ، فنأخذ منه العطاء ونرضى عنه بذلك ، ونحارب من أجله ونقاتل معه ، والحق يقول لنا : (فاستقم كما أمرت ولا تتبع سبيل المفسدين) • فلو ضربنا مثلا بسطان له وزيران : أحدهما يراعى منازل الناس الدنيوية ، فيعطيهم عطاء يغمرهم به ، فيخرجون عنه يمدحون ، ولا يسألون من أين أعطاهم أمن مال زيد ، أم من مال عمرو ، وآخر لا يعطيهم ما ليس لهم ويمنعهم من ذلك ، ويعطيهم مالهم ولا يمنعهم اياه ويقوم بمصالح دينهم ودنياهم كما يجب لهم ، فمن الأولى بالاتباع والطاعة ؟ فهنا وجهان : وجه يميل بهم الى الذى يغمرهم بالعطاء فهو واياهم ينبغى اقصاؤهم معا من واجبات الاسلام ، والثانى هو الذى يجب أن يطاع ، ويؤيد ويناصر ، ولكن أين هو ؟ قد لا يوجد : قال عمر ابن عبد العزيز : ما طواعنى الناس على أمر أردته من الدين الا اذا أعطيتهم جانبا من الدنيا ، واذا كان الناس كذلك فالداء فيهم عياء : ولا يخفى على أن الأسد مطبوع على حب الافتراس خصوصا اذا جاع من غير أن يراقب أن ذلك الفعل ظلم وعدوان ، لا ينبغى أن يأكل حيوان حيوانا مثله عاث في أرض الله ، وأن الذئب يأكل القاصية من الغنم ، وأن له شئشنة على ذلك خصوصا اذا خلا بغنم ، وأن السنور لا يؤمن منه أن يسرق ، ولو كان أأدب السنانير كلها ، وأن بقية الحيوانات كلها كذلك ، وأن الحق أمر صعب الوقوف على حدوده كالوقوف على الجمر ، وأن العمل به كذلك بل أصعب ، لكن على الانسان أن يجاهد معهم نفسه أولا ، ثم يصهرها في بوتقة التصفيات مرات لعلها أن تنصلح •

فانظر فرار الناس عن على الى معاوية حتى أصبحوا يقاتلون معه ، وانظر الى فرارهم عن الأئمة الى الجبابرة المعتاة ، كفرار جبلة بن

الأيمهم عن عمر بن الخطاب الى قيصر ، ولو قال جبلة لما كان عمر بن الخطاب لا يرى الا الانصاف منى أنا ، فمن باب أولى لا يرى الا الانصاف من هو دونى ، وهكذا ينبغى وعلى مثل هذا تعيش الأمة فى أمن ورخاء وسعادة وهناء ، أى حيث ينصف من قوئها لضعيفها ومن رئيسها لرؤسها . وذلك هو الذى يحيئها من ممانها ، ويرفع شأنها بالأمن والاطمئنان ، وبه يستقيم الأمر لدولة المسلمين ، وبدون ذلك لا يكون صلاح . وأنا أرى أن أعطيه عينى الصحيحة وأقعد تحت ظله أعمى ولا يضرنى ذلك بل الانقياد للحق يزيدنى شرفا وعزا ، ولأن أعيش عزيزا بعدل عمر بن الخطاب السيد العربى خير لى من أن أعيش عزيزا عند قيصر بالكفر فى دار غربة لاجئا محتما . وأولى بى أن أحدث من جاعنى حدثه عن عدل عمر بن الخطاب ، ويكون دستور الحياة الأمة الجديدة بالاسلام ، ولكنه لم ير هذا ، بل رأى أن يعيش كافرا ، ويموت كافرا ، فى بلاد غربة ، وما ذلك الا للجهل والغطرسة الجائمة على قلبه ، وغرته لذة عاجلة لا تطول أيامها ، ولا يبعد مرامها ، فبهذا وأمثاله نريد أن نبرهن فى التاريخ العربى أن ذكرى الصالحين الذين هم على نهج جبلة أو على نهج معاوية بن أبى سفيان ، خطوا عملا صالحا وآخر سيئا . فالأول ارتد ، والثانى أجرم ، وأن يعلموا أن أئمة الاباضية على خلاف ذلك هو نهجهم حيث يقتل أحدهم أبناء عمه وأهل جلدته على كتاب بيعة ، وعلى الذين يعطى أحدهم كل شهر سبعة دراهم يقتتلون بها فى غلاء من العيش ، تاركين كل شىء لله وفى الله .

دخل أحد علماء الاسلام المدينة المنورة ، فلما بلغ مجتمع الأمة قال : أين قصر رسول الله ﷺ ؟ قالوا لا قصر له : قال : ولم أكان فتيرا معسرا ؟ قالوا : لا . قال : أين قصر أبى بكر ؟ فقالوا : لا قصر له . فقال : ولم أكان فقيرا معسرا ؟ كالرسول ﷺ قالوا : نعم . قال : بلغنى أنه كان له مال . قالوا : أنفقـه فى سبيل الله . قال : ولم لم يبين قصرا فخما يشار اليه بالبنان من ماله لا من مال الدولة ؟ قالوا : ان

ماله أنفقه في عز الدولة . قال : ولم لم يتعوض منها له ؟ قالوا :
ما أعزه الله بالمال بل بالصلاح في الاسلام والتقوى . وطال الجدل
فيه بينهم وإياه . ثم جاء الى عمر فاتح الأمصار وجامع الأموال ،
وواضع العطايا في الدواوين ، والقاهر على النواصي . فكان الأمر فيه
كالأمر في أبي بكر رحمهما الله ، ثم الى عثمان الذي جهز بأمواله
جيش العسرة ونحوه . وكانت الأموال تأتيه كأودية ولم يدخر منها
وسعا له ، وهكذا على بن أبي طالب . فقال : اذا لمن هذه القصور ؟
فقالوا : لفلان بن فلان وفلان بن فلان ، وهكذا . فقال : هل كانوا
أغنى من أولئك الذين تنصب اليهم أموال الدنيا ؟ فقالوا : لا . قال :
فهل هؤلاء أشرف أولئك المذكورين ؟ فقالوا : تبدلت الأحوال . فقال :
من أعز الآن أولئك أم هؤلاء ؟ فقالوا : أولئك . فعرف انقطاع الحجة
بتوضيح المحجة . فحينئذ يتبين للقارىء الكريم الذي همته أتباع
الحق والاعتماد عليه ، أنا نريد أن ندل على الحقائق كما هي ،
ونعرب عن الظواهر الواجبة التي مشت عليها الأئمة ونبرهن على
زهدي الجلندي بن مسعود وأعماله ، والوارث بن كعب وخصاله ، والمهنا
ابن جيفر وجلاله ، وناصر بن مرشد وأفعاله ، ونعرب للناس عن
أئمة آل يعرب الذين ملكوا جانبا من الدنيا ولم يخلفوا وراءهم
القصور الفخمة ولا المصانع الضخمة ، إلا ما أعزوا به الاسلام ،
ولا كانت لهم الحدائق الغناء ولا النقود التي تفوت العد ، ولا الاختصاصات
الذاتية ، بل هلكوا ولا يوجد لأحدهم بيت خاص لهم دون المسلمين ،
مع ما ملكوه من الأموال ولم تعرف البنوك عنهم لكوكا ولا ملايين .
ولا . ولا ، وانما عرف الدهر عنهم العدل الناصح . والانصاف الجامع
والحال الكامل . والفضل الشامل ، ولا يزيد المثقال عندهم عن كونه
مثقالا ، فالى هؤلاء نريد أن نهيب بالناس لا الى هارون الرشيد .

وقيناته ومعنياته ، أولا الى ملاميه ومنتزعاته في الدر والجوهر المضاع على غير أهله ، وقد قاتل عليه ناس وجعله هو وأضرابه تحت نعاله يدوسه بحميره وبغاله .

وليعلم التاريخ العالمى ورواده أن لكل وقت سياسة لا يتبقى اخلال بها ، والا كان الفساد أكثر من الصلاح ، بل ربما انعدم الصلاح . إذا أقبل فريقان يختصمان ، أحدهما يحمل المدفع المدمر ، وعلى رأسه الصاروخ الحاشر ، وفي يديه القنابل اليدوية ، وفي جيبه المفرقات الساحقة ، وخلفه النساكات العظيمة ، والآخر يحمل السيف الأحمر المصطبغ بالدم من عهد العمالقة . والعصا الضخمة المقتطعة من عهد عاد الأولى ، لا بل قل والرمح الأزرق والسهم ذى الأوتار ، فبيد من ترى النصر . أم الى من يجنح فان أسبابه بيد الأول رغم المعقول والمنقول ، لا بيد الذى يحمل السيف البتار ، الذى لا يصل الى خصمه الا والنار تشتعل فى أردانه ، وقد أحترق بين يدي خصمه ، فهلك قبل الميعاد بمسافات ، وقد ألقاه الرصاص على وجهه . قبل أن يتخطى الى خصمه شبرا واحدا من الأرض وهكذا .

وليعلم الناس أن التاريخ حدث عما سبق ، ولم يحدث عما لحق بنى عما يأتى ، فمجاراة الوقت بما لا ينافى فى العقل . ولا يعترض على الشرع ، أمر مطلوب قطعا ، بل واجب شرعا ، لأن الله يقول لنا : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

وسترى أيها القارىء فى تاريخ عمان أنواعا من ذلك ، وسترى فى تغلب النصارى على المسلمين نوعا يدل على ما قلنا ، وخصوصا فى جعلان بنى بو على وهم مسلمون ، وأولئك نصارى كفار أعداء لأهل لا اله الا الله مطلقا . ولأهل الاسلام عموما . ولتعلم أيها القارىء أنا إذ نكتب التاريخ نريد أن نجعله وسيلة لتثقيف الناس بالحقائق الروحية العارضة الزمنية ، وسبيلا لمساعدة الأمة على ما يعانون من

مشكلات تصيبيهم ونوب تحل عليهم ، ونخبرهم بقضية اجتماع المسلمين في مهماتهم الماضية مهما كان الاجتماع فهو فعال ، وإليك صورة ستمر عليك في الاجتماع على حرب راشد بن النضر الجنداني وأحزابه وتدميرهم وهكذا لتكون على ثقة كاملة ، أن الاجتماع أول مرحلة تعيش بها الأمة في رخاء العيش وسعادة الحياة . وأن الافتراق والتلاشي ، داعيان الى الانهيار ، ولو شاء الناس أن يزيلوا الجبل الأخضر من عمان بالاجتماع لأزالوه ، واذا كنا على غير ذلك فقد أضعنا أعمارنا في لاشيء .

فان تدوين قضايا التاريخ قد وقع ، وان الكل على ذلك قد اطلع ، وان العمل الصحيح ما عليه المجتمع ، ان المسلمين اليوم كما رأيناهم يدرسون التاريخ لكي يعرفوا أن فلانا كان أشجع أو أعظم بأسا بأساليب الحرب ، أو أنه أفضل من فلان ، لا يزيدون على ذلك ، بدل من أن الافرنج يدرسون التاريخ تحليلا للمقاصد والتفاتا الى المراسد واهتماما بالقاصد ، لا يدرسونه أقاصيص ، أو خرافات أو حكايات كتسليات ، بل هم الباحثون فيه المتعمقون في معانيه ، والآخذون بأركان مبانيه ، لا كمن اذا سمع أقاصيص الماضي يهز رأسه ، ويهمهم أو يدمدم ، وربما يعجب من شجاع يخوض المعامع فنجا وهكذا ، بل يحاولون بالتاريخ تثقيف العقول بما في التاريخ من عظات بالغات ، وعبر صالحات ، لأن تكون دستوراً ، فتراهم يدرسون تاريخ سير أفراد من الرجال فتحوا الممالك ، ووضحوا المسالك وبينوا الناجي من الهالك . إلا أنهم لا يفهمون عنهم إلا أن فلانا مات شهيدا ، ليقنا كنا معه ، وأن فلانا مات فاسقا والعياذ بالله منه ، وهم في كلا الوجهين كاذبون أو مخادعون أو مارقون ، أو على الأقل لا تفكير لهم في شيء إلا مجرد أحداث ، كان رجل كثير البكاء على أحد الشهداء ، وكلما ذكر ذلك الشهيد يكاد أن يتمزق أو يحترق عليه إذ قتل تلك القتلة الشنعاء ، ومثل به المدو .

وهكذا حتى شاء القدر ، ورأى ذلك الشهيد فى النوم • والجنود محيطة به والسيوف تنتاشه ، ويرشح دمه ، وهو يجالد العدو صابرا ، وهذا الرجل البكاء ينظر على الحال التى عليها ذلك الشهيد ، وإذا به يتقاعس ويختفى عنه شيئا فشيئا • ويود أن يتوارى بسرعة حتى لا يراه الشهيد فيستنصره على عدوه ، حتى هم بالهرب فقدر الله أن رآه الشهيد ، فى أخريات الناس فداعاه فخلج ألا يجيبه فأجابه من غير قلبه ، فقال له ترى الحال الذى أنا فيه ، وهؤلاء الأعداء من حولى ، فخذ هذا السيف والترس ، وقاتل معى عسى الله أن يفرج عنا بك ، فأخذ السيف والترس واختفى عن نظر الشهيد ثم هرب بهما معه وباعهما • وأكل ثمنهما وراح ، فأين بكأوه الذى يبكيه • وأسفه الذى يتأسفه ، وأين غيظه على العدو الذى يزعمه فقد هرب حتى بالسلاح ، ولم يرد له صاحبه ، وإن قيل هذه رؤيا منامية • فالواقع هى برهان على ما فى اليقظة ، وأن أحوال هؤلاء الناس أغلبها هكذا •

فالتاريخ بيدى لنا تمحيص الحقائق ناصعة غير مستورة ، ويعبر عن طوايا الناس كما هى واضحة ومن يعتبر يجد الحق فيه واضحا ، أن الغرض الوحيد من التاريخ هو الاقتداء ، ومعنى الاقتداء كبير الى حد بعيد لا يكاد يستطاع لقياس عليه ، فان معنى الاقتداء يفتح أبوابا تفوت الحصر وتعجز الدهر ، فمعنى الاقتداء فى الأخلاق والديانات والأحكام ، ووضع القوانين السياسية الملائمة لكل زمان ، المناسبة لكل أوان ، عملا بمعنى الاقتداء ، فانهم ساروا على النهج الصحيح الوارد عن الشارع فى اخراج الأحكام الشرعية فى محلها ، والقوانين العرفية بدلها عند عدمها ، وفى تطبيق الأنظار بحسب الأصول المشروعة ، والى هذا يشير قول القائل : أحدثوا أحداثا فأحدثنا لها أحكاما ، والمعنى أخرجنا لها أحكاما تطابق وضعها ، فان الشرع وضع أصولا لا يرجع اليها المنقول • ولا ينافيها المعقول ، فان لكل امام سياسة كما

لكل زمان كذلك وإن تطور الدهر لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، فكم جاء فى وقت خاص ما لا يتفق الا فى وقته الخاص به ، وكم جاء مناسباً لكل وقت ، واذا أردنا أن نذكر من هذا النوع أمثلة : أتت مندفعة من كل وجه تزدحم على الأفكار بحيث تتركنا نقول لا حاجة الى ذكرها لشهرتها ، وهذه هى ميزة خاصة بالموضوع ، ولكل مقام مقام .

وهنا كلمة لعمدة المؤرخين العلامة ابن خلدون نرى أن نضعها هنا ختاماً لهذا المقام فى علم التاريخ . قال فى مقدمة تاريخه العبر .
فى خطبة الكتاب .

أما بعد . فإن فن التاريخ من الفنون التى تتناولها الأمم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرجال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقبيال ، ويتساوى فى فهمه العلماء والجبال ، إذ هو فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدوام ، والسوابق من القرون الأولى تنمى فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأنديية اذا غصها الاحتفال ، وتؤدى اليها شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمرىوا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وغان منهم الزوال ، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل الكائنات ومبانيها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق ، وان فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها ، فى صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخطها المتطفلون بدسائس من الباطل هموا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم وأدوها اليها كما سمعوها .

وسار في خطبته سيرا واسعا بين فيه أحوال التاريخ والمؤرخين الى مدى بعيد بعيد يطول بنا ذكره . وقال : مقدمة في فصل علم التاريخ :

أعلم أن علم التاريخ عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدنيا والدين ، فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادة الطريق الصادق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين ، وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سيروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق . وتاهوا في ببداء الوهم والغلط ، ولا سيما في احصاء الأعداد من الأموال والعساكر ، اذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد من ردها الى الأصول وعرضها على القواعد ، وهذا كما نقل المسعودي . وكثير من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل ، وأن موسى أحصاهم في التيه . بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام . واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الخامة تتسع لها وتقوم بوظائفها ، وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة .

وذهب هذا المذهب منتقدا ومحققا وباحثا وقائما ، وموبخا للذين يأخذون القضايا جزافا ولا يهتمون بنظر يتحقق معه المقام ، وأشار الى دول الفرس ، وأنها أعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير ، وأشار الى بخت نصر ، وما كان له من السلطان على بنى اسرائيل ، وأشار الى جيش رستم فى القادسية وما كان من أمره وأطنب فى ذكر تلك الأحوال بين بنى اسرائيل ، والفرس • وليس ذلك من غرضنا ، وانما نشير الى أن مثل هذه الأحوال حفظها لنا التاريخ كما قال ابن خلدون • وعلى كل حال ، فقد أطلال المذكور فى فوائد التاريخ بحسب الفن المعروف ، ولقد أشار الى فوائده أيضا من قال وقد أجاده :

بنى كما كانت أوائلنا

تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

فلولا التاريخ من أين لنا أن نعلم ما فعلت أوائلنا ، وبالجملة فقد صح الاجماع على أن علم التاريخ من أشرف العلوم فى الاسلام ، ومما ينبغى أن يشتغل به ويدون وأن يعار اهتماما بالغاً ، ويحرر تحريراً كاملاً ، فان فيه أسراراً جوهرية ، تتجلى فيها العبقريّة كما هى ، ولا تضيعه الا الأمم المكتوب لها الانحطاط ، فان من يدرى عمل سلفه من الأعمال الفاضلة لا يرضى أن يتركها الى الأعمال السافلة ، إلا إذا كان مختل الشعور أو خائر العزيمة ، أو منهار العقل ، فان الغالب كما أشار الى ذلك القرآن الكريم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) • وكم قامت الغيرة برجال للسير الى منهج آباءهم ، ويرون مخالفة ذلك نزولاً عن الشرف كما صح عن كثير من الناس أمثال ذلك فى كل جيل ، فندلك ترى الافرنج تدرس سير رجالها درسا دقيقا وتتبع حركاتهم وسكناتهم بكل مالها من قوى •

والحقيقة أن ميدان التاريخ أوسع الميادين ، وأن مادته متسعة كاتساعه ، فإن موضوعه القضايا البشرية ، وهي كما شاءها الله عديدة . لا تكاد تدخل تحت حصر ، ومن ذلك صار التاريخ معتبرا وقانونا ومصباح سياسة . وعنوان رئاسة ، وكان أحق به ذوو المناصب في الأمة من ملك وسلطان وأمير ، وغير ممنوع منه غير هؤلاء ، فكم في الزوايا من خبايا ، وكم في الرجال من البقايا ، والله أودع خلقه أسرار حمته وهو عليم خبير .

ولدائرة المعارف ، لفريد وجدى ، كلمة في التاريخ عظيمة تؤيد ما قلنا ، نعرض عنها حتى لا يطول على القارئ هذا المقام . فإن ما قلناه وحررناه هنا كاف لبيان حقيقة منافع علم التاريخ وفوائده .

الحلقة الأولى من تاريخ عُمان

في التصريف بعُمان

قال ياقوت الحموي : عُمان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون اسم كورة عربية على ساحل بحر ائمن والهند ، وعمان في الاقليم الأول طولها أربع وثلاثون دقيقة وثلاثون درجة ، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر ، أى هي واقعة شرقي هجر ، قال : تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع ، إلا أن حرها شديد ، يضرب به المثل ، وأكثر أهلها في أياضا خوارج . إباضية ليس بها من غير هذا المذهب ، إلا طارئ غريب وهم يراد منه التائب والمدح (١) . ماذا يراد به ، وإلا فكيف يخفون الحق ، وهل يخفى في الظلام ابن جلا ، وكيف يخفونه وهم مذهبهم الصحيح الذي عاش عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعاش عليه الخلفاء الراشدون والمسلمون المخلصون الذين باعوا نفوسهم لله ، وتجردوا لنصرة الحق في هذه الحياة ، ومذهب الإباضية يستدعى الكلام كسفا عن الحقيقة ، لأن أكثر الناس يجهلونه والخيبة لمن يجهل الحق ويعتمد غير الصدق ، ومن حارب مذهب الإباضية أو نال منه فليأتهم لنقمة الله عز وجل ، وسوف نبسط ان شاء الله الكلام عن هذا المذهب في أول الجزء الثانى من هذا الكتاب فمن أراد فليلتمه من هناك .

قال الحموي المذكور : « وأهل البحرين بالقرب منهم أى البحرين الأولى التى هى الحسا وتوابعا » ، قال : هم بضدهم أى ضد الإباضية ، كلهم روافض سبأيون لا يكتفون ولا يتحاشون عنه أ ه .

(١) أم الثناء والمدح .

وهذا دليل على أنه أراد الغمز منهم • والله على لسان كل ناطق ، قال : وليس عندهم من يخالف هذا المذهب ، أى مذهب الروافض إلا أن يكون غريباً ، قال الأزهرى : يقال : أعمن ، وعمن إذا أتى عثمان ، وقال رؤية :

نوم شأم بان أو مَعَمَن

قال : ويقال : أعمن يعمن اذا أتى عثمان •

قال الممزق واسمه شاس بن نهار :

أحقا أبيت اللعن أن أين فرقتنا
على غير أجرام يريق ممزق

فان كنت مأكولا فكن أنت أكلى
وإلا فأدركنى ولما أمزق

وفى رواية خير أكل الى أن قال :

فإن يتهموا أنجد خلافا عليهم
وان يعمنوا مستحقبى الحرب أغرق

والمعنى أخالفهم فإن يتهموا أى يأتوا تهامة • فانا أتى نجدا • وإن يأتوا عمان أنا أتى العراق • وكذلك جاء فى كلام الامام أبى أسحاق الحضرمى رحمه الله قوله :

لعمرك ما أعرضت عنك ليانيا
وأعمنت عن بغض ولا عن معائب

أى ما عرضت عنك ليعيب ولا أتيت عثمان من أجل عيب أعده عليك •

وفى القاموس : أعمن أتى عثمان • قال الحموى : وقال ابن الأعرابي العمن : المقيمون فى مكان ، يقال رجل عامن وعمثون ، ومنه اشتق عثمان ، وقيل أعمن دام على المقام بعثمان ، وقصبة عثمان صحار ، وعثمان تصرف ولا تصرف ، فمن جطه بلدا صرفه فى حالتى المعرفة والنكرة ، ومن جعله بلادة الحقه بطلحة •

وقال الزجاجى : سميت عثمان بعثمان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام • قلت : لعله كان بها فسميت به •

وقال أبى كلبى : سميت بعثمان سبأ بن يفتان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لأنه بنى مدينة عمان (١) وإذا كان بابنها عثمان ابن سبأ بن يفتان بن ابراهيم خليل الرحمن فيكون قد سكنها هو ومن معه من قومه ، لأنه لا يعقل أن يكون بناها وحده ، بل لابد أن يكون مع قومه وخاصته •

قال : وفى كتاب ابن أبى شيبية ما يدل على أنها المرادة فى حديث الحوض لقوله عليه الصلاة والسلام : ما بين بصرى وصنعاء • وما بين مكة وأيلة • ومن مقامى هذا الى عثمان قال : وفى مسلم : وعرضه من مقامى هذا الى عثمان ، قال وروى الحسن بن عادية : قال لقيت ابن عمر ، فقال : من أى بلد أنت ؟ فقلت من عمان ، قال : أفلا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : سمعت

(١) قلت : وبما يؤيد هذا ان عاصمة عمان اذ ذاك صحار وقد صح ان بانيتها صحار بن مدين ابنى ابراهيم الخليل •

رسول الله ﷺ ، يقول : انى لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها
عُمان ، على شاطئ البحر الحجة منها أفضل . أو قال خير من
حجتين من غيرها . قال : وعن الحسن يأتين من كل فج عميق . قال :
عمان . وعنه عليه الصلاة والسلام : من تعذر عليه الرزق فعليه
بعُمان . وقال القتال الكلابى :

حلفت بحج من عمان تطلوا
ببئرين بالبطاء ملقى رحالهما

في أبيات ذكرها الحموى المذكور تركناها .

قال : « وينسب الى عمان داود بن عفان العماني » . روى عن
أنس ابن مالك ونفر سواه ، وأبزون بن مهنبرذ العماني الشاعر ،
وأبو هارون غطريف العماني ، روى عن أبي الشعثاء عن ابن عباس .
روى عنه الحكم بن أبان العدنى وأبو بكر قريش بن حيان العجلي .
أصله من عمان وسكن البصرة ، ويروى عن ثابت البناني ، روى عنه
شعبة والبصريون ، ومعنى قول الحموى وأكثر أهلها خوارج اباضية
كعادة أعداء الاباضية الذين يلمزون الاباضية باسم الخوارج ، والا
فلا جامع بين الاباضية والخوارج أبدا ، فان الخوارج كانوا يدينون
بحل مال من خالف مذهبهم وبحل دمه ، وهم في نظر الإباضية أهل كفر
في الدين حيث استحلوا ما حرم الله ودانوا بطله حتى استحلوا قتل
الأطفال وسبى الذرية ، ولم يقل بذلك أحد في الاسلام غيرهم .

وقال وصفي عنتباوى ، المفتش بإدارة المعارف في فلسطين ،
وسعيد الصباغ مؤلف كتابي الجغرافية العامة الحديثة وجغرافية
سورية العمومية المفصلة ، الطبعة الخامسة المطبوعة ١٣٦٨ هـ قال :
« يطلق اسم عمان على قطر كبير يمتد من الشحر على بحر

العرب الى شبه جزيرة قطر في خليج البصرة ، ويزيد عدد سكانه على مليونى نسمة » ، قال وبلاد عمان جبلية كبلاد اليمن . وترتفع جبالها في الداخل والساحل أيضا ، وتتجه هذه الجبال الى الشمال فتكون رأسا يدعى رؤوس الجبال . أو رأس ما سفدوم ، ويكاد يلامس هذا الرأس بامتداده ساحل بلاد ايران عند مضيق هرمز ، وهو يفصل خليج البصرة عن خليج عمان .

قال : وأعلى جبال عمان الجبل الأخضر الذى يرتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ، قلت أكثر من ثمانية آلاف متر ، ومنطقة هذا الجبل اعمر جهات عمان ، يكثر فيها السكان وتغزر المياه وتخصب الأرض ومناظرها الطبيعية بهجة للنظارين ، قال : « وتشبه بلاد عمان اليمن بجوها وأوديتها الخصبة ، وسكانها متحضرون كسكان بلاد اليمن ، وهم يقطنون المدن والقرى على سفوح الروابى وفى الأودية ، غير أن كثرة المراعى الجيدة فى السهول الواقعة وراء جبال عمان الضيقة جعلت قسما كبيرا من السكان يفضلون حياة البداوة وينتشرون فى تلك السهول » .

قال : « وبلاد عمان تشتهر بأنها موطن أجمل الهجن وأسرعها ركضا ، وتدعى هذه الهجن بالعثمانيات ، وهى تصدر منا لسائر أقطار جزيرة العرب » ، قال : « وفى بلاد عمان أقتنية كثيرة تحب الأرض لجرى مياه الينابيع العذبة الى المدن ، وأهم مدنها الداخلية الرساتاق ونزوة » ، قال : « والساحل يقع على خليج عمان أمام سلسلة الجبل الأخضر سهل ساحلى يدعى الباطنة وهو خصب التربة يمتد نحو ٢٤٠ كيلو مترا » ، قلت بل أكثر من ألف كيلو متر شمالى مسقط ، ومتوسط عرضه ٤٧ كيلو مترا ، وهو مملوء ببيارات النخيل وبساتين الفاكهة التى تعتمد عليها عدة مدن فى معيشتها ، أهمها صحار وصحم والسويق ، قال : « وينخفض ساحل عمان فى خليج البصرة فيطنى البحر على

البر ليلا بواسطة المد ، وتتكون هناك سبخات ملحية تعيش من استخراج ملحها قري كثيرة ، قال : « وقد دعى هذا الساحل بساحل القرصنة أى الملسة ، قال لأن سكانه كانوا قديما يحترفون صناعة القرصنة فى البحر ، أى هم يتلصصون » ، قال : « أما اليوم فيشتغل معظمهم بالفوس على اللؤلؤ الذى يستفيد منه العمانيون كما يستفيد منه أهل البحرين والقطيف والكويت » .

قال : « وأهم مدن هذا الساحل الشارقة التى سماها هو شرحه ودبى وأبو ظبى ، قال وتقع جزر كثيرة معظمها تقع على خليج عمان وترتفع وراءها تلال عالية فيها أبراج عالية ، وقلاع حصينة ، ويحيط بالمدينة سور عال وخارجه عدة بيوت وبعض حدائق لا تكفى محاصيلها حاجة المدينة من الخضر والفواكه ، وهى من أشد مدن العالم حرارة وتمتد تجارتها الى الهند وشرقى أفريقية ، وتصدر التمر والملح والأسماك ، وهى عاصمة بلاد عمان ، ثم قال : « صور تقع بين رأس الحد ومسقط ويشتغل معظم سكانها بالملاحة بين الهند والبصرة ، وتصل سفنهم البحر والقطر المصرى ، وهى مدينة قديمة يرجح أنها موطن الفينيقيين الأولين » ، فتراه يذكر مساحة عمان من الشحر الى قطر ، وأنها كبلاد اليمن ، وهى فى الحقيقة من بلاد اليمن كما سوف تسمعه فى كلام ابن خلدون الى مضيق هرمز وأم سندان ، ويقابل حدود ايران فى البحر العمانى الفاصل بين القطرين ، ووصف الجبل الأخضر وأنه أعمر جهات عمان ، ولا لوم عليه لأنه وصف غريب لا اطلاع له على الحقائق لكننا ننقل عن الغير فى تعريف عمان لغرض له بالمقام المأم ، ووصف عمان بأنها موطن الهجن الجميلة كما وصفها أيضا بذلك غيره ، والحقيقة أن الذين جاؤا عمان وعلما عنها فوق ما كانوا يسمعون أجمعوا فى أوصافهم وقرروا فى جغرافياتهم كل شىء صالح فى عمان ، ولو قلناه نحن لقال قائل انهم يمدحون بلادهم ، والواقع يشهد على ما نقول ، وسوف نقول ان شاء الله بعد ما نفرغ

من نقل ما قيل ونحقق الحقائق ، فان أهل مكة أدرى بشعابها ووصف
سهل الباطنة وعد منه صحار ، كما سماها صهار بالهاء بدل
الحاء المهملة . وصحم وسماها سهام بالسين المهملة بدل الصاد والهاء
بدل الحاء المهملة والسويق وقلب قافها كافا ولا لوم على غريب ،
فانه أخذ ذلك بالنقل عن مثله .

ووصف مسقط بشدة الحر ، وعثمان كلها غالبا تغلب عليها الحرارة
في الصيف ، كما قال واصفوها جاهلية واسلاما ، من أن صيدها عتيد
وحرها شديد ، وكانت عمان بأسرها كذلك ، وان كان بعضه أحر من
بعض كمسقط ، وذلك لأنها تحيط بها الجبال مكتظة بها من جميع
الجهات ، فلا يخلص إليها الهواء لفسر طريقه إليها ، كأنما يشير
اليها قول أبي الطيب حيث يقول :

إذا أتتها الرياح النكب من بلد
فما تهب بها إلا بترتيب

وذكر صور وهي كما ذكر من العمران القديم وأهلها الأقدمون
هم الذين عمروا صور الشام لما ارتحلوا من عمان وسموها باسمها .
وأهل صور أقوى من يصارع البحر منذ الجاهلية ، وقد عرفوا بذلك
وهم حتى الآن على ذلك ، ومن أشد أهل عمان على مصراع البحر
باتفاق أهل الملاحة فانهم يتغلغلون في أقاصى الهند ، ويجر الهند
معروف بأنه أخبث البحار ، كثير الأمواج كثير الأخطار ، ويسبحون في
البحار الأخرى حتى النيل ، والبحر الأحمر كاد أن يكون موطنهم الخاص ،
وكم هلكوا في هذه الأبحر لكنهم مطبوعون على حب المغامرة البحرية
ويشوقهم إليها ما يجدون من خيرات وما ينالون من أرباح ، فلذلك
يستلذون الأسفار البحرية التي تدر عليهم بالغنى ، فيتنافسون في ذلك
أشد منافسة ، ولا يكثرثون بما يلاقون ، ومن اعتاد أمرا سهل عليه .

وأهم مدن عمان قلعات وصحار الجاهلية خصوصا في الساحل .
وأما مسقط فكانت أهميتها الملحوظة بمعهد البرتغال ، وأما نزوى
فكانت أهميتها بعد تعيينها مقرا للإمامة ، وسوف ترى الكلام على
ذلك في محلة . أما صور فهي قديمة العمران لها موقعها الطبيعي ومقامها
الاستراتيجي كما يفهم ذلك أهل هذا الصدد ، وأما صحار الآن
فقد لحقت قلعات فسقطت الأهمية منها تصديقا لحديثه عليه الصلاة
والسلام : ما رفع الله شيئا إلا وضعه ، وقد شهرت الآن دبي وأبو ظبي
ورأس الخيمة والشارقة ، وجاءت الآن موجة عارمة لمسقط ترفعها
على متن الأثير تدعمها فيه الثروة البترولية ، ونالت الشهرة معها
مطرح ، فهما العينان الباصرتان في الساحل ، وأما الجبل الأخضر فهو
عرش عمان وحصنها الرفيع ، وعلى الرغم من وجود الطائرات فهو
غاب منيع لا تفتح قفله الا البيضاء والصفراء .

قال عبد القادر زلوم في كتابه الذي ألفه في عمان والامارات
السبع قال : ان عمان جزء من الجزيرة العربية يقع الى الجنوب الشرقي
منها ، ويمتد قسم منه يشكل شبه جزيرة تشبه المثلث ، رأسه الى
الشمال وينطح به بلاد فارس أى يقرب منها مسافة لامتداده في البحر
حيث رأس أم سندم ، كما أن شبه الجزيرة دعيت بساحل عمان ،
وهي التي تشمل الامارات السبع وجزءا من سلطنة عمان ، أما قاعدة
هذا المثلث فهي تتركز على خط وهمي ممتد بين قطر وسلطنة عمان ،
وأما باقى القطر العماني فيشمل ساحل الباطنة عمان ، والجبل الأخضر
والمنطقة الجنوبية وتتاخم الأولى (١) بلاد مهرة ، وأما الجبل الأخضر
فياخذ في الانحدار تدريجيا حتى يتلاشى مع كتبان الربع الخالى في
الغرب ، وعلى ذلك يمكن تقسيم القطر العماني في الوقت الحاضر على
هذا الشكل .

(١) قلت : هذا خطأ فبين مسقط وبلاد مهرة بعد بعيد والجبل لا يتلاشى
مع كتبان الربع الخالى ا . ه .

أولا — سهل الباطنة ويقع على خليج عمان ، وهو سهل ساحلى .

ثانيا — داخلية عمان .

ثالثا — المنطقة الجنوبية .

والحالة الاجتماعية فى القطر العمانى ان أول من سكن قطر عمان فى القديم فرع من العرب البائدة وهم العماليق ، ثم نزل بعد ذلك قبيلة عمان القحطانية التى أعطت اسمها للبلاد فدعيت ببلاد عمان وبالقطر العمانى ، ثم حدث بعد انفجار سد مأرب أن رحلت الأزد الى عمان ، وهى من كبرى بطون كهلان ، وضربت فى الأرض فسكن قسم منها تلك البلاد فسماوا أزد عمان ، ويظهر أن أول بقعة جذبتهم لسكنى تلك البلاد هى الجبل الأخضر حيث الأرض الخصبة والماء الغزير ، ثم توزعوا من هناك فى سائر القطر أنجادا وسواحل ، وأما باقى البطن من الأزد فقد تابعوا سيرهم الى بلاد أخرى ومنهم أزد شنوءة وغيرهم ، وقد تبع أزد عمان قبائل أخرى عدنانية وقحطانية بعد ذلك ، فسكنت تلك البلاد ، وقد ظهر الاسلام والأزدهم أهل عمان وملوكها ، وقد دخلوا فى الاسلام عندما دخل الناس فى دين الله أفواجا على يد الصحابى عمرو بن العاص ، وفى عهد ملكيهم جيفر وعبد ابنى الجلندى ، وبعد مداورات ومناورات من القائد العربى الداھية ، وبين الملكين المذكورين ، وكان هو أول وال مسلم لتلك البلاد .

وكانت تعرف عمان فى عهده عليه الصلاة والسلام باسم الغبراء ، والغبراء ، فلما بلغه اسلامهم قال : « رحم الله أهل الغبراء آمنوا بى ولم يرونى » وروى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « إني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطئ البحر الحجة منها أفضل » . أو قال خير من حجتين من غيرهما ، كما ذكرت أحاديث أخرى فى فضل عمان والحث على انتجاعها للرزق ، ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد توفى والجزيرة العربية تدين بكاملها بالاسلام ، وعلى ذلك

فعمان هي قطعة من الدولة الإسلامية التي نشأت على يد رسول الله ﷺ .

ويقال ان عثمان قد أخذت حظها من الردة في عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ولكنها سرعان ما أعلنت توبتها . قلت : لم تأخذ شيئاً من الردة أبداً ، وإنما وقع سوء تفاهم بين أهل دبا من شمال عمان والمصدق ، فظن أن القوم قد ارتدوا ، لأن بركان الارتداد من العرب الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم قد انفجر ، ففاس المصدق أمرهم على ما يسمع أو يسمع من غيرهم ، فعاجلهم وهم رهن الاشارة الإسلامية ، فقبض عليهم قبضة قادم بها الى المدينة ، وأبلغ الخليفة عنهم فسرعان ما تبين للخليفة الغلط من المصدق ، فرد القوم الى مأمئهم مكرمين محترمين ، فلقى بذلك الطاعنون في أهل عثمان سببلا لتعليق الردة عليهم ، وهل يصح أن يقال لو فرضنا ارتداد أهل دبا أنه صحيح ودبا بلاد من أدانى بلاد عمان لا أهمية لها من الوجهة الزعامية ، ولا رئاسة لها ، وإنما النظر يصح أن لو كان ذلك من زعماء عمان وأولياء الأمر فيها ، وهذا أمر قاله أحد المؤرخين بناء على الشبهة التي ذكرناها ، فسرى في أقوال المؤرخين وتداولوه في تواريخهم ونادوا به في عمان ليكون أحداثة سيئة لعمان ولأهل عمان ، والحق هو هذا وسوف ترى بسط ذلك في محله عند الكلام على اسلام أهل عمان ان شاء الله .

ومن مدنها المشهورة ، مسقط ونزوى وصلالة وصحار وسمائل ، وتاريخها ذكر ابن خلدون أنها سميت باسم عمان بن قحطان أول من نزلها من العرب في عهد أخيه يعرب بن قحطان ، ونقل صاحب تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان : « أن قبيلة الأزدي اليمنية التي هاجرت الى هذا القطر بعد حادثة سيل العرم وتهدم سد مأرب هي التي أطلقت عليها هذا الاسم باسم واد كانوا ينزلون حوله بالقرب من مأرب يدعى عمان » كما تحدث عن وقوع حوادث حربية بين العرب من رجال الأزدي

المهاجرين من اليمن وبين الفرس الذين كانوا يحتلون هذا القطر العربى تغلب العرب فى نهايتها على الفرس وأجلوهم عن البلاد ، ثم لحقت بعمان قبائل عربية من بنى سعد وعبد القيس وتميم وغيرهم ، فقد خضع هذا الجزء من بلاد العرب قبل ذلك لحكومة التابعة فى اليمن الذين امتد سلطانهم على كثير من أقطار الجزيرة العربية كما سبق فى موضعه ، فلما جاء الاسلام كان ملك عمان الى عبد وجيفر ابنى الجلندى الأزدي ، فبعث اليهما رسول الله ﷺ عمرو بن العاص السهمى بكتاب يدعوهما فيه الى الاسلام ، وقال فى تحفة الأعيان فى تعريف عمان قال ابن خلدون : « هى من ممالك جزيرة العرب المستملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان » قال الامام : « يعنى عمان بعض جزيرة العرب المستملة على هذه البلدان » •

قال : « وهى خامسها اقليم سلطانى منفرد على بحر فارس من غربىها مسافة شهر ، شرقىها بحر فارس ، وجنوبىها بحر الهند ، وغربىها بلاد حضرموت ، وشمالىها البحرين كثيرة النخل والفواكه ، وبها مغاص اللؤلؤ سميت بعمان بن قحطان أول من نزل بها بولاية أخيه يعرب بن قحطان ، يعنى أن يعرب ولى عليها أخاه عثمان فسميت باسمه وصارت بعد سيل العرم للأزد ، وجاء الاسلام وملكوها بنو الجلندى » الى أن قال « وهى فى الاقليم الثانى ، وبها مياه وبساتين وأسواق ، وشجرها النخل » الى أن قال : « وقلهات هى فرضة عمان على بحر فارس ومما يليها الشحر وحجار فى شمالىها ، » وأراد بها صحار تحريفاً للصاد المهمله بالحاء المهمله الى البحرين أى الأحصاء بينهما سبع مراحل ، وهى فى جبال منيعة أى عمان فى جبال منيعة ، فلم تحتاج الى سور ، وسيأتى أن عمان كانت قبل العرب فى يد الفرس ، وأنها صارت اليهم بعد سيل العرم بعد حروب الخ الى أن قال : وانهم أسموها باسم واد كانوا ينزلون حوله ، اذا كانوا فى مأرب ، وأن الفرس كانت تسميها مزون وفى ذلك يقول قائلهم :

إن كسرى سمي عثمان مزونا
ومزون يا صاح خير بلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل
ومراع ومشرب غير صادي

وقال المسعودي في المروج : وسنجدار قصبه بلاد عثمان وأراد بها
صحار ، قلت هي صحار بعينها ، وانما حرف اسمها غلطا ، وقال
الأندلسي الشريسي : صحار سوق عمان ، سيأتي ذلك عند الكلام على
صحار ، قال : « ومرساها فرسخ في فرسخ » ، أي كانت مرسى عظيما تكثر
فيه السفن بحيث يصير امتدادها الي هذه المسافة ، الي أن قال :
« وبلاد عمان ثلاثون فرسخا » ، قلت : إن كان أراد طول ساحل عمان
ربما قارب ذلك كما سوف نتقف عليه في محله .

قال : ما ولي البحر سهول ورمال ، وما تباعد حزون وجبال ،
وهي مدن أي عديدة ، قال : منها مدينة عمان أي صحار ، لأن لها
الشهرة إذ ذاك » ، قال : وهي حصينة على الساحل ، قلت : كان تحصينها
بأسوار تحيط بها قوية متينة ، قال : « ومن الجانب الآخر مياه
تجرى الي المدينة أي ان صحار كانت تسقيها المياه بالقتنى المنجرة اليها
من الأودية التي هي في أعلاها ، وهي التي تعرف عند أهل عمان بالأفلاج
عرفا شائعا عاما الي آخر ما وصفها به » ، وسيأتي ذلك في محله ان
شاء الله الي أن قال : « أحوازها مغاص اللؤلؤ ، لأن أحواز عمان كما
عرفت الي الأحساء ، وكل هذا الساحل تابع لعمان ، وان قيل تابع لصحار
غير بعيد ، لأن الشهرة في ذلك العهد لصحار في الساحل الشمالي .

قال في معالم الجزيرة صفحة ٢١ : « ان البراكين في القديم هي
التي كونت الجزيرة على هذا الوضع الحاضر ، انما هو من عمل

البراكين التي نرى من آثارها الآن الشيء العظيم ، فجميع الحرارة الموجودة في جزيرة العرب ما هي إلا اندفاعات بركانية خلفت لنا الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة فأمسكتها عن التفتت والزوال « الى أن قال : لقد حدثت حركات أرضية فوق الادوار القديمة سببت تكون أخدود البحر الأحمر ، وانقسام القارة العظيمة الى قسمين قسم غربى البحر الأحمر نعرفه الآن بأفريقيا ، وقسم آخر شرقية نعرفه ببلاد العرب ، وقد تكونت عمان والجبل الأخضر بحركات أرضية مءالة ، قال فان المستر برترام توماس يؤكد في كتابه (العربية السعيدة) أن بلاد عمان كانت في الأعصر الجيولوجية قسما من بلاد ايران ، قلت : ان كان يعنى أنها قسم من بلاد ايران أى تابعة لها فمسلّم ، لأن الفرس تولوا عمان وألحقوها ببلادهم حتى جعلها أحد ملوكهم منفى لمن أراد نفيه من بلاده ، ومكثوا فيها عهداً طويلاً الى أيام نبي الله موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام ، حتى أجلاهم العرب في عهد قريبة من البعثة ، وتم جلاؤهم بعهد الاسلام في عمان ، وان كان يعنى أن عمان من بلاد ايران وتكون هذا البحر الفاصل بين عمان وايران ففصلهما عن بعضهما بعضاً ، فمن الممكن ذلك إلا أنا لم نقف له على صحة ، وعلماء البحار يذكرون أمكنة كانت أبحرا فصارت برا ، وبرا صارا بحرا ، وذلك بعد الطوفان ، ولعل هذه الحوارة التي في بلاد العرب نتيجة تلك للبراكين أو الغازات ، وأخص بالحرارة بلاد العرب وعمان من أحرها فلعلها أكثر بلاد العرب غازا ، وبراكين الغازات فيها غزيرة المادة .

وعمان مملكة خالدة من عهد عريق تتولى ممالك فتضمها اليها أحيانا وتتأخر في بعض الأحيان فتبقى على كرسيها بعمان ، وربما غزاها غزاة في بعض الأزمنة فيتغلغلون في قلبها ويتولون أمرها بشأن

الممالك الهامة التي تطمح اليها الأنظار ، وعمان كما قيل عنها كرسى الجزيرة في الشرق كثيرة المعادن المتنوعة .

واعلم أن عمان قديما اسم يشتمل هذه الرقعة التي هي منتهى شبه الجزيرة الى البحرين الحسا ، فهذه كلها عمان فيدخل فيها العقير وقطر ، ثم تبدل هذا الحال بعد ذلك فانفصل عن اسم عمان ذلك الطرف الغربي المشار اليه ، ثم انفصلت قطر وأعلنت أنها قطر مختص بواحاته وصحاريه ، وبقي الاسم العماني شاملا لأبو ظبي وما يليها تشريفا الى مسقط ، ثم كاد أن ينفصل هذا الى أقطار خصيصه حتى صار الخارج من دبي يقول انه رائح الى عمان وكذلك أهل الساحل على طوله ، فيبقى اسم عمان مختصا بالبلاد الداخلية وهكذا ، وهذا من باب التغير الطارىء لأحوال اقتضاها الحال في عمان ، وبلغنى أن على بن عبد الله آل ثانى لما أطلع على الاسعاف ورأى فيه اسم عمان يشمل قطر استنكر ذلك ، ولو رجع الى أصول التاريخ لم يستنكر ذلك ولأيقن أن لعمان الشرف الطويل العريض ، ولم يتبرم من كون قطر قطعة من عمان ، ولو ألقى نظرتة الى كلام ابن المغرب العيوبى حيث يقول فيقصيده اللامية الهائية وهو البيت الثالث والخمسون منها وهو قوله :

وجازت قرى البحرين عيسى وأصبحت

عمانية واستسهلتها سواحلها

قال الشارح : « ويعنى بالسواحل سواحل البحرين من عمان » ، أن سواحل البحرين من عمان لو نظر ذلك الأمير الى هذا وأمثاله لما استنكر كون قطر من عمان ولا عبرة بالتقسيم الطارىء على الممالك ، فان ذلك شئ آخر غير ما نحن بصدده ، فقد صارت عمان في القرن العشرين وهو القرن الرابع عشر الهجرى ممالك متعددة ، وأقطار منفصلة تتنافس في الشئون ، ولا سيما لما صار الساحل المعروف بالمصالح أو

المحمى كله امارات ، وفي قلب عمان امامة مختصة بجانب منه ، وفي ساحله سلطنة جائمة عليه ، وهكذا صار اسم عمان يتعلق بالقلب الداخلى ، وبهذا البيان نعلم أن عمان اسم شامل لهذه الامارات كلها ، وتقع البريمي في القلب من عمان لا علاقة لها بأى قطر من أقطار الجزيرة العربية ، اللهم إلا إذا كان الحكم للسيف لا للقلم ، فللسيف حكم التغلب والقهر وللقلم حكم التحقيق والعدل الى الحق ، ويرجع العدل الى الحق لا الى التغلب ، ولو كان الحكم للسيف فلعمان أكثر بلاد العرب في الجزيرة الى رأس الرجاء الصالح بشهادة الأجانب من اليهود والنصارى ، وباعتراف العرب في معظم البلاد .

فانظر في حياة الشرق وغيره من كتب التاريخ جاهلية واسلاما تجد التحقيق ، أما عمان الطبيعية فهي ما يشمل ما ذكرناه لا ما يقوله الغير . قال الخضرى في محاضراته إذ يذكر جزيرة العرب قال : « وأسلاف البحرين وقطر وعمان » قال في التعليق : « بلاد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان » ، قال : « وكانت هي وعمان أيام بنى العباس عملا واحدا » ، أى أن البحرين وقطر وعمان كانت تعتبر بلدا واحدا في ذلك العهد ، وذكر قطر وهي بفتح القاف وفتح الطاء المهمله قرية على سيف الخط بين عمان والعقير وهي أى العقير بحذاء هجر ، وقال في صحار : « كورة عربية على ساحل بحر الهند بين حضرموت وعمان ، » قال : « وتنتهى الى البحرين » . أى عمان نهايتها البحرين ، قال : « وقصبتها مدينة صحار » ، قال صاحب جغرافية الشرق الأدنى إذ يذكر الشحر : « تمتد هذه المقاطعة أى مقاطعة الشحر شرق شمالى مهرة وتعد جزءا من بلاد عمان » ، قال : « وينتشر سكانها في الساحل بين جزائر كوريا موريا وجزيرة مصيرة الخ » ، وعلى كل حال ان الشحر قطعة من عمان ، وان كوريا موريا هما من عمان باتفاق المؤرخين القدماء الذين هم الحجة في تحقيق التاريخ ، أما

الذين يتبعون أهواءهم فلم يكونوا حجة في شيء ما ، والتاريخ العربى والإفرنجى شاهد بما قلناه .

قال بعض الكاتبيين : أن عمان هى جزء من جزيرة العرب تمتد من حدود قطر الى حدود حضرموت وغير مضبوط عدد سكانها ولا يوجد بها احصاء رسمى ولا اهتمام لأهلها بذلك . قلت : بل لهم اهتمام عظيم ، فقد روى أن سعال وهى مطه بنزوى بلغ سكانها أربعة عشر ألفا ، ولو لم يكن لهم اهتمام لما علموا ذلك فى القرن الثالث عشر الهجرى .

ولا يعرف أول من سكنها على الصحيح ، ذكر بعض المؤرخين أن قبائل العرب البائدة طسم وجديس كانوا بها والعمالقة هم الأخص بها ، قال : « ولا يفهم أنهم انقرضوا أو أخرجهم الفرس منها » . قال : « وكتب أهل التاريخ القديم والحديث كثيرا عنها وعن سكانها » قال : « ولابن خلدون وابن الأثير قدم السبق » أى فى التحدث عن عمان ، قال : « وذكرها غيرهم كالطبرى واليعقوبى والمسالك والممالك » ، قال فيلبى : « ان الأقسام الجنوبية من شبه جزيرة العرب هى الوطن الأصلى للساميين » ، وأراد بهم ذرارى سام بن نوح عليه السلام وقد سبق لنا ذلك .

ذكر العوتبى فى الأنساب وهو أحد رجال العلم فى أوائل أهل عمان .

وفى كلام بعض التميميين يقول :

ألا يا من لصب مستهام

قريح القلب قد مل الزونا

بفتح الميم وضم الزاي المعجمة قال البرد في معناه المزون عمان
وهو اسم من أسمائها ، قال الكميت :

فأما الأزد الأزد بنى سعيد
فأكره أن أسميها المزوننا

والمعنى أن اسم المزون اسم لعمان فأكره أن أطلقه على الأزدي
لا أطلق عليهم اسم بلدهم : وقال جرير :

وأطفأت نيران المزون وأهلها

أ ه من شرح أبي الحديد على نهج البلاغة في الجزء الرابع صحيفة

١٥٨ أ ه .

قلت : ولنا في رعاية الأحساب عن العمالقة هم بنو عملاق بنو
لاوذ بن سام ابن نوح ، قال السويدي : وهم عظمة طوال القامات
يضرب بهم المثل في الطول • يقال رجل عملاق ، أى بالغ الطول قامات
العماليق ، وكذلك عظم الجثمان ، تفرقوا في البلاد فكان منهم أهل المشرق
وأهل عمان والبحرين والحجاز » ، قلت : وهذا يدل أن من أول من
سكن عمان العماليق ، قال : وكان منهم ملوك العراق وجبابة الشام
والجزيرة وفراغة مصر ، ومنهم قبيلة جاشم بجيم بعدها ألف فشين
فميم ، قال السويدي : هم بنو جاشم بن عملاق كانت مساكنهم يثرب
والبحرين وعمان الخ •

مناخ عُمان

أما مناخ عمان فهو طيب جدا شتاء أو صيفا ، وان وصفت بالحر في الصيف فقد صح أن غيرها من بلاد العرب أحر منها ، (فنجد) أحر من عمان بمسافات وكذلك سائر الجزيرة ، وان كان العراق والشام وبقى بلاد العرب من غير الجزيرة لا حر بها فعمان طيبة الهواء جدا ، أما السموم الحار الذي يهب في الصيف فليس لعمان منه أكثر من غيرها ، بل هواء عمان دائما سحسج يارد أو معتدل ، وكذلك البرد لم يكن بها برد شديد بالنسبة الى باقى بلاد العرب ، فالرياح في الطرف الشرقى من جعلان الى أطراف نزوى والظاهرة طلق نظيف لطيف ، وهواء البريمي كذلك ، أما هواء الباطنة ففيه بعض اللزوجة في وقات غير طويلة المدى ، ثم تذهب لزوجته ويبقى باردا رطبا تعشقه النفوس ، واذا تبرم منه أهل عمان فمعناه لم يتعودوا على هواء البلاد الأخرى ، فالرياح لم تكن زعزا الا نادرا ولا تنقف أيضا بتاتا بحيث يسبب توقفها ثقلا على النفوس كبيرا ، وأما هواء الجبل الأخضر في الحر يكون رخيفا طيبا يسلى النفس وينعش القلب وينشط الدم ، وأما في الشتاء بارد جدا بحيث تؤذى برودته لغير المتعود بها لارتفاعه ، فانه يقدر ارتفاعه بأكثر عن عشرة آلاف متر عن سطح الأرض بحيث لا يحس المائى بحر الشمس اذا مشى فيه وقت الحر ولو حافيا ، وفي الشتاء اذا وقعت الأمطار وهبت الريح يجمد الماء .

جبال عُمان

أهم جبال عمان الجبل الأخضر وهو الجبل الخاص ببني ريام عند الاطلاق ، ثم جبل الكور الخاص ببني هناة ، ثم قنة وادى السحتن وهو الخاص بأل عبدة بن زهران ، ثم تبقى قطع من الجبال

بعمان لها حكم الجبل الأخضر في بعض الأحوال كجبل صيا في حطاط ، وهو جناح مستطيل بوادي الطائيين وقطعة منه بجعلان تدعى بجبل قهوان ، ثم جناح يمتد من جبل بنى ريام مغربا حتى يعانق جبال الحدان ابن شمس فيستمر سائرا في الغرب حتى يشرف على سفح البريمي . ثم تمتد جبال ليس لها من صفات الجبل الأخضر لا اسما ولا معنى . وبعض هذه الجبال التي ذكرناها ليس لها حكم الجبل الأخضر إلا في اللون أو في العلو أو في البرودة فقط ، أما جبل بنى ريام فهو جنة عمان وجنتها ، وأما جبل الكور ففيه بعض من نوع ما في جبل بنى ريام ، وأما قنة وادي السحتن فهي قطعة من الجبل الأخضر فيها بعض الصفات الملحقة لها بحكم جبل بنى ريام ، ثم بقيت جبال في عمان فخمة ضخمة في ذاتها لكنها تخالف ما ذكرنا في صفاتها ، والجبل الأخضر على الاجمال حصن عمان من العدو الغازي ، وحوض عمان لحفظ مياهها وكرس الأمن في غالب الأحوال ومستشفى المرضى من أمراض عديدة لا علاج لها إلا استنشاق هواه وأكل ثمره ، إذ هو روض من الرياض في فواكه وزهره ولطيف نسيمه وحسن رباه .

رمال عمان

أعلم أن عمان أخذت حظها من الرمال المتناثرة والمتكدسة القارة والمتنقلة ، ففي الباطنة رمال مفروشة عليها معروثة وغير معروثة ، هادئة قارة لها عمقها في الأرض صائحة للغراس على اختلاف أنواعه باجماع أهل الفلاحة ، ولذلك صار اقليم الباطنة عامرا أغلبه مأهولا مملوكا على طول الساحل المتصالح الى حيث ينتهي ، وفي عمان الداخلية رمال متنوعة منها الهادي والمتنقل والمتراكم وغيره من حملان والدقم ومحوت الى ظفار في الجنوب والى الأحقاف في الغرب الى قطر ، وبادية الظفرة الى أبو ظبي ودبي في الجانب الشمالي .

مراعى عمان

اعلم أن مراعى عمان كثيرة متنوعة لا يحصيها قلم كانت مهما كان ومهما صح له من فراغ وخصوصا أيام توالى الأمطار فانها تصير كلها سهلا وجبلا روضة خضراء ودوحة زهراء وجنة بهجة ، الا أن أمطارها قليلة غالبا .

حيوانات عمان

اعلم أن عمان بها كل الحيوانات الأهلية من الابل التى يضرب بها المثل فى حسنها وجمالها وفى ركضها وأعمالها باتفاق خبراء العرب الذين لهم الخبرة والتجارب ، وقد شاع هذا عند المؤرخين قديما وحديثا ، وقضت به التجربة والمادة أيضا ، وقد صح أيضا أن لبن الحيوانات العمانية أصح الألبان ولحما أطيب اللحوم بحيث لا يمتزى فى هذا أحد ، وأما البقر فى عمان فكالابل بغير مدافع ألبانها ولحومها على حد سواء فالسمن العمانى لا مثيل فى العالم باجماع أهل الأقاليم ، وان قال بعضهم ان سمنهم قليل فيتمكون من تصفيته ، فالحق أنه أطيب الأسمان ان لم يغش ، لأن المراعى العمانية أطيب المراعى ، فلذلك يكون اللبن والسمن أطيب الألبان والأسماك واللحوم كذلك ، فان طيب المرعى مؤثر فى المراعى وهذا لا يدفعه أحد إلا مكابرة .

وأما الغنم بعمان فهى كالابل والبقر فى طيب الألبان والأسمان واللحوم ، وأنواع الغنم فى عمان كلها موجودة ولها نهاية الجودة ، بل ربما قال بعض الخبراء الذين لهم الدارية الكاملة ، ان حيوانات الداخل تفوق حيوانات الساحل ، وحيوانات الجبال تفوق حيوانات الأودية ، والسيوح معظم الأجسام وطيب الألبان والأسمان واللحوم

حتى بالغ بعضهم فقال بالفرق في الأرواث لدى الأسمدة ، وذلك غير بعيد أيضا •

وأما الخيل فخييل عمان تفوق على خيل باقى بلاد العرب ، لأنها تطعم اللقت والتمر العماني ، وذلك هو الذى يكسبها التفوق فى ركضها والحسن فى هيئتها وجمالها ، ثم تليها خيل البحرين فخييل نجد كذلك •

وأما حمير عمان فهى أنواع منها حمير الجبل الأخضر كالبنغال لا تختلف عنها فى شىء أبدا ولا تصلح فى الجبل غيرها وباقى الحمير عديدة الأنواع •

وأما الحيوانات الوحشية

ففى عمان الوعل والظباء بكثرة الا أن السيارات الآن فرقت بها شعر بفر ، ويوجد بها الثعالب والأرانب ، ومن الحيوانات الضارية بعمان الذئاب والضباع ، أما الأسود والنمور والفهود فلا توجد بها أصلا إذ لم نجد لها ذكرا فى التاريخ القديم والحديث ، وتوجد بها الحيات المتوسطة الحجم والصغيرة الحجم أيضا أما الحيات الكبار التى تذكر فى البلاد الأخرى فلا توجد بعمان أصلا •

وأما بحر عمان

فهو بحر الخير ومخزن الأرزاق لأنه كثير الأسماك الطيبة اللذيذة صفارا وكبارا ونوعا يسميه أهل عمان العومة ، وآخر يطلقون عليه ما دام طريا اسم البزية بتشديد الزاء المهمله والياء المثناة من تحت ، واذا جف سموه قاشعا بقاف مفتوحة فشين مثلثة فعين مهمله ،

ومن هذه الأنواع يصدر الى الخارج كميات كبيرة تعود على الأهالى بأثمان وافرة ومبالغ مهمة ، كما تكلم على هذه الأنواع كثيرون من المؤرخين ، وفي بحر عمان من أنواع السمك ما لا يوجد في غيره كثرة وطعما .

وفيه مغاص اللؤلؤ الذى هو أكبر الذخائر في العالم ، ولا يوجد في غير بحر عمان من ذلك ، وان وجد فشىء غير كبير الأهمية ، ومازال بحر عمان هادئا مطمئنا قليل الأخطار كثير الخيرات عظيم البركات ، وعند أهل عمان يرجع ذلك لدعائه عليه الصلاة والسلام حين استدعاه الصحابى الكريم مازن بن غضوبة السعدى السمانلى وقد شهد ذلك وعسى أن نذكره في محله ان شاء الله .

أودية عمان

لقد ذكرنا في مقدمتنا لتاريخ عمان بعضا من أودية عمان ونذكر هنا بعض منها وأهمها في الداخلية وادى القريات ، وقد ذكرنا مبتداه ومنتهاه ، وهو واد كثير المزارع طويل المدى فيه قرى متعددة وأفلاج مبعثرة ومزارع متناثرة على طول خطه .

وقريب منه وادى عندام المنحدر من رؤوس العق والجرداء ، ويمر الى أن ينتهى في الرمل الجنوبي من عمان ، مأهول مسكون قراه وقلواته إذ هو كثير الفلوات واسع الغابات ذو ريف جميل لا يخفى على من مشى فيه .

ووادى حلفين بحاء مهملة مفتوحة بعدها لام ساكنة ففاء فمثناة تحفية فنون ينحدر من الجبل الأخضر من سفحه الشرقى ليمتد الى الرمل الجنوبي ويسقط في الرمل كثير البلدان والسكان .

ووادى سمائل النازل من الجبل الأخضر بعض شعابه الغربية ،
ثم يلتقى بشعاب أخرى عديدة كثير البلدان المحتوية على عشرات الآلاف
من الرجال دون النساء والولدان ، لا يزال خصبة مستمرا الى أن ينزل في
رمال الباطنة بالسيب ، يحتوى على أمهات القرى في عمان •

ووادى بنى خالد في الجانب الشرقى واد متسع مأهول كثير
السكان متسع البلدان ، واقع في شرق عمان ، من أكبر الأودية العمانية
التي لها أهميتها •

ووادى الطائيين واد عظيم له شعاب واسعة وبه قرى وبلدان متعددة
القبائل كثيرة العدد •

ووادى وما يشتمل على قرى لبنى شهيم وغيرهم من سائر
القبائل وبه بلدان واسعة بالنسبة الى تلك القرى الجبلية •

ووادى المعاول المشتمل على تلك الديار الفيحاء ذات الحدائق
الجميلة ، وفي رأسه نخل وهي من أمهات القرى في هذا الوادى المنحدر
من سفوح الجبل الأخضر المعروف أعلاه بوادى مستل بميم مضمومة
وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقية وآخره لام ، وهذا الوادى من أكبر
الأودية وأكثرها عمراناً •

ووادى الأبيض المعروف من أعلاه بوادى بنى خروص لاشتماله على
بلدان بنى خروص وفي آخره قرية الأبيض المأهولة ببني صباح •

ووادى الرستاق أعمر الاودية العمانية وأكثرها أرزاقا على الاطلاق .
لأن في أعلاه قرى لبنى عوف وفي وسطه الى آخره قرى الرستاق المتعددة .

ذات الحدائق الغناء ، والبساتين الزهراء ، والغياض الخضراء أو على الاطلاق هو وادى الخيرات ، وادى الأرزاق كثير القبائل واسع الفضائل •

ووادى بنى غافر من الأودية المتسعة التى لها أهميتها فى عمان مأهول بقبائل عديدة تحت اسم بنى غافر فيه بلدان رائقة حسنة يبتهج بها القلب •

ووادى الجهاور كذلك من الأودية المأهولة العامرة بقبائله العريقة •

ووادى بنى عمر من الأودية الهامة المعروفة المتعددة البلدان والقرى والمزارع الذى لا يزال عامرا كسائر أودية عمان ذو أهمية قبائلية وأمة التى تعيش فيه عيشة الأحرار •

ووادى الجزى المنحدر من جبال واحة البريمي المنصب فى النواحي الصحارية عامر بسكانه المتعددين من ككود ومقابيل وغيرهم من القبائل ، ويشتمل على بلدان معروفة لا تخفى على أحد لأنه طريق البريمي الى صحار الى الشمالية فى الغرب والى مسقط فى الشرق •

ووادى القور آخر الأودية فى الجهة الشمالية معروف عند الكل من مواطنين وأجانب ، وسكانه كذلك لا يخفى مقامهم وبلدانهم معروفة لا تحتاج الى ذكر ، وعلى كل حال ان هذه الأودية التى ذكرناها هى أمهات الأودية فى عمان ، والا فقد بقيت أودية كثيرة مأهولة عامرة لم نذكرها لصغر بلدانها وقلة قطانها ، لكن مجموعها يسد فراغا هاما فى عمان الداخلية ، ولا يخفى انا لم نذكر البلدان الواقعة فى هذه الأودية بأسمائها فضلا عن أممها وقبائلها ، ذلك شئ يطول وربما كان عسيرا ، فان مساحة عمان تقدر بمساحة بريطانيا وكلها مأهولة مسكونة بقبائل متعددة •

ولا يخفى أن الوضع العماني ينقسم الى قسمين .، والقاسم له الجبل الأخضر ، فانه صار سنام البعير وغاربه ، فأما الجانب الشمالى منه من جوزة رأس الحد فى الشرق الى رأس أم سندم فى الغرب ، فهو منخفض جدا نهايته البحر ، فانه يسير فى انحدار بحيث يغلب على القياس حتى يتصل بالبحر انحداراً ملطوسا ، فترى أمطاره تنقض الى البحر انقضا باهرا بحيث يحسبها الرائي انفجار براكين هائلة لاصاد لها ولا راد .

أما القسم الجنوبى بخلاف هذا فانه يتنازل تدريجيا الى أن ينتهى فى الرمل كما قلنا ، ثم ان الله جلت قدرته جعل قيمان الأودية المنصبة الى الشمال كلها صخرا يمنع بقاء الماء فى قيعانها ، بل سرعان ما يسيل الى البحر ، وبعبكس الأودية الأخرى ، ثم ان الجبال الحالة فى الوسط العماني هى الكفيلة بتقسيم مياه الأمطار على هذا الوضع الذى ذكرناه .

الولايات بثمان

اعلم أن عمان تشتمل على أكثر من أربعين ولاية فى الوقت الحالى ، والمراد بالولاية منطقة يحكمها والٍ وقاضٍ أو أحدهما ينفذان فيها حكمهما بشرع الله ، ويحكمان على القوى والضعيف ، ويستمدان قوتهما من الحاكم الأعلى ، ولهما جنود مدنيون يقومون بتنفيذ الأوامر ، وأرزاقهم جميعا إما من السلطنة العليا أو من خراج نفس الولاية على حسب الاتفاق بينهم ، على هدى القوانين الاسلامية عن السلف الصالح كما هو معروف عندهم أشبه بأيام الخلفاء الراشدين .

العواصم بعُمان

عواصم عُمان الساحلية :

أولها : مسقط - قال الحموي : « مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر » . قلت هذه صفة لم تنطبق على مسقط ، ولكنها وصف غريب يصف الشيء على غير صفته ، فهي على ساحل البحر مما يقابل فارس أو على الأقل مما يلي مكران ، فأين مسقط من اليمن بل هي عاصمة عمان من البحر في الجانب الشرقي الشمالي ، فهي مدينة من مهام المدن على البحر العربي الفارسي علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادي عشر للهجرة ، حين حل بها البرتغاليون وبنوها حصنا لهم بل حصونا وسورها من الجبال بأسوار مكيئة حين صار ملك عمان بأيدي الطغاة من آل نبهان ، واستمر بها الحال أيام اليعاربة الأجلاء الذين يفتخر بهم الدين وتبتهج بهم الدنيا ، ثم اتخذها آل بوسعيد عاصمتهم الوحيدة وهكذا تطور وقتها حتى الآن ، والله في أرضه وبلاده نظرات والحمد لله .

والثانية : مطرح - وهي العاصمة الراقية لا تبعد عن مسقط فوق نصف ساعة على الماشى وعلى السيارة الآن عشر دقائق أو دونها ، وهي مدينة تجارية أقام صرحها الحالي البترول وأنعش روحها السلطان الحالي قابوس بن سعيد المفدى ، فقام بعنايته شرفها الجديد ، فهي مصب التجارة العمانية على اختلاف أنواعها وهي في الثغر الباسم في وجه القادم الى مسقط ، وهي محاطة بجبال منيعة كمسقط المار ذكرها وبها الرصيف الذي أقامه بها السلطان قابوس .

ثم الثالثة : صور - وهى العاصمة الثالثة ، لها المقام الرموق فى العواصم الساحلية العمانية من نواح عديدة ، فهى بالجنبنة عزيزة منيعة ، وبعمان قلعة رفيعة وبالسultan العُمانى كورة وقيعة ، تمون عمان الشرقية وترمى بأبطاها فى المغامرات فى وجه الطليعة ، فى أفق مكشوف وفضاء معروف ، لها منظر بديع فى البلاد العمانية ، لا تباريها فيه بلدة من البلاد العمانية الساحلية مهما كانت ، إلا أن أهلها فاقدون الحضارة ولهم فى سبر البحر زائد المهارة ، وبها فى الأعلى منها حدائق غناء ناشئة على مياه عذبة لا يتصل بها البحر ، بها مزارع للخضراوات لا تزال وافية بحاجياتها ، الا أنها قائمة على الزجر لا على الأنهار ، والآن يسر الله الآلات العصرية التى تقرب من الأنهار لتيسير مؤنتها وبذلك تصبح البلاد متقدمة جدا .

ثم صحار فى الجانب الغربى : صحار - العاصمة الرابعة ، قال باقوت الحموى ، فى الجزء الثالث ، فى حرف الصاد بالضم أى بضم الصاد المهملة ، وآخره راء مهملة ، قال : وصحار قصبه عمان مما يلى الجبل ، وتوام قصبتهما مما يلى الساحل ، قلت : هذا غلط فاحش ، ان لم يكن قلباً مطبعياً ، فان الأمر بالعكس ، فصحار على البحر ، وقد أكل البحر منها أذرعاً بل أبوعا . وتوام اسم للبريمى ، والبريمى فى عنق عمان ، وهى احدى عواصم عمان وأكبر مقاطعاتها فى الداخل ، قال الحموى : « وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه . مبنية بالآجر والساج » ، أى لكون الحجر بعيدا منها فى الجبال العالية . والمرتفعات النائبة ، قال الحموى : « كبيرة أى صحار . مدينة كبيرة » . قال : « ليس فى تلك النواحي مثلها ، سميت بصحار بن أرام بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو رباب وطسم وجديس . قال اللغويون : انها تلى الجبل ، قلت ليس هذا مما يختص به اللغويون بل هذا مما لكل ذى علم بالاطلاع عليه أن يقوله فلا مزية للغويين فيه يختصون بها ، ثم قال البشارى : صحار قصبه

عمان ليس على بحر الصين بلد أجل منه عامر أهل حسن طيب نزه
ذو يسار وتجار وفواكه ، أجل من زبيد وصنعاء وأسواق عجيبة وبلدة
ظريفة ممتدة على البحر دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة ، قال :
والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ، قال
ولهم آبار عذبة وقنساء حلوة أى فلج بحسب العرف العُماني ، قال :
وهم في سعة من كل شيء قال : « وهو دهليز الصين وخزانة الشرق
والعراق ومغوة اليمن » ، قال : « والمصلى وسط النخيل ومسجد صحار
على نصف فرسخ أى في وسط البلاد والمسافة لنتهى صحار نصف فرسخ
من الشرق الى الغرب أو من الجبل الى البحر أو من الكل » ، وجميع
ذلك غير بعيد من الحق ، فان صحار كما وصفها انها دهليز الشرق ،
وان أهلها في سعة من كل شيء وهذا ما ليس عليه من مزيد ، وأنها
خزانة الشرق كناية عن كثرة الأموال والأرزاق بها ، إذ كانت تصب
اليها أموال عظيمة ، قال الحموي وهو يذكر محل مسجدها : « وثمت
بركت ناقة رسول الله ﷺ » ، قلت : لم نعرف هذه الناقة متى بركت
هناك ، ولعلها في عهد عمرو بن العاص أيام جاء الاسلام أهل عمان ،
وكان الركوب على النوق وان مركوبته هي ناقة رسول الله ﷺ ، أى
احدى نوقه ﷺ ، قال : « ومحراب الجامع مكوكب يدور ، فتارة تراه
أصفر وتارة تراه أحمر وأخرى أخضر وهكذا » ، قلت : ان المحاريب في
المساجد أول من أحدثها عمر بن عبد العزيز الأموي أيام تولى المدينة قبل
خلافته تعيينا لموضع الامام من الجماعة في الصلاة ، قال الحموي : « ولا
أدرى كيف كان بروك الناقة وكأنه أخذ ذلك نقلا عن غيره » ، ولعل حقيقته
ما ذكرت لك قال : « وفتحا المسلمون في أيام أبى بكر الصديق رضى
الله عنه في سنة اثنتى عشرة صلحا » . قلت : وهذا من الخطأ
الفاحش الذى يقع فيه المؤرخون ، ومنه يتضح خطأ ما قالود في

ردة أهل دبا ، بل ردة أهل عمان ، لقد صح واشتهر عند أهل العلم بالسير والتاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل عمرو بن العاص السهمي القرشي إلى جيفر وعبد أبني الجلندي ملكي عمان في اسلام أهل عمان ، وذلك في سنة ثمان للهجرة ، والقضية عند أهل التاريخ أشهر من نار على علم فسبحان من له الكمال وحده .

قال الحموي وإليها ينسب أبو علي محمد بن زوزان الصحاري العماني الشاعر ، وكان قد نكب فخرج إلى بغداد فقال يتشوق بلدته من قصيدته :

لما لله دهرًا شردتني صروفه
عن الأهل حتى صرت مغتربًا فردا
ألا أيها الركب اليمانيون بلغوا
تحية نائي لدار لقيتموا رشدا
إذا ما حلتم في صُحار فألموا
بمسجد بشار وجوزا به قصدا
إلى سوق أصحاب الطعام فإنه
يقابلكم بابان لم يوثقا شدا
ولم يرددا من دون صاحب حاجة
ولا مرتج فضلا ولا أمل رفدا
فموجوا إلى داري هناك فسلموا
على والدي زوزان وقيتم جهدا
وقولوا له إن الليلي أو هنت
تصاريها رفدي وقد كان مشتدا

ونجين عنى كل ما قد عهدته
سوى الخلق الرضى والمذهب الأهدا
وليس يضر السيف إخلاق غمده
إذا لم يفل الدهل من نصله حدا

وهذا ليس من محل ذكر العواصم بل من محل ذكر أعيان عمان
من علماء ونبغاء وخطباء وشعراء ، ولكن ذكرناه استطراداً كالتعريف
بصحار •

واعلم أن العواصم الساحلية هي المنظور اليها من الوجة الاستراتيجية،
فإنها هي ثغور القطر وهي أبوابه فمهما تكون قوة الأبواب وحصانة
الثغور تكون قوة القطر ، فاذا كانت الأبواب خشبية أكلتها الأرضة أو
النار ، واذا كانت حديدية فيحسب قوة حديدتها وضخامته وضعفه
ودقته ، والقوة في الكون هي العمدة فيه واليها المنتهى •

والثغور هي أسوار البلاد وهي حصون الأقطار وهذا ما
لا يمتري فيه أهل النهى •

أما العواصم الداخلية فهي عبارة عن مواطن الحكام الذين
يحكمون البلاد وأهم العواصم الداخلية : نزوى إذ هي مقر الامامة
وعرش العدالة وكرسى الشريعة منذ عهد غير يسير ، وأهل عمان
بطبيعة مقضى مذهبهم غير وادعين الى الزخرفة المصرية ، ولا راكبين
اليها لأسباب أبلتهم على هذه الحال لا تخفى على عباقرة الرجال ،
فنزوى عرش عمان الداخلية على كل حال •

الحلقة الثانية

في الأمم التي قطنت عمان

أعلم أن عمان كغيرها من بلاد الله التي هي موطن الانسان ، وبالأخص فان جزيرة العرب هي قلب المعمورة بالنسبة الى الوضع الطبيعي ، ولذلك فان الله جعلها مقر أجل النبوات العامة منذ أوجد الله الأمم البشرية في الأرض ، وبالأخص أيضا الأمم السامية ، وقد فرضنا على تاريخنا هذا ذكر الأمم التي قطنت عمان من سائر الأمم التي مرت بها الأزمان ، حتى يقف القارئ على تحقيق الأمم التي قطنت الوطن ، ومرحت فيه قبله عهدا من الزمن غير يسير ، وما كان لها فيه العيش وما أبدعت فيه من المصانع ، وما كان لها ، وعلى الأقل يكون محلا للاعتبار وعظة بمن سبق ولذلك أمر الله عز وجل بالاعتبار في الكون وما احتوى عليه من بدائع وغرائب ، وعلى ذلك يعلم القارئ ، علما يحسن السكوت ليه .

فاعلم أن من أمم عمان في القديم السومريين وهم أول من أخرج النحاس ، أول ما أخرج للعالم أخرجوه من عمان ، وكانوا يسمون عمان أرض ماجان ، وذلك لأربعة آلاف سنة قبل الميلاد أو يزيد عليها ، وأن الكلدانيين أيضا من الأمم التي قطنت عمان كما يقول المؤرخ البريطاني برترام توماس والمؤرخ بليني الكلاسيكي الذي كان في القرن الأول للميلاد ، وكانوا يسمون عمان إيليتا ، وجاء الفرس ثم جاء قوم عاد فسكنوا عمان حتى أجلاهم منها عمان بن قحطان لما تولى عمان من قبل أخيه يعرب بن قحطان ، وكانت منازلهم بالرمل المعروف برمل الأحقاف وهو من عمان بغير خلاف .

وان الفينقيين سكنوا عمان وكانت صور بلادهم فارتحلوا عنها جلاء الى الشام ، وبنوا فيها مدينتهم المعروفة بصور الشام ، بدلا من

صورهم في عمان ، لكن لم أعرف الذى أجلاهم ، ولعله عمان بن قحطان ، قال فى المنتخب وكان مالك بن حمير قد ملك عمان ، ثم ابنه قضاة ، ثم ابنه الحاف ثم ابنه مالك ، ثم حاربهم السكسك الحميرى فأخرجهم من عمان •

قال بعض المؤرخين القدماء : «أما الآشوريون فقد استولوا على عمان وذلك زمن ملكهم تفلت فلاس الآشورى ، ثم حل محلهم البابليون الأخيرون فازدادت عمان بهم قوة وازدهارا ، ونشطت تجارتها إذ كانت الامبراطورية البابلية الثانية ذات اعتناء بعمان ، وأخذت فيها ردحا من الزمن ، وذلك فى القرن السابع قبل الميلاد ، ثم جاء كورش أحد ملوك الفرس ، فاجتاح البابلية اجتياحا من عمان ، واستطاع أن يحقق أحلامه فى السيطرة على الخليج العربى وموانئه المزدهرة على ساحل عمان ، وأزال البابليين من عمان كليا ، وحل محلهم الفرس » •

فيتبين من هذه الأقوال أن أول من حل بعمان السومريون وهم أول من أخرج النحاس قبل أن يكون له وجود ، فصنعوا منه المزهريات وهم الذين سموا عمان بلاد ماجان ، أى بلاد النحاس ، وذلك قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة ، وهذا يدل أنهم توطئوا عمان وتمكنوا من نواصى الأعمال فيها حتى أذن الله بزوالهم منها •

ثم جاء الكلدانيون فنزلوا عمان وقطنوا بها أعواما غير يسيرة وهم الذين سموا عمان ابليتا •

ثم جاءت الفرس الأولى فنزلت عمان وتولوا زمام الأمر فيها أعواما لا تقبل عن سبعة قرون ، ثم أراد الله زوالهم منها بعد ما مرحوا فيها تلك القرون المشار إليها ، وزاحمت فيها قوم عاد إذ أفاضوا عليها من الجزيرة العربية موجات متوالية مزدحمة ، فكانت الأحقاف مركز

زعامتهم ومحل العتاة منهم ، كما أشار القرآن الى ذلك ، وكان لقوم عاد في عمان النقص والابرام ، ولهم الصولة والطولة ، حتى لما تعاضم بغيرهم وبالغوا في تحكيم عواطفهم وعتوا عتوا كبيرا في أرض الله ، فأراد الله الذي بيده كل شيء الانتقام منهم أرسل عليهم نقمته ودوخهم سخطه كما قص الله عنهم في كتابه الكريم •

ثم جاء عثمان بن سباق الفنجديهي أحد الملوك ، فتولى عثمان وطرده منها بقايا قوم عاد وعاش فيها هو وأرهاطه ردحا من الزمن ، ثم جاء عثمان بن قحطان واليا على عثمان من قبل أخيه يعرب بن قحطان ، وقد علمت أن أول من سكن عثمان ، عمان يفتان بن ابراهيم ، وقيل عثمان بن ابراهيم ، وقيل عثمان بن سبأ بن يفتان بن ابراهيم أول من بناها ، وهذا هو الأقرب الى الصواب ، قال في المنتخب صحيفه ٩١ : « وصار أولاد نصر بن الأزدي في أرض فارس وجوا بن شجر ، وهي عشيرة الجلندي ابن كركر » ، قلت : عشيرة الجلندي بن كركر معولة ابن شمس أ ه • وقيل هو من أولاد مالك بن فهم ثم عاش العرب القحطانيون في عثمان ردحا من الزمن ، وعثمان إمارة مستقلة لها أهميتها في كل عهد حتى الآن •

قال الخضرى في محاضرتة :

« عطف عمران بن عمرو مفارقا لقومه نحو عثمان ، وقد انقرض من بها من طسم وجديس فنزلها واستوطنها هو وبنوه وهم أزد عثمان ، فهذا يدل أن طسم وجديس كانوا هم أهل عثمان أى قبل الأزدي ، ولم يذكر من أجداهم منها ، أما الفرس وهم آخر الأمم بعثمان فقد أجداهم مالك ابن فهم ، وذلك يدل أن الفرس أجدوا الأزدي من عثمان حتى جاء مالك ابن فهم ، وهم العريقون بها حتى أجداهم مالك المذكور من عثمان •

وتلك الأيام نداولها بين الناس ، فتبين أن الأمم التى قطنت

عُمان قبل القحطانيين أكثر من عشر أمم على الأقل ، فمنهم السومريون ، ثم الكلدانيون ، ثم العاديون ، ثم الفينيقيون ، ثم الآشوريون ، ثم البابليون ، ثم الفارسيون الأولون ، ثم الفنجديهيون ، ثم القحطانيون ، ثم السبأيون ، ثم الطسميون ثم الجديسون ، ثم الأرديون الأولون ، ثم الفرس الآخرون ، ثم الأزدي الآخرون ، وكان ملك الفنجديهيين عثمان ابن سباق •

والسبأيون آل سبأ بن يفتان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وأما الأزدي الأولون فهم آل عمران بن عمرو ، ثم الفارسيون الآخرون المرازبة وأعوانهم ، ثم الأزدي الآخرون وهم مالك بن فهم وأتباعه ، ويدل على أن الأزدي تولوا عثمان مرتين قول مالك بن فهم لجنوده ، عند ملاقاتهم للمرازبة في حال حربهم ، إذ قال لهم مالك بن فهم من جملة ما يحرّضهم به :

« حاموا عن أحسابكم ، وذبوا عن مآثر آبائكم » • فقوله : عن مآثر آبائكم يدل أن لآبائهم بعثمان مآثر ، فهو يحرّضهم على الذب عنها ، وما هي تلك المآثر هي كون آبائهم كانوا ملوك عثمان قبل هؤلاء المرازبة ، والمعنى إذا كنتم معشر المرازبة تعدون عثمان ملككم فنحن كذلك ، فاما أن تقاسمونا فيها بناء على أنكم كنتم بها كما كنا نحن بها ، وإما أن نتقاتل بدعوى أنا كلنا ندعيها ، ولعل هذا كان أول ما اقتضاه نظر مالك بن فهم في زحفة عليها ، وهذا الذي ذكرناه منصوص في كلام مالك بن فهم •

وكان مالك بن فهم بعثمان في أيام نبي الله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وذلك دأبه إذا أراد التنقل من بلد الى بلد آخر ، أمر بأخذ السفن المارة ببصر عمان ، وكانت قلهات عاصمة عثمان في أيامه ، وكان أكثر نزوله بها لحصانتها من الغزاة ، فانها بلاد جبلية ضيقة على الغازي يشق عليه

دخول عثمان منها ، وكانت تثرى الأمم على الساحل كالغنم وهم مسلوبوا سفنهم لا يدرون أين يتوجهون ، وهذا شأن الملوك إلا ما شاء الله خصوصا في الجاهلية .

وكان مالك من هذا الطراز ، وكانت قلعات حصنة الساحلى ، قال فيها ياقوت الحموى : « مدينة على ساحل البحر إليها ترافأ أكثر سفن الهند » قلت : ومنها يصطاد مالك السفن المارة على البحر العثمانى إذ ترسو بها ، قال : « وهى الآن فرضة تلك البلاد ، وأمثل أعمال عثمان عامرة آهلة ، وهى من أقدم العواصم إذا اشتهر نزول مالك بن فهم بها وتحصنه فيها » . وأما ياقوت فيظنها جديدة العمران ، وليس الأمر كما ظن .

وفى مروج الذهب للمسعودى : أن مالكا سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا ففسار بنوجفنة نحو الشام وانفصد مالك نحو العراق ، فملك على مضر بن نزار اثنتى عشرة سنة ، فدل ذلك أن العراق إذ ذاك مضرية ، فلما نزل بها مالك كان ذلك وفق شقاق القوم فيما بينهم ، فملكوا مالك بن فهم عليهم ، دفعا للشقاق بينهم ، قال : ثم ملك بعده ابنه جزيمة فامتد ملك جزيمة الى مشارف الشام الى الروم نحو الفرات ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا ، قال وأقام جزيمة ملكا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وفى ملك أردشير بابك وسابور الجنود ابن أردشير ثلاثا وعشرين سنة ، فكان ملكه ثمانية عشر سنة ومائة سنة .

وذكر العوتبى فى الأنساب عن الكلبى : « أن أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن نصر بن الأزد » ، قلت : نعم

إن أول من لحق بعثمان من الأزد الأخير هو مالك المذكور ، لأن بلاد العرب قد عرفت نزول من نزل بها من الأزد الراحلين من اليمن ، وعرفت أن مالكا انفصل الى العراق وأقام بها في جوار مضر ، فملكوه عليهم حين أبوا أن يملكهم واحد منهم لعتوهم على بعضهم بعضا ، ثم لم ير مالك المقام مع قوم ملكوه على أنفسهم ، فكانت المنة لهم عليه بذلك ، وليس بملك من ملك لأن الملك إذا لم يكن ملكه عن قوة له على من ملك ، فان ملكه عارية مستردة ، فلذلك حوّل مالك بن فهم عزيمته الى عثمان ليناطح الفرس فيها ويتمك ما يتمك منها بقوته ، وعثمان سبق الأزد فيها ثم أنجلوا عنها فعاد إليها مالك ليعيد ملكها له إن استطاع ، ويعيش فيها عيشة الأحرار .

وقال بعضهم : إن الدولة المعينية وهم من عمالقة العراق ، وقيل هم من الآراميين امتد سلطانهم الى عمان ، ثم جاء الحمورابيون بعدهم ثم السبأيون الذين هم آل سبأ بن حمير القحطاني ، فكوّنوا دولة الحميريين ، ثم تلاهم الفينيقيون ، ثم الأكاديون ، ثم الكلدانيون أيضا وهم من أهالي الجزيرة العربية .

قال في معالم الجزيرة إن سلطانهم امتد على الجزيرة العربية بأجمعها الى خليج فارس والبحر الأبيض المتوسط ، قلل : وأما دولته فقبل الميلاد بثمانية قرون ، قال وأما التبابعة فقبل الميلاد بتسعمائة سنة ، قال ويشترط في التبابعة أن يكون الملك ضامنا اليه مع اليمن حضرموت والشحر وإلا فلا ، يقال له تبع ، قال : وتبتدىء مدتهم بسنة خمس وسبعين ومائتين بعد الميلاد ، قلت : وهذا يخالف ما قاله أولا إن التبابعة قبل الميلاد بتسعمائة سنة ، قال ومدة ملوك حمير تبلغ أكثر من ألفى سنة ، قال والآشوريون منسوبون الى آشور كما أن الفينيقيين منسوبون الى فينيق ، والحقيقة أن التحقيق للمدة التي عاشتها هذه الأمم

وتحقيق ملكهم يعسر على أهل هذه العهود ، فان التدوين لم يكن موجودا خصوصا مع العرب ، وأن الذي يقال إما من أحاديث النبوات وأخبارها ، وإما من أقوال أهل الكتاب والتخطيط فيه غير مستنكر .

وخراب سد مأرب قيل في القرن الثالث للميلاد ، وقيل في الخامس وقيل في السادس ، ومنه يعلم خروج مالك بن فهم الى عُمان ، وكم كانت مدته ، وعلماء التاريخ ليس هم الذين يدونون الوقائع أو يكتبون الحوادث ونحوها ، وإنما هم الذين يستتجون الأمور من مقدماتها ، ويفهمون الأحوال من سير الأعمال ، ويستخرجون أحكام القضايا من وقائعها وهكذا .

وفي التاريخ العثماني أمور هامة وقعت في العهود التي مرت على الوطن في حقها وباطلها سوف ترى ذلك في هذا التاريخ إن شاء الله .

وهذه ديبى في زهوها وجمالها أصبحت طافحة بالأجانب يمتلكون نواصي الأموال ويقبضون على خيرات البلاد ويتغلغلون في الأحوال الخاصة فضلا عن العمامة . اللهم انك تعلم ما نقول قبل أن نقول ، فأحفظ لنا ديننا من الأديان الباطلة ، واحفظ وطننا من اعدائنا إنك كريم رحيم .

الحلقة الثالثة

في نزول مالك بن فهم بعُمان وحروبه للفرس الى إنتهاء

أمرهم

قال الامام السالمى رحمه الله ، وسمعت من يدعى المعرفة بذلك يقول : إن ذلك كان قبل الاسلام بألفى عام ، وذلك يقتضى سبقه على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقرون ، واذا كان هذا قبل الاسلام بألفى عام ، وقد علمت أن عمران بن عامر نزل عُمان قبل مالك بن فهم بمدة طويلة ، وكان قد سبقه بها أيضا عُمان بن قحطان . فكان بين عُمان بن قحطان وعمران بن عامر قرون متطاولة ، وبين عمران بن عامر ومالك بن فهم أيضا كذلك ، فغير مستنكر إذا قيل بين ذلك وبين الاسلام ألفى عام ، فيكون القحطانيون تولوا عُمان ثلاث مرات ، وهذا قريب من الصحة بحسب استقراء التاريخ ، ولما قضى الله على مأرب بالخراب وقضى على أهلها بالانتقال والذهاب ، وأن يتفرقوا في نواحي الأرض لحكمة أرادها الله عز وجل ، وقضى بها في محكم الكتاب ، أرسل الله على مأرب سيل العرم ، فأجتاج السد الذى بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فهلكت البلاد وتفرقت العباد ، وخرجت الرواد تتراد لهم البلاد ، فكان بعضهم خرج الى مكة وبعضهم الى المدينة ، وبعضهم الى الشام ، وبعضهم الى السراة ثم الى عُمان .

كان مالك بن فهم على ما يظهر آخر من خرج منهم الى عُمان ، لأن قرناه الأجلء الذين سبق لهم العلم الأكيد بخراب السد ، ورأوا الآيات الدالة على ذلك كما شهر من أمر كاهنتهم طرّيفة خرجوا الى البلاد ، وتوطنوا فيها آهلين ، وعاشوا عهدا طويلا ، ولعل مالكا كان يفضل المقام ببلادهم مهما كان إمكان ذلك حتى إذا تحقق الأمر

ورأى ضرورة الخروج ، خرج ولا بد أن يكون له سابق علم بعُثمان من حيث إن أعياص الأزد وعباؤها الذين قطنوا عُمان في تلك العهود المشار إليها هم من قومه وبني جلدته ، فلذلك على ما يظهر اختار عُثمان ، لا سيما أن عمران وآله حلوا بالشام ، قال في المنتخب إذ يذكر تفرق الأزد منهم : سار الى السراة ومنهم من سار الى مصر ، ومنهم من سار الى العراق . ومنهم من سار الى عُمان ، قال : فأما من سكن عُمان من الأزد فيحمد ، والحدان ، ومالك يعنى بن فهم ، قال : ومن الأزد الحجر ولهب ونارة وعائذ وبارق وسوام وحرارثة وسنجان ، على عُمان الى آخره ، فدل ذلك أن قبيلة من الأزد تدعى عُمان سكنت في جملة من سكنها من الأزد ، فلعل اسمها أطلق على عُمان ، فشاع ذلك على القطر كله ساحليا وداخليا ، أما يحمد فهو بن حمى الأزد ، وأما الحدان فهو بن شمس فرع أزدي ، وأما مالك فهو معروف ، ولما الحجر فليس من الأزد ، وأما لهب ونارة وعائذ وبارق يبق منهم بعُمان فيما علمنا ، ولعلمهم دخلوا في القبائل الأخرى ، وكذلك سوام وحرارثة لم نعرف عنهم شيئا ، وكذلك سنجان ، وجاء في تحفة الأعيان أن سنجان قصبة عُمان والمراد بها حصار والله أعلم بما قاله صاحب المنتخب . وكذلك على وعُثمان أما إن كان أراد بهم بنو على فموجودون بعُمان ، أما بنو عُثمان فلا .

قال الإمام السالمى نقلا عن المروج للمسعودى : « إن مالكا سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا ، فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق كما سبق ، وبقي عند المصريين بالعراق ملكا مكرما محترما معظما ، إلا أنه كان ملكا ولم يكن ملكا ، كما هي العادة عند الملوك ، واستمر به الحال عهدا غير يسير » .

وقال أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة عن أبي اليقظان : « أن سبب خروج مالك بن فهم عن قومه بعد تفرقتهم في البلاد حين أخرجهم

سيل العرم من جنتى مأرب ونزلوا بالسراة ، أن راعيا لملك بن فهم خرج بغنم وكان في طريقهم كلبة ، وفي رواية ثانية ففيها كلب عقور لغلام من دوس ، فشدد الكلب على راعى مالك ، فرماه الراعى بسهم فقتله فتعرض صاحب الكلب لراعى مالك ، فخرج من السراة هو ومن أطاعه من قومه ، وذلك لأن دوسا من أعياص مالك الأقربين اليه ، فخشى الفتنة بينهم ، فسمى ذاك النجد الكلبة من ذلك اليوم ، فخرج مالك يريد عثمان فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته من الأزد ، ومن أطاعه واتبعه من أحياء قضاة وسار متوجها الى عثمان ، وقد اغتزل عنهم من قبل ذلك ولده جذيمة الأبرش بمن صحبه الى العراق من سائر أبطال الأزد » .

قال أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبى : أخبرنى وشرقى ابن القطامى ، قالوا : « لما خرج مالك بن فهم من السراة يريد عثمان وتوسط للطريق ، حنت إبله الى مراعيها ، وأقبلت تلتفت نحو السراة وتردد الحنين ، والابل دأبها ذلك لأنها تألف المواطن وتستوطن الأماكن فوق سائر الحيوان ، وعند ذا أهاجت حفيظة مالك فأنشد شعرا له فى ذلك لم نذكره » ، قال : « سار من فوره يريد عثمان ، فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من قبائل اليمن إلا سلموه ووادعوه لنعته وكثرة عشيرته » ، ودل ذلك أن المسير كان على الإبل عن طريق البر ، وانظر من أين يدخل مالك عثمان ، قال : ثم سار فى مسيرة ذلك حتى أخذ على برهوت وهو واد بحضرموت ، فلبث فيه ريثما يستريح فوجه قصده الى عثمان فبلغه أن بعثمان الفرس وهم أهلها وساكنوها ولا بد أن تقع بينه وإياهم مناكرات ، فأستعرض رجاله فاذا هم زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، فرأى أنهم كتائب تغنى عند الحاجة عن كثير من الجيوش لأسباب لا تخفى على الفطن ، فأقبل بهم يريد عثمان على الرضا والسخط ، وقد جعل على مقدمته هناة ابن مالك ويقال فراheid بن مالك ، وكان هذان النجيبان عنده من أنجب أولاده فجعلهما

في ألفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها ثم سار يؤم عثمان حتى انصب الى الشحر فتخلفت عنه هناك مهرة بن حيدان بن عمرو ابن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير ، قال الكلبي : كان أول من خرج من العرب من تهامة مالك بن فهم الأزدى ، وعمرو وأبنا فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن الحاف ابن قضاة بن مالك بن حمير ، فنزلت الشحر ، وتقدم مالك بن فهم في قبائل الأزد ومن معه من أحياء قضاة الى أرض عثمان ، فوجد بعثمان الفرس من جهة الملك دار ابن دارا بن بهمن اسفنديار ، وهم يومئذ أهلها وسكانها ، والمتقدم عليهم المرزبان عامل ملك فارس ، فعند ذلك أنزل مالك بن فهم من كان معه من الحشم والعيال والنساء والأثقال الى جانب قلعات ، قلت : يتبين من هذا أنه جاء عثمان من طريق البحر إذ لا سبيل الى عثمان من هذه الجهة على الخيل والإبل ، وكنت أحسب أنه جاء من طريق الشحر فدخل عثمان من تلك الناحية الصالحة للدخول بالرواحل العادية إذ ذاك ، أما من طريق قلعات فيلزم أنه تحمل بخيله وإبله في السفن الى قلعات ، قال : « ليكون أمتع لهم وترك عندهم من الخيل والرجل من يمنعوهم » ، أى ترك لهم حامية تمنعهم من العدو إذا هاجمهم ، قلت لعله وجه الثقل والعائلة في السفن على طريق قلعات وهو الواضح .

مالك بن فهم يروم التغلغل في داخلية عُمان

لما نزل مالك بقلهات ترك الثقل هناك للمنعة التي تصون الحرم ، لأن قللهات كورة منيعة بالجبال ، وعند الحرم حامية كافية ، فان الفرس في صحار وما إليها من أعمال ، والى أن يبلغ خبر نزوله صحار ويتحقق مقصده فقد تمكن من تركيز دعائم إمارته ، وضرب معسكره بعُمان .

قال : « ثم سار هو ببقية عساكره وصناديد رجاله ، وقد جعل على مقدمته ابنه هناة في ألفى فارس حتى دخل ناحية الجوف ، وهي قلب عُمان فتغلغل فيها على عزيمة ثابتة وجأش لا يتزعزع ، رضى الفرس بقراره أم لم يَرْضوا » ، قال : فعسكر بالصحراء ، وأرسل الى الفرس يطلب منهم النزول في قطر من عُمان ، أى يريد منهم أن يخصصوه بجانب يستقر فيه فلا يضايقهم فيما عداه ، ولا يضايقوهم وكان المرزبان هو منهم بمنزلة الرئيس الملك فيهم فطلب منهم أن يسمحوا له بذلك ويمكنوه من الماء والكلأ ، فيبقى بصفة لاجئ بعُمان حتى يرى لنفسه ما يصلح فيقيم معهم أو يرحل عنهم .

الفرس يعتقدون مؤثرهم في نك

لما وصل اليهم علم نزول مالك بعثمان ، وأنه يطلب منهم النزول والاستقرار بعثمان على حال المسألة والموادعة والاطمئنان ، لذلك أطلوا المقال فيما بينهم واثمروا وتشاوروا ، وبعد التمحيص للخطب أجمع رأيهم على عدم قبول ما طلب مالك ، وألا يمكنه وهو عربى صميم . كما أنه ملك عظيم فهم يخشون من وجوده بعثمان الاستيلاء عليها وصارحوه قائلين لا نحب أن ينزل هذا العربى معنا فيضيق علينا أرضنا وبلادنا لا سيما وأن الملك دارا بن دارا ربما لا يرضى منهم وجود مالك بن فهم بعثمان ، وسورة الملك وغيره الملوك على الممالك لا تسمح بمثل هذا الحال لمثل هؤلاء الأقيال ، وقالوا لا حاجة لنا فى قربه وجواره ، فلما وصل جوابهم الى مالك بعدم الرضا بمقامه فى عثمان كشف عن حقيقة ما انطوى عليه ، وأنه لا بد له من المقام فى قطر من عثمان ، وأن يواسوه فى الماء والمرعى قائلا : (إن تركتمونى طوعا نزلت من عثمان وحمدتكم ، وإن أبيتم أقمتم على كرهكم ، وإن قاتلتمونى قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم قتلت المقاتلة وسبيت الذرية ولم أترك أحدا ينزل عثمان أبدا) . قال : « فأبت الفرس أن تتركه طوعا وجعلت تستعد لحربه وقتاله » .

مالك بن فهم يتأهب لمصادمة الفرس بعُمان

قال ثم ان مالك لما تحقق قيام الفرس عليه وأنهم غير تاركيه ، وتحقق ذلك بعد ما كان يظنه أثبت دعائم استقراره وقرر في نفسه عدم الخروج مهما كانت الحال ، ولا بد من الصراع بينه وبين القوم ، رتب أعماله ونظم رجاله ونفض غبار الأمن وتحمس الأسد في غاباتها ، ولم ينظر الى الفرس إلا نظرة النهم للاكل وقرر أن يحتسيهم احتسا ، السم ، فاما شفاء وإما قضاء ، وعلى العز يحيا العربي أو يموت ، وكان معسكر مالك بن فهم وقومه بواحة منح في قلب عُمان ، وهو الذى حفر بها الفلج المعروف بفلج مالك ، والفرس إذا ذاك بالساحل من عُمان ومعسكرهم بصحار عاصمة عُمان وخزانة الشرق ، ولما رأت الفرس لا بد لها من حرب مالك بن فهم أو يزول من عُمان ، قامت في عدها وعديدها وضربت أبوابها ونادت لحشدها ، وضربت طبولها وجاءت في جيشها الضخم الكامل في تعبئته الشديدة الشكيمة في صرامته حنقا على العربي المحتل قلب عُمان ، وصال المرزبان وجال وأمر أن ينفخ في البوق الذى يؤذن فيه للحرب ، وركب هو في جنوده وعساكره وخرج من صحار في عسكر جم ، فيقال : إن عسكره كان أربعين ألفا ، وقيل ثلاثين ألفا وخرج معه الفيلة ، وكان الفيل الواحد في الحرب يعد عن ألف رجل ، وتوجه لإخراج مالك من عُمان ، وكان مالك بن فهم في جوف عُمان اسما ومعنى ، فخرج المرزبان اليه فعسكر بصحراء سلوت بالقرب من الجبل الأخضر ، فبلغ مالك بن فهم سيد الأزدي بعُمان فركب ومن معه جميعا وكانوا في زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، وعلى مقدمته البطل المقدم هناة بن مالك في ألفى فارس من صناديد الأزدي وفرسانها ، فأقبل في تلك الهيئة حتى أتى صحراء سلوت فعسكر بازاء عسكر المرزبان فمكثوا

يومهم ذلك والروع ملء القلوب ، والشنونة التعصبية تشد بين الفريقين والنصر من الله ، ولم يقع بينهم تلك اليوم حرب ، ثم بات الفريقان بأوامره ، وكان هناة بن مالك على الميمنة وفراheid بن مالك على اليسرة ، الى جيش عدوه قليل العدد ، إلا أنه قوى العزائم ، فكتبوا كتابهم وجهزوا جهاز الحرب ، فأوقف مالك بن فهم رجاله موافقهم وعهد اليهم بأوامره ، وكان هناة بن مالك على الميمنة وفراheid بن مالك على اليسرة ، وأكرم بمليك يكون أحد أولاده على ميمنته في الحرب ، وثانى أولاده على ميسرته ، ويكون هو قلب الجيش في أهل النجدة والشدة من أصحابه ، وبات المرزبان أيضا يعبى جيشه ويرتبه على نظامه في ذلك الوقت ، ولما أصبحوا في اليوم الثانى وتواقفوا للقتال وتأهب كل واحد من الفريقين لقتال عدوه ، قام مالك بن فهم فظاهر بين درعين ولبس عليهما غلالة حمراء ، ولبس على رأسه قطعة حديد تكون وقاية من ضرب السيوف وطعن السهام والرماح ، وغطى عليها بعمامة صفراء وركب جوادا له أبلق ، ثم ركب معه أولاده على تلك التعبئة ، وقد تقنعوا بالدروع والجواشن ، وكذلك فعل أبطال الأزدي الذين معه والبيض على رؤوسهم ، فلا يرى الناظر إلا حدق العيون تلمع كالنجوم .

فلما تواقفوا للحرب خطب مالك بن فهم رجاله خطبة الحرب ودعاهم دعوة القتال ، وحرضهم تحريض المستميت وجعل يطوف عليهم راية راية وكتيبة كتيبة ، ويقول في خطبته : يا معشر الأزدي أهل النجدة والحفاظ حاموا عن أحسابكم وذبوا عن مآثر آبائكم ، وقاتلوا عدوكم وناصروا ملككم وسلطانكم ، فانكم إن انكسرتم وهزمتم اتبعتمكم العجم في كافة جنودها فاختطفوكم بين كل حجر ومدى ، وباد عنكم ملككم وزال عنكم عزكم وسلطانكم ، فوطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والحفاظ ، فان هذا اليوم له ما بعده أ ه خطبة مالك بن فهم لرجال الصناديد ، وجعل يحرضهم ويناصحهم ويأمرهم بالصبر والجلد ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة حتى استفرغ جميع كتائبه وعساكره .

المرزبان يبتدىء بفتح الحرب

رأى المرزبان الهيئة العربية حوله مستعدة لقتاله وكان هوجاء من صُحار لذلك فزحف بعسكره وجميع قواده وجعل الفيلة أمامه وأقبل نحو مالك ابن فهم وأصحابه ونادى أصحابه بالحملة عليهم قائلاً لهم : يا معشر فرسان الأزدي احملوا معي فداكم أبى وأمى على هذه الفيلة فاكتنفوها بأسنتكم وسيوفكم ، أى فأنها قوتهم التى يعولون عليها ، وجنتهم التى يتسترون بها ، ثم حمل مالك بن فهم وحملت أبطاله معه حملة عربية مملوءة حماساً وشدة ، وراموا الفيلة بالرمح والسهم ثم أردفوها بالسيوف ، فولت الفيلة راجعة بجملتها على عسكر المرزبان ، فوطئت منهم خلقاً كثيراً ، ثم حمل مالك فى كافة رجاله الصناديد وأصحابه الأبطال على المرزبان وأصحابه ، فانقضت تعبئة المرزبان وجالوا جولة ، ثم بانى العجم ورجعت الى بعضها بعض ، وأقبلت فى حدها وحديدها ، وصاح المرزبان فى أصحابه وكافة جنوده ، وأمرهم بالحملة فحملوا والتقى الجميع واختلط الضرب واشتد القتال ، فلا يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف ، واقتتلوا يومهم أشد ما يكون من القتال ، وثبت بعضهم لبعض الى أن حال بينهم ظلام الليل فانصرفوا ، وقد انصف بعضهم من بعضهم وعرفوا موقفهم الراهن ، وعظمت بينهم المحنة ، فان كل فريق يقول إن غلبنا غبنا ، وإن غلبنا لنفعلن فى العدو ما يشفى غيظنا ، وقد أكل السيف شرارة الرجال من الفريقين ، إلا من الفرس أكثر عدداً والعرب أقوى جلدًا ، ثم أعادوا الحرب فى اليوم الثانى على ذلك النظام ، فكثرت فى الفرس القتل وقويت جرأة العرب على القتال ، وما زالوا كذلك حتى حجز الليل بينهم فكان الليل لدفن الأموات وعلاج الجرحى ، وفى اليوم الثالث كذلك أو أشد ، فكان القتل أخذاً مأخذه من الرجال ، والسيوف يضحك فى أكف الأبطال ، والأسنة لها الطمعة النجلاء فى ثغور الأفيال ، والحرب نار تلتهم كل ما تلتق بلا جدال ،

فلما رأوا الحالة على هذا المثال خرج أربعة رجال من المرازبة والأساورة ممن كان يعد الرجل منهم عن رجل حتى دنوا من مالك بن فهم سيد الأزدي ، وزعيم هذه الحرب ، فقالوا له هلم إلينا أيها العربي لننصفك من أنفسنا ويبادرك منا رجل رجل ، فلم ير مالك إلا إجابتهم ولم يظن بنفسه رهبة منهم ، إذ كان جائسه ثابتا ونفسه أبيه ، وقد تجرد لهذا الأمر ووقع فيه فلا مناص ولا خلاص منه إلا بأحد الوجهين ، فتقدم سيد الأزدي وقلبه جنته ، وخرج له واحد من أولئك الأربعة الأبطال وتطاردا ساعة ، فما كان إلا دقائق حتى اختطفه مالك بالسيف على غرة ، فأرداه قتيلا . قال : ثم خرج له الثاني فعطف عليه مالك ومعه نجدة الملوك وحمية العرب ، فلم يتمالك أن قضى عليه بطعنة طعنه إياها خر بها صريعا على الأرض ، ثم خرج له الثالث فكان مالك بن فهم أسدا فاغرا فاه ليلتهم ما يلاقى ، وكان الفارس الثاني ضرب مالك على رأسه فلم تصنع ضربته شيئا ، ثم لما ضرب مالك الفارس الثالث وكان عليه الدرع والبيضة ، ضربه مالك ضربة فلقت البيضة وانتهت الى رأس الفارسي ، وضربه أيضا ضربة على عاتقه ، وكانت عليه الدرع فأبان العاتق والدرع نصفين حتى انتهى سيف مالك بن فهم الى زج دابة الفارسي ، فرمى به في الأرض قطعتين فلما نظر الفارسي الرابع ما فعل مالك بأصحابه اندهش ، فهاله الأمر فأحجم عن ملاقاته مالك بن فهم ، وعلم أنه ان خرج فهو لا محالة مقتول : فكاعت نفسه القتال وولى راجعا ، الى أصحابه ، فدخل فيهم ثم انصرف مالك الى موقفه ونفسه في نشاط بالظفر ، وفي قوة بالنصر ، وفرحت الأزدي بذلك ورأت أنها منتصرة على العجم ، فان النصر يسبب النصر ، وان المنتصر لا يزل يأمل النصر فيزيد في نشاطه ويعظم من اغتباطه ، فلما رأى المرزبان ما صنع مالك في قواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب ، وخرج من بين أصحابه وقال لا خير في الحياة بعدهم ، ثم نادى مالك قائلا له : أيها العربي اخرج الى ان كنت تحاول ملكا ، فأينا ظفر بصاحبه كان له ما يحاول ، ولا نعرض أصدابنا للهلاك ، وكان أنصف مالك فيما

دعاه له ، وقد أثار ذلك الغيظ ، وفضل الفارسي العاتى الموت على الحياة فى سبيل العز والشرف ، ولعله يرى من نفسه سطوة على مالك لم يهتد لها أولئك ، وإذا بمالك ذلك البطل المقدم يزحف الى قرينه المرزبان البطل الغضبان على قتل من قتل فى ذلك الميدان ، فخرج اليه مالك برباطة جأش وشدة قلب ، فتجاولا مليا والناس تنتظر اليهما حيث هما زعيما تلك الحرب وقائدا وغاها ، وقد قبض الجمعان أعنة خيلهما ينتظرون ماذا يفعل الزعيمان ، وبقية القوم من الطرفين واقفون ينتظرون ماذا يكون وما وراهما ، فصال المرزبان على مالك صولة الأسد الباسل ، فراغ عنه الماهر المحنك بلبان الحرب روغان الثعلب ، ثم عطف عليه عطفة فلق بها رأس المرزبان من مفرقه بضربة قطعت البيضة وأبانت الرأس فخر ميتا على الأرض ، وحملت الأزرد على الفرس حملة أدارت رحى الحرب ولها زفير ، فحملت أبطال الفرس على مالك وأصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا من ظهر النهار الى العصر ، وأكل السيف فرسان الرجال وصدقتهم الأزرد ضربا وطعنا فولوا منهزمين حتى انتهوا الى معسكرهم ، وقد قتل منهم خلق كثير وكثر الجراح فى عامتهم •

الفرس تطلب من مالك بن فهم الهدنة

بعد هذه الحرب استشعرت الفرس العجز عن حرب مالك بن فهم ، ورأوا طالع نحسهم يرتفع في السماء كل آن ، وإقبال الأزدي في استقبال ، وأيقنوا بالغلبة وماذا يكون عليهم غدا ، فلعل رجال مالك تقضى عليهم نهائيا ، فعند ذلك أرسلوا الى مالك يطلبون منه أن يمن عليهم بأرواحهم ويحييهم الى الهدنة والصلح ، وأن كف عنهم الحرب ويؤجلهم سنة كاملة ليستظهروا على حمل أهلهم من عثمان ، وأن يخرجوا منها بغير حرب ولا قتال ، وأعطوا على ذلك العهد والجزية على المواعدة ، فأجابهم مالك على ما طلبوه منه ووافقهم على ما سألوه ، فتحملوا من سلوت الى صُحار مقر زعامتهم وما حولها من البلدان المنتشرين فيها ، فبقوا في تلك الأطراف الساحلية على المهادنة ببيهم ، وأعطاهم عهدا على ذلك وميثاقا أنه لا يعارضهم بشيء إلا أن يبدءوه بحرب وقتال ، فكف مالك عنهم الحرب وأقرهم في عثمان ما سألوه ، فبقوا في حال أمن مسالين للعرب ملازمين الساحل ، وكانت الأزدي ملوكا في الداخلية سهولها وجبالها ، وإليهم أمر زعامتها ، وقد اندقت عصا الفرس وأنهار صرحهم •

مالك بن فهم يلقي نظرة الى قلعات

قد قدمنا أن مالكا خلف بقلعات النساء والأطفال ، وترك معهم حامية مانعة ، فبعد انتهاء حرب الفرس زحف الى قلعات ليؤيد زعامته فيها ، وهي الكورة المنيعة والفرضة الرفيعة ، التي لها الشأن إذ ذاك في ساحل عمان ، لا لتقائها الوارد من الهند الى عمان ، والوافد من بحر العرب الى الخليج العثماني قبل صُحار ، وأغلب محطات التجارة العثمانية من هذه الوجة هنا ، وربما كانت أقرب لاستطلاع الأحوال الفارسية ، لأن طرق المواصلات البحرية لا تزال تؤدي اليها ، فانتقل اليها ريثما يتمهّد أمره وتستقر دعائمه ويتوطد ملكه ، ولم يدخل بذراعيه داخلية عمان لعلمه أن العدو لا بد أن يرى منه ما يكره ، ويقصد العدو بيضة القوم فتكون الذراري في مأمن من الحوادث المتوقعة ، وهذا من بديع سياسته ، ولما رأى أن الدائرة تدور على الفرس ، وخرجوا من قلب عمان مدحورين ، هب الى قلعات وللملوك سياسات بقدر ما هم فيه .

قال الامام السالمى : « وانحاز مالك بن فهم الى جانب قلعات ، ثم لم يزل على باله أمرهم ، فكان يستعد لما أقبل من أيامه ، فانه لا يدري ماذا يكون عليه من القوم أو من غيرهم . وصرف الدهر غير مأمونة ، وقد تمرس مالك بقتال العجم ، وشاع الواقع في أحياء العرب ، فزاد ذلك من إكبار مالك وإجلاله في القلوب ، وعلت هيئته الهامات ، وصار لا يأمل إلا حربا ولا يهوى إلا طعنا وضربا ، وفي أثناء مهادنة مالك بن فهم للعجم قاموا يطمسون الأنهار الكبيرة ، لأنهم يعلمون أنهم لا قرار لهم بعُمان إلا ريثما يرتحلون منها في تلك المدة ، لأن المراسلات والابلاغات في تلك العهود بالراجل أو الراكب الناقة أو الفرس ، وفي كل شيء حكمة إلهية ، ولكل زمان أحوال ومناسبات

وقتية ، وهكذا ولم تكن الهدنة بين مالك ابن فهم والعجم تتناول إلا إعلان الحرب بينهم ، ووفاء العرب معروف عند الكل ، وغدر العجم لا شك فيه لا سيما وهم يفارقون البلاد مرغمين على الخروج منها ، فلا يتركون شيئاً يستطيعونه إلا فعلوه .

وقد أشعروا الملك بما وقع عليهم من مالك بن فهم ، وذكروا له من قتل منهم من أبطالهم ومرازبتهم وأساورتهم ، وذكروا له ما حل بهم من الهوان ، وأن مالك بن فهم حكم عليهم بالجلاء من عثمان ، فهم في هدنة منه ليرتحلوا من البلاد لا ليقرؤا فيها ، وكان ملكهم دارا بن دارا ملكا غنيدا ، فاستشاط غضبا لقدم مالك بن فهم على عثمان ، ومن معه من صناديد العرب وقتله المرزبان في جل قواده وعسكره ، وجميع ما كان بينهم وما قابلوه به من الحرب وما صار عليهم من الغلب ، وما حل بهم من الوهن والضعف ، ويطلبون منه الاذن بالجلاء من عثمان بأهلهم وذرائعهم الى فارس لاستشعارهم العجز عن الحرب .

الملك يجهز قواته لحرب العرب في عُمان

لما وصل الخبر الى الملك دارا ، وصح معه ما وقع على قومه من القتل وما فعله بن فهم فيهم ، وما أصابهم من الهوان ، غضب غضبا شديدا ، وداخله القلق وحميت حفيظته ، وثارته به سورة الملك على العرب ، ولكن كان من يئس الطالع للملك أن العجم لم يبلغوا الملك من أول مرة عن قدوم مالك بن فهم وعن ما طلب منهم من النزول بعثمان على الرضا والسخط ، وإنما ظنوا أنهم قادرون على اخراجه وطرده من البلاد ، فخانهم الظن وكان ذلك خيرا للملك ، ولو أبلغوه لقتل القوات ووالى الغزوات ، فلا يزال مالك بن فهم منه في أزمات ، ولكن كما قيل إذا أراد الله أمرا هيا له أسبابا .

وهنا أخذت الملك الحمية لمن قتل من أصحابه وقواده ، فعند ذلك دعا بقائد من قواده المرازبة العظماء عنده ، وأمره بالمسير الى عُمان وعقد له على ثلاثة آلاف من رجاله الشجعان الجريين ، وقدمه على المرازبة والأسارة ، سيره ومددا لأصحابه المذكورين بعُمان الذين نكبهم مالك بن فهم وحرّض عليهم المناصرة والمؤازرة ، وعهد إليهم حرب العرب وإخراجهم من عُمان ، وكل هذا ولا علم للملك بن فهم بشيء منه ، فلما وصلوا سيرهم الى عُمان ، وكل هذا ولا علم للملك بن فهم بشيء منه ، فلما وصلوا صُحار واجتمعوا بأصحابهم ، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم ويتأهبون للحرب ، حتى انقضى أجل الهدنة ، فبلغ مالك بن فهم خبرهم واهتم لهم اهتماما كبيرا ، وجعل يستطلع الأخبار عنهم ، فتحقق وصول المدد إليهم فاهجت نفسه الأبية لما سمع وثارته به سورة العرب .

مالك بن فهم يتأهب لمصانمة العجم مرة أخرى

لما تحقق مالك نزول المدد المذكور ، ووصوله صحار ، وأنهم قاصدون حربه ، كان من مقتضى سياسته أن يظهر التجدد ويهتد للقاء ، وألا يبروا منه وهنا أو ضعفا أو استكانة ، فلذلك كتب إليهم يهددهم قائلاً : إنى وفيت لكم بما كان بينى وبينكم من العهد وتأكيد الأجل ، وأنتم بعد حلول بعثان ، وبلغنى أنه أتاكم مدد من قتل الملك ، وأنكم تستعدون لحربى وقتالى ، فالآن إما أن تخرجوا من عمان طوعا وإلا زحفت عليكم بخيلى ورجلى ووطأت ساحتكم وقتلت مقاتلتكم وسبيت الذرارى وغنمت الأموال ، بهذا صارحهم غير وانٍ ولا وكلٍ ، وهو من إذا قال فعل .

فلما وصلهم رسوله هالهم أمره وعظم في أعينهم خطره ، وضاق عليهم ما هم فيه وأكبروا الأمر إذ جربوه بالأمس ، وأنه لا يقول إلا ويفعل ، مع قلة عسكره وكثرتهم بالنسبة اليه ، وقوتهم المتغلظة بعثمان ، وبذلك وبما صار عليهم منه سابقا من القتل تحمسوا وتجردوا لقتاله لا سيما وقد أرسلوا لذلك ، ولم يسعهم إلا مصادمته ، فردوا عليه أقبح رد وأغلظوا له في المقال ، فلما رأى منهم ذلك الحال زحف عليهم كما قال ، ومعه عزمه القوى وصبره العظيم ، إذ يياشر الحرب بنفسه ويلاقى الأبطال قبل رجاله ، فخرج إليهم بخيله ورجاله ، حتى أتى أماكنهم التى تجمعوا فيها ، ووضعوا قواتهم عليها ، فقامت الفرس للقاء البطل العربى والملك الأزدي الذى عرفته بالأمس وعرفها ، فجاءوا بالفيلة أمامهم لأنها أعظم قواتهم وهى من أعظم القوات إذ ذاك ، فان الفيل الواحد يقوم مقام جيش ، وكان الفرس أعدوها لذلك ، وليس للعرب منها إلا قلوبهم وسواعدهم والنصر من الله ينصر من يشاء .

فلما تقارب الزحفان ، وتلاقى العسكران ، قام مالك بن فهم

يتفقد أصحابه راية راية ، وكتيبة كتيبة ، ويحرضهم ويلقى اليهم تعاليمه كما هي عادته السابقة ، وتركهم يهترون للقاء العدو الذي جاؤا له ، وكان هناة على اليمين ، وفرايد على اليسرة ، وهما الجناحان وبهما يطير الجيش وهما قوته الموقفية وأركانه الحربية ، ونزل الشيخ في القلب مع الأبطال المجريين ، والتقوا هم والفرس لقاء رائعا ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ودارت رحى الحرب كأشد ما يكون مليا من النهار ، ثم انكسفت العجم زالت عن مواقعها ، وخلفت في موضع الحرب فيلها العظيم ، فقام اليه هناة بن مالك ، وضربه ضربة كادت تقضى عليه ، ثم لحقه فرايد الصنديد ، فعرقب رجله فخرج يدوس الرجال ويطأ الأبطال وله صياح ، وكان ذلك مما يهزم العجم ويزعزعهم عن أمانهم ويردهم على ورائهم ، ويفت في عضدهم لا سيما وأن الانهزامات لا زالت تتوالى عليهم مرة بعد أخرى ، ويزيد نشاط العرب لقتالهم ، ثم إن العجم ثابوا وتراجعوا وهم أبطال لا تتكر وليوث حرب •

الحرب تشتد بين مالك بن فهم والفرس لتنتهى

لما رأَت الفرس فى هذه المعركة لوائح التقهقر ، وأن مالكا لا بد أن ينفذ فيهم ما صرح به لهم من أنه يقتل المقاتلة ويسبى الذرية ، أعلنوا لرجالهم الهجوم على مالك بغير مبالاة ، وأن يصبروا لحرب مالك صبر المستميت ورأوا أن يحملوا على الأزدي حملة رجل واحد بحيث لا يبقى منهم أحد فى موقفه ، فاما النصر على مالك وإما الانهزام النهائى ، فزحفوا اليهم بغير مبالاة فجالت الأزدي جولتها ونادت فى رجالها البواسل ، وناداهما مالك الهمام قائلا : يا معشر الأزدي اقصدوا الى لوائهم فاكشفوه ، فان لهذا اليوم ما بعده ، وتهاووا عليهم من كل وجه ، وحمل الشيخ حملته الملوكية فهوى على المعجم كالنجم المنقض للرجم ، فسرعان ما انكشف لواء القوم واختلط الطعن والتحم القتال ، وعظم النزال ، وارتفع الغبار ، وثار العجاج حتى حجب عين الشمس ، فلا تسمع إلا وقع السيوف وصليل الحديد وغمغمة الأبطال ، وتراموا بالسهام فتقصدت ، وتجالدوا بالسيوف فتكسرت ، وتطاعنوا بالرماح فتحطمت ، وصبروا صبورا جميلا ، وكثر الجراح والقتل فى الفريقين ، فبدرت بوادر الهزيمة للفرس الأشداء ، ولم يروا لهم قوة تقابل العرب غدا إذا زحفوا عليهم ، ففكروا فى المصير ، ورأوا الهزيمة أو الموت النهائى ، وهما أمران أحلاهما مر ، ثم فضلوا الهزيمة فولوا منهزمين على وجوههم ، فأتبعهم فرسان الأزدي الأبطال المنتصرون بنشوة النصر يقتلون ويأسرون من لحقوا ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأسرنا كذلك ، والحظ فى صالحهم يمشى .

وفى ذلك الأثناء كان المقدر أن التقى فراهيد بن مالك بن فهم بأسنفديار ابن المرزبان ، وكان من أعظم قواد الجيش الفارسى ، فطعنه فراهيد طعنة أراد به قتيلا ثم جلله بالسيف ليستأصله ، فهلك تماما

في تلك الخطفة التي اختطفه بها ، ثم سارت فرسان الأزدي في أثر العجم وهم منهزمون ، فظفوا يقتلونهم ويأسرون وينهبون الأموال غنيمة طيلة يومهم ذلك ، حتى حال بينهم الليل فحجزهم عن بعضهم بعضا ، ولم يفلت منهم إلا من ستره الليل . قال الامام : فتحمل من بقى منهم من تحت ليله هاربا مستخفيا يتدارك النجاة ، ويستبقى الحياة ، حيث لم تنفع الحرب وما كانت يوما في صالح الفرس طول تلك المعارك ، وركبوا في السفن وعبروا الى أرض فارس ، واستولى مالك بن فهم ومن معه على سوادهم ، واستباحهم وغنم أموالهم ، وسجن من الأسرى خلقا كثيرا ، فمكثوا في السجن زمنا طويلا ، ثم أطلقهم ومن عليهم بأرواحهم ، وكساهم ووصلهم وزودهم وحملهم في السفن الى أرض فارس ، واستولى على عمان كلها وملكها وما يليها من أعمالها على الخليج العثماني ، وسار فيها سيرة جميلة ، وبذلك انتهى جلاء الفرس من عمان فلم يبق فيها إلا مواطن تحت سلطان مالك المالك سيد الأزدي في عمان وزعيمهم المقدم ، وبذلك شاعت له أخبار في أحياء العرب ، وأصبحت أحاديثه ألهوجة الساميين وأحدوثة المؤرخين ، فتنادت العرب يمنها وزارها للحاق بالملك الفاتح لعمان ، وإن بعثمان الخيرات المتنوعة والحياة العربية العزيزة ، فما مضى وقت طويل إلا ورايات العرب تتوالى على عمان ، ولم يكن ليهدأ روع مالك بن فهم خوفا من العجم ، وقد علم ما وقع بينه وإياهم ، وتوتر الحال الى أقصى حد ، ولم يزل مالك ابن فهم يلاحظ الحركة الفارسية بدقة ، وما زال مستعدا للقاء القوم غير مطمئن من جانبهم لما سبق بينه وإياهم وهم من عرفت ، وقد خرجوا من ملك عمان بين أسير وقتيل وجريح ، والى يظهر من استقراء التواريخ أن العجم لم يعودوا لحرب مالك بن فهم ، ولعل ذلك لأجل أحوال داخلية عندهم ، فكان دارا بن دارا قد مات في ذلك الأثناء ، لذلك تأخرت حركات العجم عن عمان ، وتولى الملك ولد دارا بن دارا ، ولم يتحرك لحرب عمان ، فانه كان جبارا ظالما عاتيا بالغا في العتو أقصى المبالغ ، ثم كان قتله على يدي سليمة بن مالك بن فهم في خبر عجيب

ذكره المؤرخون ، وأشار الى القضية الامام السالمى رحمه الله فى تحفة الأعيان إذ قال :

وكن الملك إذ ذاك على أرض كرمان ، ولد دارا بن دارا ، وكان الكلام فى قضية سليمة إذ قتل هذا الملك المذكور ، قال : « وكان ملكا جبارا كثير العسف والظلم لأهل مملكته وقومه إلخ » فدارا بن دارا ابن بهمن هو الذى أرسل الإعانة للمرازية الذين قاتلوا مالك بن فهم فى عثمان ، هذا الملك الذى قتله سليمة بن مالك بن فهم ابن ذلك الملك ، فإنه على أثر خروج عثمان من يده الى يد مالك بن فهم قضى الله عليه ، وتولى الملك بعده ابنه ، وسليمة بن مالك بن فهم ، فهما فى عهد واحد ، فدل ذلك على ما قتلناه وهو واضح فان مالك بن فهم ودارا بن دارا تعاصرا وسليمة وولد دارا المشار اليه ، كذلك فان الفرس عادوا الى عثمان بعدة وشدة .

وقال الامام السالمى رحمه الله فى تحفة الأعيان صحيفة ٤٧ من الجزء الأول : « ثم لم يزل الملك فى أولاد مالك بن فهم ولم يرجع أحد من الفرس الى عمان حتى انقضى ملك ولد مالك بن فهم ، وصار ملك عثمان الى آل الجلندى ابن المستكبر ، وهو من معولة بن شمس ، وصار مالك فارس الى آل ساسان وهم رهط الأكاسرة فتهادنوا هم وآل الجلندى بعثمان على أن يجعلوا فيها أربعة آلاف من الأساورة والمرازية مع عامل يكون له بها عند ملوك الأزدي ، فكانت الفرس فى السواحل وشطوط البحر ، والأزدي ملوك فى سائر البلاد والأمور كلها منوطة بهم ، فهذا يدل أن الأمور تراجعت ووقعت فيها اتفاقيات تقتضى السماح للفرس بالمقام فى الساحل ، وهم قدر أربعة آلاف كصفة حامية لهم ، ولعله كانت لهم رعايا أو بقيت لهم بقايا ، فراجعوا فيها واقتضت الأنظار فى ذلك الوقت السماح لهم بالحلول بعثمان لتهدأ الأمور وتخف نعمة الشيطان ، فكان الساحل لهم وأداخل للعرب ، وكان أمر العرب هو النافذ

في البلاد ، وإن الخراج إذ ذاك في الساحل لا في الداخل ، وإنما المنع في البلاد لأهل الداخل ، إلا أن الفرس يفضلون الوجود بالساحل لذلك ، ولإمكان اتصالهم بقومهم ، فإن بين الساحل وبلاد فارس القرب المعروف ، فإن نيران ساحل مكران تتراى من الساحل العثماني ، فبقى الفرس المذكورين هنا حتى جاء الاسلام فأجلاهم ملوك بنى الجلندي من عثمان إذ لم يقبلوا الدخول في الاسلام ، فارتحلوا كليا من عثمان » .

قال الامام السالمى رحمه الله : « وكان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم وعددهم يهابونه ويخافون بأسه فيفتخرون به ويتعززون بمنعته ، وكانت له جرأة وإقدام ما لم يكن لغيره من الملوك ، وكان ينزل ما بين عمان الى ناحية اليمن » . قلت : ولم لا تهابه قبائل اليمن وغيرهم وقد علمت ما صار بينه والفرس من التعارك في عمان حتى أجلاهم منها راغمين مدحورين بعد قتال عنيف ، ومالك لا يزال وسط المعركة وتتساقط القتلى بين يديه ، ولم لا يخافون بأسه وهذا حاله وقد عرفت جرأته واقدامه ونزوله ما بين عمان واليمن كان للاستطلاع على أحوال البلاد لما تحقق انكسار العصا الفارسية ، ولعله أيضا وافق حسن الحظ بموت الملك دارا كما أشرنا اليه سابقا ، فكان مالك بن فهم يتجول في النواحي العثمانية ، ويتفقد أحوال الوطن .

قال الامام : وأكثر نزوله بشاطيء قلعتها من شط عمان ، وينتقل منها الى غيرها ، أى كان اتخذ قلعتها محل أمنه وعاصمة مملكته . قال : وكان في ناحية من نواحيه أى من بلاد عمان قد نزل ملك من ملوك الأزدي يقال له مالك بن زهير من ولده عبد الله بن الأزدي ، ولكنه لم يحقق الناحية التي نزلها ولا ممن هو من قبائل الأزد ، ولا على أى كيفية كان نزوله . قال : « وكاد يكون مثل مالك بن فهم في العزة والمنعة والقدرة ، فخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما في ملك الآخر فتقع بينهما الحرب ، وهذا يدل أنه كان للملك بن زهير قسم

من ملك عَمَان ، ولكنه لم يسبق له ذكر في حروب الفرس ، ولعله كان نزل على بعض العواصم العثمانية ، فرأف مالك بن فهم الأعضاء والتغافل عنه ليكون له عوناً وعضداً إذا تحركت الفرس عليه ، فإنه في قلق من القوم ، ولذلك لم يعارضه ، وكان من التفكير بمكان ، فوسع المجال للمالك ابن زهير » •

قال الامام : « فخطب مالك بن فهم إبنته الحزام بنت مالك بن زهير قطعا لشفافة التحاسد والتباغض بينهما » •

أعمال مالك بن فهم بعد إنتهاء الحرب

لما رأى مالك بن فهم انهيار صرح العجم في عُمان . وإنكسار شوكتهم رجع الى شؤونه الداخلية ليؤيدها بسياسته الحكيمة وآرائه السديدة، وألقى نظرته الى ما حول عُمان من الممالك ، وما يتبعها من البلدان ، وظل يتردد على الأطراف لأنها الأبواب ، وكان ينزل في النواحي المختصة ويقيم في الأمكنة المنظور اليها ، وهو الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، فكان ملكا عظيما في العرب .

قال الامام ، في صحيفة ٣٥ : « وكان ينزل قلعات من شط عُمان . وينتقل من هناك الى ناحية أخرى » أى كان ذلك عادته ، وقد علمت أمر قلعات في عمان إذ ذاك وفتح للعرب دار الهجرة الى عُمان ليطمئن بهم وتقوى شوكته بقومه فسرعان ما هاجرت العرب الى عُمان زرافات ووحدا ، يمانية ونزارية ، حتى ملأوا عُمان فامتد سلطان مالك في عُمان حتى ضم إليها البحرين وأطراف العراق ، فكان الملك الكبير العظيم السلطان ، بين ملوك الجزيرة العربية كما أشار الى ذلك الامام السالمى رحمه الله حيث قال : « وسبب ذلك أن مالكا لما ملك عُمان وأطراف العراق وما حول عُمان كالبحرين وأعمالها ، وكان ينتقل في النواحي العثمانية متنقدا شؤونها ومتطلعا أحوالها ، ومراقبا سير الأعمال في الجزيرة ، ولم يكن له معارض أو مزاحم ، ولم يذكر التاريخ عن مالك بن زهير شيئا من الأعمال في عُمان ، بل السلطان الوحيد والأمر النافذ لمالك بن فهم الذى لا يتغير دمه عند ملاقات الأبطال ، وقد طال عمر مالك بن فهم في الملك ، فقد ملك عُمان وما حولها سبعين سنة ، ولم ينازعه في ملكه منازع من العرب أو من العجم ، وملك على مضر عشرين سنة ، وعاش مائة وعشرين سنة ، وكانت وفاته نتيجة الكيد الأخرى الأشبه بكيد إخوة يوسف ، وذلك

أن مالك بن فهم تزوج بنت مالك بن زهير كما قدمنا ، واشترط على مالك بن فهم أن يكون الملك في ذريتها فوافقه مالك بن فهم ، ولا بد أن يكون ذلك مؤثرا في قلوب أولاد مالك بن فهم خصوصا إذا جاءت برجال يتولون الملك بالوراثة عن بقية إخوتهم ، فكان من القضاء والقدر أن جاءت الحزام بولد سموه سليمة مبالغة له في السلامة ، وكان ولدا تلوح عليه مخائل النجابة ، وأحبه مالك بن فهم حبا بالغا ، فقال إخوته هذا ما كنا نتوقه ، وإن سليمة لا شك أنه سيكون الملك علينا تبعا للشرط الذي شرطه والد أمه مالك بن زهير، فتأمروا عليه أن يكيدوه بمكيدة تسقطه من كرسي محبة الوالد الذي له الشفقة التامة عليه ، والعطف البالغ له حد الغاية ، وكان مالك بن فهم وضع الحرس الداخلى الذى يسميه المصريون حرس الشرف على كواهل أولاده إذ لا يطمئن بغيرهم مهما كانوا ، وكان لكل أحد منهم نوبة ، فقالوا لو الدهم : أيها الملك إن ابنك سليمة لا يقوم بواجبه في الحرس ، وإنه ينام فنخشى عليك من قبل نوبة سليمة ، وكان القصد من ذلك أن ينكسر خاطر الملك عن سليمة فيطرده أو يرفضه ولا يقبل منه في الأعمال الخاصة شيئا فينتج ذلك سقوط سليمة من عرش الملك ، وكان بلغ من حب مالك لولده سليمة أنه كان يعلمه الرمي بالسهم الى أن أتقنه ، وكان ذلك هو القوة في الحرب في ذلك العهد ، وكان يحرس إخوته فنسب اليه إخوته ضعف الهمة وثقل العجز ، وأنه اذا جن الليل يعتزل عن فرسان قومه ويتشاغل بالنوم والغفول عما يلزمه ، فلا تكن لك فيه كفاية ولا غنى ، وجعلوا يوهنون أمره عند أبيه وينسبون له العجز والتقصير ، فقال لهم مالك : إنكم كذلك وما أحد منكم إلا وهو قائم بما عليه ، وأما قولكم في ابني أبى سليمة فليس هو كذلك ، وإن ظنى فيه كطمى به ، قال : « ولم ترل الإخوة

يحسد بعضهم بعضا لا يثار الآباء بعضا دون بعض ، فانصرفوا من عنده أجمعين راجعين بغير ما كانوا يأملون » .

قال الامام : « ثم مالك دخله الشك » قلت : لم يكن شكا ولكنه رعاية وهذا شيء من واجب كل أمير ألا يكون الأمير غير ناظر في الأحوال ، فان ذلك من قبيل الإهمال الذى لا ينبغى ، قال : « فأسر مالك كلامهم ذلك فى نفسه الى أن كانت الليلة التى كانت فيها نوبة سليمة ولده . فخرج سليمة فى فرسان للحرس كعادتهم ، ثم اعتزل عنهم سليمة فى المكان الذى يكمن فيه ، وما كان لسليمة علم بذلك التآمر الذى تآمر به الإخوة من شأنه ، ولم يكن منه قصور ولا تقصير فيما سبق ، فكمن سليمة فى مكمنه المعتاد بالقرب من دار أبيه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل مالك من قصره فى جوف الظلام مختفيا من حيث لا يعلم به أحد ليحقق مقال الأولاد فى أخيهم ، فتوجه قاصدا للموضع الذى فيه سليمة ليرى ما هو عليه من الحال ، فكان من قدر الله الذى لا محال عنه أن لحقت سليمة سنة فى تلك اللحظة التى ساق الله لها مالكا لتكون سببا لحقته ، فأغفا سليمة على ظهر فرسه وهذا طبعا يعترى الانسان ، وكان سليمة قد تتكب كنانته وفى يده قوسه وهو على ذلك الحال ، فأحست الفرس شخص ، مالك وقد ألهم الله الخيل من الحس وجعل لها من البصر ما لم يجعله لغيرها ، وكان مالك بعيدا فصهلت الفرس عند ذلك لتعطى راجعها انذارا بما أحست به ، فانتبه سليمة ذلك البطل الشاب الجديد فى حركاته كلها ، القوى على أداء أعماله كما يلزم مذعورا من سهيل الفرس ، إذ من عادة الخيل ألا تصل إلا لأمر تراه، فنظر سليمة الى فرسه وهى ناصبة أذنيها الى الشخص الذى أحسسته ، وكان ذلك

إخبارا منها لصاحبها ، ففوق سليمة سهمه في كبد قوسه ويممه نحو الشخص الذي تشير اليه الفرس ولا علم له أنه أبوه ، ولم يعلم ما بمالك من الاهتمام في ذلك الوقت ، فسمع مالك صوت السهم حين يجذبه سليمة موجها له نحو أبيه الملك ، فصاح به : « لا ترم أنا أبوك » فبينما هو يقول أنا أبوك بموقد أطلق السهم مطلقا في طيرانه نحو الشخص الرمي فقال سليمة عند ذلك بصوت المتلوم على ما فرط « السهم ملك قصده » أى لا حيلة لى على رده ، فأصاب السهم مالكا في قلبه غخر صريعا ، وأرسلها سليمة مثلا ، وعند ذلك أنشد مالك تلك القصيدة التى جعلها تاريخا لحياته • وعبر فيها عن مهام أعماله • وفيها يقول نحو سليمة ابنه •

أعلمه الرماية كل يوم
فلما أشتد ساعده رمانى

والمعنى أنى كنت أعلمه الرماية ليرمى عنى الأعداء ، فلما اشتد وقوى كان راميا إياى ، وفيه تأنيب لسليمة ولعله يظنه عرف الشخص حين رماه أو أنى ناديته لا ترم فلم يكن منه إلا الرمى ، ومن أين لسليمة العلم أنه أبوه ، ولما سمع نداء مالك لم يكن للسهم بمالك ، والقدر حاكم على الانسان ولا بد من وقوعه ، ولكل شىء غاية ينتهى إليها ، وليست الجريمة على سليمة فان ذلك واجبة ، ولكنها نتيجة الكيد الأخوى كما قلنا ، وحب الرئاسة والتنافس فيها يقتضيان مثل هذه الأحوال ، ولكن لم نعلم وقوع هذا الحادث في أى موضع من عمان ، لأن التاريخ العثمانى قد شاع بعدم النشر وتطاول الأيام عليه •

ولا شك أن خبر مقتل مالك كبير له أهميته الملكية ولا بد أن يكون له ذكر في السير ، إلا أن السير العثمانية ذهبت بجور السلطان في عثمان ، وطول الزمان المسار على عثمان منذ ذلك العهد ، وليتنا أدركناه فإنه من مهمات التاريخ ولعله في قلهات والله أعلم .

أولاد مالك بن فهم وأصلهم بعد أبيهم

اعلم أن أولاد مالك بن فهم كانوا خمسة عشر رجلا ، أولهم التوبي وبه يكنى مالك ، ولكنه لم يذكر عنه التاريخ شيئا ، ولعله مات قبل وقوع حرب الفرس ومالك ، أو أنه انعزل الى مكان آخر فلم يعرف خبره وقضايا العرب عديدة •

وأما جذيمة بن مالك : ويقال له الأبرش والوضاح لوضح كان به ، فعدلوا عن الأبرش الى الضاح ، كان ملكا عظيما طال عهده ، وامتد سلطانه من مشارف الشام الى الفرات من جهة الروم ، وكان ينزل بين اللخانوقة وقرقيسيا بموضع يقال له المضيرة ، وعاش أيام ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وعاصر من ملوك الفرس أزدشير بن بابك ، وولده سابرو والجنود ، ومضى له في عهدهما ثلاث وعشرون سنة ، فكان جملة ملكة ثمان سنين مائة سنة ، وقتلته الزباء في خبر شهر عند أهل التاريخ والسير •

وأما جماز بن مالك بن فهم : وكان اسمه زياد فلقب جمازا كان تملك على طوائف من معد بن عدنان وطوائف من اليمن ، ولكن لم يذكروا أين كان ملكه ، بل ذكروا أنه هو الذى ذكره الله فى القرآن بقوله عز وجل : (قال لصاحبه وهو يحاوره) الى قوله : (وهى خاوية على عروشها) الآيات ، وعاش فى الملك عشرين ومائة سنة ، وكان جبارا عنيدا عاتيا ظالما كافرا يضرب به المثل فى الكفر والظلم والجبروت ، فيقال : أجبر من جماز ، وأكفر من جماز ، وأظلم من جماز ، قال الامام : « وقيل لم يملك العرب قط ملك كان أعظم كبيرا ولا أقتل لمعد منه ، ذكروا من جبره وظلمه قطرة من بحر ، ويقال كان ملكه من بلاد العالية الى جانب أيلة من الشام » ، قال الامام : « فصار كفره فى الناس يضرب به المثل ،

وقهره على معد بالغ فوق الحد ، ولم تستطع معد أن تخرج من سلطانه
ولا أن تكلمه في شيء من الشؤون ، ولا يقبل معديا يقابله مهما كان .
وإن قابله أساء اليه غاية الاساءة وعامله بأسوأ المعاملة بحيث لا يبقى
شيئا من سبىء المعاملات إلا عامله به فالوسم يشينه والشين يزيده شيئا
وهكذا دأبه معهم بغير مبالغة .

وأما هناة بن مالك بن فهم : فكان أعقل أولاد مالك بن فهم كلهم ،
وأثبتهم في الأزمات وأعزهم نفسا ، وأكثرهم شأنا في عُمان ، وحسبك
أنه لمزال ميمنة أبيه في تلك الحروب الفارسية العصبية ، وكان مثالا
للزمامة السلطانية في وقته ، وهو الذى ملك عُمان بعد أبيه وأحسن الى
الرعية وساسها سياسة الحكيم الماهر ، فلم تقم عليه قائمة ولم ينكر
عليه منكر ولا تنازل عن شبر من الأملاك العثمانية حتى مضت أيامه على
ذلك ، وهو الذى كان عزز ملك أخيه سليمة بن مالك في أرض فارس حتى
ثبتت دعائم وقوى سلطانه ، واستقر ملكه وسكنت نائرة الفرس عليه ،
واستمر ملكه فيهم عهدا طويلا حتى مات هناك على عزته وشرفه .

وأما سليمة بن مالك بن فهم : فقد خرج للى أرض فارس بعد
قتله لأبيه كما عرفت القضية بأسبابها فتخوف من معن بن مالك ، فنزل
جأشك وهى المعروفة بجأش ، ثم توغل في أرض كرمان لاجئا في أيام ولد
دارا ابن دارا بن بهمن ، راجيا منهم الإيواء الجميل اللائق به حيث كان
قاتل أبيه مالك بن فهم عدو الفرس ، فيتقرب بذلك اليهم ويمدون له
المدد الذى يؤيده في حياته حيث قضى على عدوهم أبيه ، فبقى في كرمان
حتى ساعده الحظ وسارت الأقدار في صالحه ، حتى تملك عليهم إذ
قتل ملكهم الطاغية بجوره عليهم في حديث ما زال من طرف الأخبار
الملوكية ، وتولى الملك في ذلك القطر بمعونة أعيان البلاد حتى عاش فيهم
هماما ممنعا الى أن حسدوه ، فقالوا : الى متى يملكنا هذا العربى ،

وهموا بمنأواته ، وهناك استصرخ أخاه هناءة بن مالك ملك عُمان ، فلبى نداءه وأرسل اليه من صناديد الأزديين المقاديين الرجال ، حتى نزلوا أرض كرمان ، فاهترت لهم أرجاؤها ، وقام لنزولهم دهش الفرس ، فبدل أن يزيلوا سليمة عن الكرسي أصبح سليمة يهددهم في عقر دارهم قاهرا عليهم ، وقد طردهم أبوه من عُمان ودق العصف ، فصار سليمة يظا على أنوفهم سلطانا عليهم حتى مات هناك بأرض كرمان ، وكان له عشرة أولاد وهم نجب الأسفاهية ، لكنهم اختلفوا فيما بينهم من بعده فوجد العد باختلافهم السبيل الى زوالهم عن الملك .

قال الامام : « ومنهم الجلندي بن كركر أي من ذراريهم » ، قال : « وقد ملك عُمان من ولده للصفاق وتسلسل من ذراريه ملوك » ، قلت : لم أدر متى كان ملك الصفاق ولكن لا يستغرب ذلك ، فان أخبار العرب في الجاهلية مشهورة الغموض باجماع أهل العلم والأدب ، وخصوصا في عُمان فان الأمية في العرب شهد بها القرآن ، فلا يستغرب إذا ذهبت عنا أخبارهم ، ولعله تملك في الآونة الأخيرة وهي الأيام التي زال فيها الملك عنهم الى بنى الجلندي ، فانه وقع بينهم خلاف وشقاق ، وتلاشت الأمور ولكل شيء غاية ينتهي إليها .

قال الامام : « وجمهور بنى سليمة بأرض فارس وكرمان أكثر منهم بعُمان ، ولكنهم اندمجوا فيهم فلا يستطيع إخراجهم ، والذين جاءوا عُمان من ذراري سليمة أقليتهم فقتاسلوا فيها » .

وأما فراهيد بن مالك بن فهم : كان معدودا من أشجع أولاد مالك ابن فهم فكان ميسرة أبيه في حروبه الفارسية ، وقد شهرت شجاته وعرف مقامه ، وعاش أيام أبيه وهو سهم ثاقب ، ولا بدع فان أباه من عرفت وقد عقب ذراري عديدة ، ومن أشهرها آل فراهيد الخليل بن أحمد في الاسلام أكبر العلماء الأعلام وأجل الفقهاء الكرام .

وأما ثعلبة بن مالك بن فهم : فهو الذى اعتزل إخوته حين اختلفوا فى سليمة ، ورأى أخاه معنأ يتألب على قتل سليمة بعد ما حسدوه عند أبيه ، فكان قتله على يديه ، فخرج ثعلبة لا الى أخواله التتوخيين إذ كانت أمه تتوخية فاندمج فيهم ، ثم سارت تتوخ بأجمعها الى جذيمة الوضاح ، وهو إذ ذاك ملك الحيرة فذرارى ثعلبة بن مالك فيهم بالشام والجزيرة الى اليوم .

وأما معن بن مالك بن فهم : فانه أشد الناس على السليمة فلم ترضيه دية ولا قبل عذر سليمة ولا خضع لمقال إخوته ، فكان يتحين للفرصة لسليمة فيأخذه مالك على غزة فيفتك به ، ولكنه لم يظفر به حتى ارتحل سليمة من عمان الى فارس من أجله .

وأما عمرو بن مالك بن فهم : فلم تكن له أختيار بعثمان ، وكذلك أولاد الحارث بن مالك بن فهم ، ومن ذراريه الشحوح المعروفون فى شمال عمان ، ويقال إنهم لقبوا بالشحوح حين شحوا بالصدقة أيام أبى بكر رحمه الله ، وهم من أولاد الحارث بن مالك بن فهم على صحيح النسب عن أهل عمان ، ولهم لهجة ينفردون بها دون غيرهم ولهم لغة يختصون بها فيما بينهم ويتفاهمون بها وهم على ذلك منذ ذلك العهد القديم الى الآن بالنسبة الى جيرانهم .

الحلقة الرابعة

في بدء الإسلام بضمّان الى إنتضاء أيام الخلفاء الأربعة

لا يخفى أن بدء إسلام أهل عُمَان كان يسبق للصحابى الوجيه مازن ابن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبى بشر ابن حطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الخوث بن طى ، وكان من أهل سمائل ، قدم على رسول الله ﷺ عند أول ظهور الاسلام بعُمان ، وأسلم ودعا له النبى ﷺ والأهل عُمَان بخير ، وكان من خبره أنه كان يسدن صنما له فى الجاهلية فى سمائل يقال له ناجر ، تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طى ، قال مازن : فعثرنا يوما عند الصنم عتيرة ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن اسمع تسر ، أى يسرك ما تسمع ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبى من مضر بدين الله الأكبر ، فدع نحيتنا من حجر تسلّم من حر سقر ، وهو اسم من أسماء النار أعادنا الله منها :

قال مازن : ففزعت لذلك فعثرنا بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا من الصنم يقول : أقبل الى أقبل تسمع مالا يجهل ، هذا نبى مرسل ، جاء بحق منزل ، آمن به كى تعدل عن حر نار تشعل وقودها بالجنديل « فقلت : إن هذا الخير يراد بى وإنه لعجب ، أى مثل هذا الحديث عجب يظهر من الصنم ، وهو يؤنب عليه ويعظ ، قيل فبينما نحن كذلك أى نتحدث عن هذا الحال الذى سمعناه من الصنم ، وأنه لا شك أن له نبأ إذا قدم علينا رجل من أهل الحجاز ، فقلنا له : ما ورايك ؟ فقال : ظهر رجل من العرب يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعت من الصنم ، فقامت الى الصنم فكسرتة ، وركبت راجلتى فقدمت على رسول الله ﷺ وأسلمت ، وفى العقبى : أن القاسم قال : « ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله ، فلست بمعتكبر ولا جبار ، ولا مختال أدعوكم الى الله وترك عبادة الأوثان ، وأبشركم

بجنة عرضها السموات والأرض وأستنقذكم من نار لظى لا يطفأ لهيئها ولا ينعم من سكنها» ، قال مازن : فقلت هذا والله نبأ ما سمعته من الصنم ، فوثبت إليه وكسرتة جذاداً أى قطعاً ، وركبت راخطى حتى قدمت على رسول الله ﷺ ، فسألته عما بعث له فشرح لى الاسلام ونور الله قلبى للهدى فأسلمت وقلت :

كسرت ناجرا أجداداً وكان لنا
رباً نطيف به ضلاً بتضلال
بالحاشمى هدانا من ضلالتنا
ولم يكن دينه منى على بال

أى ما كنت أحتسب لدينه ولا أتوقعه حتى من الله به على فهدانى له وهذا من الحظوظ السماوية المخزونة لأهلها ، قال :

يا راكباً بلغن عمراً وإخوته
أنى لمن قال ربي ناجر قالى

قال العتبي : قوله : بلغن عمراً يريد بنى الصامت واسمه عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن الغوث بن طى ، وقوله : وإخوته وفى رواية وإخوتها يريد بنى خطامة بن سعد بن نبهان بن الغوث ابن طى ، قال مازن : « فقلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وآلك : ادع الله تعالى لأهل عثمان » . فقال : « اللهم اهدهم وأثبتهم » أى أرزقهم الهداية والثواب ، أو من الإثابة وهى الرجوع أى أرزقهم الرجوع لى الحق والمراد به الاسلام ، قال مازن : فقلت : « زدنى يا رسول الله » . فقال : اللهم أرزقهم العفاف أى الصيانة ، والكفاف ، أى الاستغناء ، والرضا بما قدرت لهم ، أى بحسب تقديرك لا بحسب قدرتك ، فإن قدرة الله

يعجز عنها الكون كله • قال مازن : قلت : « يا رسول الله البحر ينضح بجانبنا » أى قريبا منا ، أى إن بلدنا قريبة من البحر والمراد بها عُمان ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا ، والمراد بالميرة الطعام ، وبالخف الإبل والبقر ، وبالظلف الغنم ونحوها • فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « اللهم وسع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم » ، قلت : زدنى • فقال : « اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم » ، فكان بحر عُمان أكثرهم الأبحر خيراً على الإطلاق • قال رسول الله ﷺ : « قل يا مازن آمين ، فإن آمين يستجاب عنده الدعاء » • أى إن قول آمين سبب لاستجابة الدعاء عند الله كما صح فى روايات تناقلها أئمة العلم وأطالوا المقال فى شرح هذه الكلمة الوجيزة ، فينبغى أن يقال عقب كل دعاء يدعو به المسلم له أو لغيره ، وهى خاتم رب العالمين • قال مازن : « فقلت آمين » • ومعناها استجب على الصحيح فهى اسم فعل •

مازن يشكو حاله لرسول الله

كان من حسن حظ مازن رحمه الله أن شكا الى رسول الله ﷺ لما علم صدق النبوة وتحقق خالص الإيمان، ورسخ الاسلام في قلبه ، فقال يا رسول الله : إني مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفذ أكثر مالى في هذا ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ويهب لى ولداً تقربه عنى ويأتينا بالحياة ، فقال النبي ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، والحرام الحلال ، وبالعهد أى الزنى عفة الفرج ، وبالخمر رياً لا إثم فيه ، وآتهم بالحياة وهب له ولداً صالحاً تقربه عنى » ، قال مازن : فأذهب الله تعالى عنى ما كنت أجد من الطرب والنشيط لتلك الأسباب ، وحجبت حججاً ، وحفظت شطر القرآن ، وتزوجت أربع عوائل من العرب ، ورزقت ولداً سميته حيان باسم أبويه الرابع والسادس ، وأخصبت عثمان في تلك السنة وما بعدها ، وأقبل عليهم الخف وكثر صيد البحر ، وظهرت الأرباح في التجارات ، وأمن عدد من أهل عثمان ، فدل ذلك أن مازن المذكور قام بنشر الاسلام فيمن أطاعه ، ووفق الله ناساً للاسلام بواسطة مازن المذكور وأسلموا ، وظهرت بعثمان من دعائه ﷺ لهم بركات عظيمة ، وعمت عثمان كلها حيث قال رسول الله ﷺ : « اللهم اهدهم ، فأهل عثمان أكثر أهل الجزيرة العربية هدى وأصدقهم إيماناً » ، والدليل عليه أن أكثر العرب ارتدوا ونبذوا الاسلام غير أهل عثمان ، فإنهم ثبتوا على إيمانهم ولم يغيروا شيئاً ولم يبدلوا أمراً من أمر منذ ذلك العهد ، قال الامام : ومازن في ذلك شعر حيث يقول :

إليك رسول الله خبت مطيتي

تجوب الفياثى من عثمان الى العرج

والعرج موضع بقرب المدينة المنورة والمراد به نفس المدينة

قال :

لتشفع لى يا خير من وطىء الثرى
فيغفر لى ربى فأرجع بالفلج

والمراد بالفلج النصر أى فأرجع منصوراً بالإسلام . قال :

إلى معشر جانبت فى الله دينهم
فلا دينهم دينى ولا شرجهم شرجى

ومعنى جانبت خالفت ، والمراد بالشرح المخالفة أى يقال ليس من
شرجه أى شكله وطبقته . قال :

وكيت امرأ باللهو والخمر مولماً
شبابى الى أن آذن الجسم بالنهج

يذكر فى هذا البيت ما ذكره لرسول الله ﷺ عند إسلامه ،
فأبدله الله بذلك الخير الذى لايناله إلا من وفقه الله ، فتبدلت حال مازن
الى أطيب الأحوال ، فكانه يعرب عن شكره ويصرح بذكر الخير الذى
وفقه الله له وأعانه عليه ، فبدل أن يكون ربه ناجراً ، ربه الله عز وجل ،
وأبدله بالطرب قراءة القرآن ، وحفظه شطره فكان ذلك من حسن الحظ
للشيخ السعدى رحمه الله . قال مازن :

فبدلنى بالخمر أمنأ وخشية
وبالعمر إحصاناً فحصن لى فرجى

فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى
فله ما صومى ولله ما حجبى

هذا من الشكر بمكان وذكر النعمة شكر (وأما بنعمة ربك

فحدث) .

قال : فلما كان في العام القابل الذي وفدت فيه على رسول الله ﷺ وآله ، هذا يدل أن مازناً عاد على الرسول ﷺ في السنة الثانية ، فقص عليه عن حال أهل عُمَان ، فقلت : يا المبارك بن المباركين للطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوماً من أهل عَمَان ومنّ عليهم بدينك ، وقد أخصبت عَمَان خصباً هنيئاً ، وكثرت الأرباح والصيد بها ، فقال عليه الصلاة والسلام • « ديني دين الاسلام سيزيد الله أهل عَمَان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بي ورآنى ، وطوبى لمن طوبى لمن آمن لى ولم يرنى ولم ير من رآنى ، وأن الله سيزيد أهل عَمَان إسلاماً » ، أى سينتشر الاسلام حتى يعم أهل عَمَان كلهم فكان الأمر كذلك •

وجاء في خبر الفرس الذين بقوا بعَمَان الى أن جاء الاسلام وانتشر في الجزيرة العربية ، وكتب رسول الله ﷺ الى ملك الفرس وهو كسرى أبرويز بن كسرى أنوشروان يدعوه الى إسلام ، فمزق كتاب النبي ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم مزق شمله كل ممزق » ، فلم يفلح كسرى بعد دعوة النبي ﷺ وآله وسلم، فسلط الله عليه ابنه فقتله ، وابته هذا هو شيويه ، ثم إن شيويه هذا اهتم بأمر النبي ﷺ وخاف على نفسه ، فكتب الى عامله بعَمَان واسمه باذان ، ويقال الفستحان وهو المرزبان القائم عنهم بعَمَان ، ولقبه المرزبان بحسب عُرْف العجم ، يقول له في كتابه : أن أبعث من قبلك رجلاً عربياً فارسياً أى يعبر بالفارسية عن العربية يحسنهما معاً ، صدوقاً ، أى يمكن أن نعتد على مقالته ، ويكون قد قرأ الكتب ، أى له علم بخير ما يأتى من النبوات ، وأرسله الى الحجاز

يتعرف خبر هذا النبي العربي الذي يشيع خبره الآن في العالم ، فبعث باذان ويقال الفستحان رجلاً من طاحية يقال له كعب به برشة الطاحي ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، أى كتب النصرانية ، فقدم كعب المذكور المدينة وأتى النبي ﷺ فكلمه فرأى فيه الصفات التي يجدها في الكتب ، فعرف أنه نبي مرسل فعرض عليه النبي ﷺ الاسلام ، فأسلم كعب ثم رجع الى عثمان فكان الصحابي الثاني بعثمان ، قال فأتى باذان فأخبره أن النبي ﷺ نبي مرسل ، فقال هذا أمر أريد أن أشفاه فيه الملك ، واستخلف على أصحابه الذين بعثهم رجلاً من قومه يقال له مسكان ، خرج باذان الى الملك كسرى بفارس ليشافهه فيما هو بصدده من أمر هذا النبي الوارد ذكره على مسامع العالم ، ثم إن رسول الله ﷺ كتب الى أهل عثمان ، أى يدعوهم للاسلام ، وكان الملك بعثمان في ذلك العهد الجلندي بن المتسكير ، وأرسل إليه رسول الله يدعو للإسلام هو ومن معه من أهل عثمان ، فأجاب الداعي وأرسل الى الفرس الذين بعثهم ، وكانوا مجوساً فدعاهم الى التدين بهذا الدين والإجابة الى دعوة محمد ﷺ فأبوا ، فأخرجهم الجلندي قهراً وصغراً من عثمان ، أى أرغمهم على الخروج من عثمان حيث لم يقبلوا الدخول في الدين ، ولم يروا بدأ من الخروج ، حيث إن العرب أقوى منهم بعثمان ، وإليهم أمرها .

قال الامام ، وقال آخرون : « إن النبي ﷺ وآله وسلم كتب الى أهل عثمان يدعوهم الى الاسلام ، وعلى أهل الريف منهم عبد وجيبر ابنا الجلندي ، وكان أبوهما قد مات في ذلك العصر » ، قلت : من الجائز أن يكون الجندي هو المدعو أولاً وقد أجاب الداعي ، ثم إنه مات فكتب ﷺ الى عبد وجيبر أو أن الجلندي كما هو المشهور أنه لقب لكل من ملك عثمان في الجاهلية ، كما قيل لكل من ملك اليمن تبع ، ولكل من ملك مصر فرعون ، ولكل من ملك على الروم قيصر ، ولكل من ملك على الفرس كسرى وهكذا .

قال فكان في كتابه ﷺ إلى أهل عُمَان : « فأقروا بشهادة أولاً إليه إلا الله وأنى محمد رسول الله ، وأدوا الزكاة ، وأعمروا المساجد وإلا غزوتكم » ، ولم يذكر في هذه الرواية الصلاة ، ولعلها كانت مفهومة ، ونص على الزكاة لأنها مالية وشح النفوس بالمال معروف ، ويدل لما قلناه أمره بعمران المساجد ، فإنها لا تكون إلا للصلاة ، قال وعن الواقدى بإسناد : « أن النبي ﷺ كتب إلى جيفر وعبد ابني الجلندى الأزدي بعُمان ، وبعث عمرو بن العاص بن وائل السهمى بكتابه إليهما ، وكان كتابه صحيفة أقل من الشبر فيها نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فإنى رسول الله إلى الناس كافة ، لا تحذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالاسلام ولينتكما ، وإن أبيتما أن تقررا بالاسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلى تطأ ساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما » .

وكان الكاتب لهذا أبى بن كعب ، وهو ﷺ المولى عليه ، وطوى الصحيفة وختمها بخاتمه المبارك ، وكان نقش الخاتم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي هذه الرواية التصريح منه ﷺ بالرسالة إلى كافة الناس كما في القرآن ، وأن الإنذار من جملة ما أرسل به ﷺ ، وأن نفس الإقرار بالاسلام يجعل المقر مسلماً يولى الأمور ويتولى في الدين ، وأن الامتناع من الإقرار بالاسلام يبيح قتال الممتنع ممها كان وفيه التصريح بأن الاسلام لا يحابى ولا يدهان ولا سياسة له غير ما يقتضيه الحق ، فمن أقر بالاسلام حرم دمه وماله ، ويقاقل على البغى من غير أن يستحل ماله ما لم يصرح بموجب الكفر ، أما ما كان من خصال الكفر بالتأويل فلا يبيح مال امرئ مسلم ولا سببه أبداً خلافاً لمن رأى ذلك ، وقد توعد رسول الله ﷺ جيفر وعبد بزوال ملكهما إن لم يسلما ،

وأن خيل المسلمين لا بد وان تقاتل من أبي ، وقد قاتلت العرب وغيرهم ممن
أصر على كفره .

قال الامام رحمه الله : فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبي ﷺ
الى عبد وجيفر ابني الجلندي بعثمان ، فكان أول موضع دخله من صحار
دستجرد وهي مدينة بنتها العجم في صحار في حال مهادنتهم الجلندي ،
فنزل بها عمرو بن العاص وقت الظهر ، وبعث الى بني الجلندي وهم
ببادية عمان ، ولطهم في الداخل كما هو المعروف من أن العرب في
الداخل والعجم في الساحل ، قال : « فكان أول من لقيه عبد بن
الجلندي وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً ، فأوصل عمراً الى أخيه
جيفر بن الجلندي بكتاب النبي ﷺ ، فدفعه اليه مختوماً ففرض ختامه
وقراه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته » .

ملك عثمان جيفر يعقد مؤتمراً للنظر في الدعوة النبوية

لما عرف جيفر جلال الأمر وهاله الحادث ولا يدري منتهى المصير فيه ، أرجأ الأمر واستدعى بأهل مشورته • قال الامام : ثم التفت الى عمرو فقال له : إن هذا الأمر الذى تدعو له ليس بصغير ، أو هذا الأمر الذى يدعو له أى النبى ﷺ بالمشناة التحتية ، وقوله من جهة صاحبك يدل أن الخطاب لعمر بن العاص ، وأنه هو الداعى ، قال جيفر وأنا أعيد فكرى فيه وأعلمك ، وأنه استحضرت جماعة الأزدي ودارت بينهم الآراء والأنظار ، ثم حاج الأمر الى طلب كعب بن برشة للاستفسار عما رأى من أمر النبى ﷺ وللتأكد منه فأرسلوا له فسألوه عن أمر النبى ﷺ ، فقال كعب : الرجل نبى مرسل ، وقد عرفت صفته وسيظهر على العرب والعجم ، فأجاب جيفر الى الاسلام بعد ما تحقق الأمر ، فأسلم هو وأخوه فى ساعة واحدة ، ثم بعث جيفر الى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد ﷺ ، قلت : هكذا ينبغي من أهل المناصب إذا عرفوا الحق أذعنوا له وناصروه ووازره ، وكانوا له أعيانا وعيونا ، فأدخلهم أى جيفر فى دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها على الجهر التى أمره بها النبى ﷺ ، ثم بعث الى ديبى وما يليها الى آخر عثمان أى فى الأطراف الشمالية الساحلية ، قال : فما ورد رسول جيفر على أحد إلا وأسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا فى ذلك العهد بعثمان ، واجتمعت الأزدي الى جيفر بن الجلندى ، وقالوا : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراج مسكان ومن معه من الفرس الباقين فى دستجرد ، فدعا جيفر بالمرازبة والأساورة فأعلن

لهم بأنه بعث منا في العرب نبي ، فأختاروا منا إحدى حالتين إما أن تسلموا أى كما أسلمنا ، وتدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم ، فأبوا أن يسلموا وقالوا لسنا نخرج . قلت : هذا لسوء حظهم وقد مارسوا العرب في عُمان منذ عهد مالك فهم وأصحابه ، ولم تنزل الدوائر تدور عليهم والهزائم تتوالى عليهم ، ولو دخلوا في الدين لأحبهم العرب بولكان لهم في عُمان مقام ثابت الدعائم ، لكن أراد لرتحالهم من عُمان كلياً ، وعيدما تحقق اصرارهم على مجوسيتهم وعلى عدم الخروج من عُمان بسهولة ، اجتمعت الأزدي على إجلائهم ، ولم يروا بدأ من قتالهم : فزحفوا عليهم بعزائم الإيमान ، وكانوا قبل والكل على حال شرك والنصر للعرب فكيف بهم الآن والعرب على الإيमान ، فتقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتل السكان الذي أبى الإيमान ، وأصر على عبادة النيران ، وقتل من أصحاب مسكان كثير وكذلك قواد جيشه وضباطه ، وبقيت منهم بقية تحصنت في حصنهم بدستجرد ، فزحف عليهم وقد استبسلا وصار النصر حليفهم ، ونشوة الانتصار كادت أن تطير بهم ، فضايقوهم بالحصار أشد ما يكون ، فلما طال بهم الحصار ، ورأوا أن لا مناص لهم من الخضوع لأمر العرب طلبوا الصلح أو قل طلبوا الإذن لينجوا بأنفسهم فوافقهم العرب على الخروج من عُمان بتاتاً على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا الى أرض فارس ، فأجابوهم الى ذلك وخرجوا من عُمان كلياً ، وذلك آخر عهدهم بها إلا أن الأيام لا زال تغريهم على العودة الى عُمان ، فلم يكن لهم طلع سعيد يستقرون به في عُمان ، فكلما جاءوا غزاة قضى عليهم طالع نحسهم ، وسوف ترى منهم في غزواتهم لعُمان العجب والدمار لا يزال حليفهم : والأمر لله .

قال الامام رحمه الله : وفي السيرة الطلبية أن عمرو بن العاص
قال: خرجت حتى انتهيت الى عُمان فعمدت الى عبد ، وكان أحلم الرجلين
أى أليتهما جانباً وأسهلهما خلقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله ﷺ
إليك وإلى أخيك ، فقال أخى هو المقدم على بالسن والملك ، أى هو أكبر
منى سنّاً وهو الملك ، وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك .

النقاش يدور بين عبد وعمرو

لما تحقق عبد بن الجلفدى صحة الأمر الذى جاء له عمرو بن العاص ، فتح له باب النقاش ، ليعرف الغاية من هذا الطلب ، ويدرى غاية المصير فيه ، فقال : « وما تدعو إليه ، أى ، أى شئ تريد ، وما هو الذى تطلبه بصفتك رسولا ؟ » قال عمرو : « قلت أدعوك الى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه ، وتشهد أن مُحَمداً عبده ورسوله ، أى أدعوك أولاً الى معرفة الله وتوحيده ، وأنه لا شريك له ، وترفض سائر المعبودات من دون الله عز وجل ، ثم تعترف برسالة مُحَمَّد ﷺ ، فقال : أى عبد لعمرو بن العاص : إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك ، يعنى العاص بن وائل ، فإن لنا فيه قدوة ، والمعنى أنك من أكابر قريش ، لأن أباك من لا يجهل شرفه وشهرته فى قومه ، وأهل الشرف لا يليق بهم إلا قول الصدق الذى لا يخل بشرفهم ، ولا يقدر فى مناصبهم ، وكأنه استكبر الأمر فإن العاص وأمثاله هم عتاة قريش ، فانه لا بد أن يكون حجة لنا فى هذا الأمر الذى جئت له ، قال ، أى عمرو بن العاص : قلت مات ولم يؤمن بمُحَمَّد ﷺ ، وودت له لو آمن وصدق به لكان خيراً له ، وقد كنت على دينه وعلى مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام ، قال عبد : فمتى تبعته أى قبل موت أبيك أم بعده ، فقال عمرو : قريباً أى أتبعته من قريب ، قال فسألنى أين كان إسلامى فقلت عند النجاشى ، وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه واتبعوه ، قال أى عبد : والأساقفة أى رؤساء النصرانية والرهبان قلت : نعم أى كذلك ، وهنا استكبر الأمر واتهمه فيه ، فقال أى عبد : انظر يا عمرو أى فيما تقول ، إنه ليس خصلة فى رجل أمضح له .

أى أكثر فضيحة من كذب ، أى أن هذا الأمر الذى تخبرنى به كبيراً ولا يتأتى بالهويناء وبالخصوص عند النصارى لا سيما وهم أعداء العرب ، قال عمرو : قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا . ثم قال أى عبد ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى أى هو تحت سيطرة هرقل ، وهرقل ملك عظيم ، والنجاشى من أخص أهل طاعته . قال عمرو : قلت له بلى أى علم بذلك فقال بأى شىء علمت ذلك يا عمرو ؟ قلت : كان يخرج له النجاشى رضى الله عنه خراجاً ، فلما أسلم النجاشى وصدق بمحمد ﷺ ، قال لا والله لو سألتى درهماً واحداً ما أعطيته أى لأن العطاء يكون عوناً له ، ولا تصح إعانة الكافر فيما يتقوى به على المسلمين ، قال فبلغ ذلك هرقل قوله ، فقال له أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً ، وهذا على عادتهم إذ يرون عمالهم عبيداً لهم ، قال فقال : هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به ؟ وحرية الأديان فى الشريعة الأولى معروفة ، أشار إليها القرآن بقوله : (لا إكراه فى الدين) الآية فى أمثالها . قال هرقل : « والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع » . ومعنى قوله لولا الضن بملكى أى لولا أن نفسى لا تسمح أن أتخلى عن هذا الملك الذى فى يدي لأسلمت كما أسلم النجاشى ، قلت : وقد جاء ذكر إسلام هرقل فى روايات شهيرة . فقال عبد لعمرو : أنظر ما تقول يا عمرو وهو يتهمه . فقال عمرو : قلت والله قد صدقتك ، أى قلت لك الصدق والواقع ، قال عبد : فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه ، قال قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته . قلت لما فرغ عبد من البحث عن أحوال هؤلاء الملوك وسمع ما سمع من قبولهم الإسلام وخضوعهم لأوامره واعتناقهم له ، التفت الى استفسار ما يأمر به هذا النبى وما ينهى عنه ، وهل

هو مما يقبله العقل ويصوب له أم يرى في أوامر إضطرابا ؟ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) •

وما أغزر عقل هذا البطل الأزدي ما أدراه بموارد الأمور ومصادرها ، قال : ويأمر بصلة الرحم وبالبر وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنى وشرب المخر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، قلت : وهذه الأوامر والنواهي في هذه الكلمات الوجيزة هي عمود الاسلام وجوهره ، فان الأمر بطاعة الله عز وجل والنهي عن معصيته جماع كل خير وصرف عن كل شر ، وكذلك الأمر بالبر فهو اسم جامع لأنواع الطاعات ، وقوله : وينهى عن الظلم ، وهو اسم لكل شر قليلا كان أو كثيراً ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، وكذلك العدوان ، فان كل ما خرج عن كون طاعة وخيراً فهو عدوان سواء كان قولاً أو فعلاً أو نحو ذلك ، ثم صرح أيضاً بالنهي عن الزنى وشرب الخمر وعن عبادة الأبحار والأوثان ، أى التماثيل ، وكذلك الصلبان ، ففي هذه الأوامر جماع روح الاسلام وجوهره ، ولا ريب فان رسول الله ﷺ أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ، فلهذا خرجت أوامره بمثل هذه العبارات فتلقاها أصحابها منه فخرجوا بها الى سائر الأمم دعاء وهداة مبلغين عنه ومبشرين ومنذرين •

فلما سمع عبد بن الجندی هذه الأوامر سرته واستحسنها ، وبطبيعة الحال إن الحق مقبول وله في القلوب تأثير ولو جاء على لسان كافر ، فلذلك قال عبد : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ، كما شهد به أيضاً هرقل في حديثه مع أبي سفيان • قال عبد : لو كان أخى يطاوعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ، أى لكان من الواجب أن ننفذ عليه ﷺ في مقره

فنصدق به ونواجهه ، فيكون ذلك لنا أكبر شأنا وأعلى قدراً عند الله ، ولا نكتفى بالإيمان به من بعيد ، على لسان رسوله عمرو بن العاص ، ولله در عبد لذلك السيد الطويل النظر ، الصحيح الفكر ، ولله در الأخلاق إنها لدليل على حقائق أهلها • قال عبد : « ولكن أخى لا يتابعنى » وفي رواية « لكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً » أى تابعاً • قال : قلت إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه ، أى لا غرض له ﷺ في الأمور الدنيوية ، ويعلم عمرو بن العاص وهو رسوله ﷺ أن كل ما يرمى إليه النبي ﷺ طاعة الله عز وجل ، وإذا لم يخضع للإسلام فلن يتركه ﷺ على ملكه وهو مصر على كفره ، فإن حجة الله على الأمة أنبياءؤها على ملوكها ، وملوكها على رعيتها ، وبأصرار الملوك تستباح حرم الملوك كما في أحاديث شهيرة عنه ﷺ ، وبالانقياد للحق من الزعماء يكتفى عن الباقيين كما دل عليه قول عمرو نفسه ، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها في فقيرهم ، أى أن الله عز وعل فرض النفقة على الأغنياء للفقراء ، فكانت منه تعالى وصلة رابطة بين المسلمين ، وموفرة على الفقراء أحوالهم ، ومساعدة لهم من أهل الأموال • قال عبد : إن هذا الخلق حسن • قلت كيف لا يكون حسناً وهو سياسة حكيم السموات والأرض ، خالق الحكمة ومنظم الأمة سبحانه وتعالى ، ما أعظم شأنه ، وما أعلى ميزاته •

قال عبد : وما الصدقة أى ما صفتها وما حكمها ؟ قال عمرو ، فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ على أمته من الصدقات في الأموال ، أى على اختلاف أنواعها • قال : ولما ذكرت المواشى • قال عبد : يا عمرو ويأخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه ، أى رأى ذلك مستغرباً عنده وغفل عما عداها من نوعها ، لأنه كان يعلم ضرائب

الملوك على أموال العباد على غير هذا النمط ، وإنما هي قوانين تسنها الملوك على الأمة بمقتضى الهوى ، قال عمرو : فقلت نعم أى يأخذ ذلك الذى استكرته وليس بمستكر ، والله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . فقال أى عبد : والله ما أرى قوماً فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا ، أى يرونه عظيماً أن يتصرف أحد فى أموالهم كهذا التصرف ، فينزح منه قسماً لأجنبى .

قال عمرو بن العاص : فبقيت أتردد على باب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبرى ثم إنه دعانى فدخلت عليه ، فأخذ أعوانه بضبعى أى عضدى ، قال : دعوه . فأرسلت أى أطلقونى ، قال فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعونى أجلس ، وأظهروا له عتواً ، قال : فنظرت اليه أى فى ذلك الحال ، فقال : تكلم بحاجتك ، قال : فدفعت اليه كتاباً مختوماً ، ففص ختامه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه اليه كتاباً مختوماً ، ففص ختامه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى أخيه فقرأه أى عبد ، ثم أدار النقاش جيفر من نوع نقاش أخيه عبد قائلاً : ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت ، أى وهم أشد مراساً وأطول يداً ولساناً ، وأخص به من غيرهم ؟ قال عمرو : فقلت اتبعوه إما راغب فى الدين ، وإما راهب مقهور بالسيف ، وإنه لجواب مدهش جامع لمقتضى المقام ، وهكذا ينبغي أن تكون رسل الزعماء والأكابر . قال جيفر « ومن معه » أى الرسول ﷺ . قال عمرو : قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال مبين ، أى أن الاسلام مال اليه الناس بطبيعة حاله الجذابة الفعالة فى العقول السليمة ، انقيادها الى عزاها وشرفها الذى جابها به الاسلام . وصارحها به سيد الأنام ، قال عمرو : فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه

الخرجة ، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطوُّك الخيل وتبيد خضراءك
قال الامام : أى جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ، ولا تدخل
عليك الخيل والرجال ، أى فانك لا شك تتأهب لحرب المسلمين للذين
دوخوا الأكاسرة والقيصرة ، ولست بأقوى منهم .

ولما سمع هذه الكلمات من عمرو بن العاص ذلك الداهية ، هزته
وزلزلت من كيانه ، ولعم أن الحرب ما بينه وإياها إلا رجوع عمرو بن
العاص ، فقال لعمرو : « دعنى يومى هذا وارجع الى غداً . قال :
فلما كان الغد أتيتته فأبى أن يأذن لى فرجعت الى أخيه فأخبرته
أنى لم أصل اليه ، فأوصلنى اليه ، فقال إنى فكرت فيما دعوتنى
اليه ، فاذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ
خيله الى هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفت أى وجدت قتالا ليس كهتال
من لاقى » . قال عمرو : « قلت وأنا خارج غداً . قال فلما أيقن
بمخرجى خلى به أخوه فأصبح فأرسل الى فأجاب الى الاسلام هو
وأخوه ، وصدقا وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكان
لى عوناً على من خالفنى » .

وانظر الى جرأة عمرو بن العاص حيث يقول لجيفر لما قال
فكرت فيما دعوتنى اليه ، فاذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً
ما فى يدى ، وهو لا تبلغ خيله الى هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفت
قتالاً ليس كهتال من لاقى قال له إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطوُّك
الخيل وتبيد خضراءك ، أى رجالك وهذا من الجرأة بمكان حيث
يقولها ملك فى عرش ملكه ، وبين أرهاطه وجنوده ، ولكن مقام الاسلام
عظيم ، والرسول فى الحقيقة عين المرسل وقد انتخب الرسول ﷺ
ذلك الداهية المعروف بأرطبون العرب .

وفي الحقيقة أن عبد بن الجلندي كان داعية الرسول ﷺ الى الاسلام ، حيث أسلم جيفر بالأفكار الطيبة من عبد ، وفي النص الإلهي يقول من ثمارهم تعرفونهم ، وقد جاء في بعض الروايات : أن عبداً قال لأخيه جيفر : أطعه فان كان الرجل صادقاً فيما يدعى كنت ممن أطاع ولك بذلك الشرف ، وإن كان كاذباً فقد أطاعته العرب إلخ ، وهذا من التفكير الصحيح الذي لا يهتدى اليه إلا الموفق من الناس ، فلما أسلم جيفر وعبد أسلم أهل عمان حالاً ، وفشا الاسلام مصداقاً لقوله ﷺ : الناس في دين ملوكهم . ولهذا كان الرسول ﷺ ، يَحْمِلُ جرائم الأمة على الزعماء ، لأن لهم الطاعة عليهم طبعاً ، ويبدل حديث عمرو بن العاص مع ملكي عمان أن الأمة إذا أسلمت وجبت عليها الزكاة حالاً ، فلا ينتظر بها الحول منذ وقع الاسلام ، بل يتعين الوجوب وهو اوضح ، وكان جيفر وعبد عوناً لعمر بن العاص على الناس ، فبلغ بهما الأرب الذي أراده رسول الله ﷺ وهو إنقاذ الأمة من هوة الكفر الموجب للخلود في النار والعياذ بالله منها .

ولما فشا الاسلام في عمان وعم الداني والقاصي فيها وصار عمرو بن العاص حاكم البلاد ، ونفذت أوامره الاسلامية بمعونة دينك الملكين الكريمين اللذين كانا عوناً لعمر بن العاص على نشر الدعوة ، وبث روح الاسلام ، وأقام عمرو بين القوم معزراً مكرماً حتى هم بالرجوع الى المدينة ، وتحفز للخروج ، وإذا بالمنية تقضى على سيد الأولين والآخرين .

قال الامام رحمه الله : « بعد أن مكث عمرو بن العاص في عمان عاملاً عليها لرسول الله ﷺ وأهلها له طائعون ولقوله سامعون الى أن بلغته وفاة رسول الله ﷺ فعزم على الرجوع الى المدينة » .

عمرو بن العاص أمير عمان يخرج الى المدينة معبراً عن انقياد أهل عمان للإسلام

لقد قضى عمرو بن العاص تلك الثلاثة الأعوام في عمان ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، بائناً أوامر الاسلام ، معلماً للناس أمر دينهم ثم رأى الرجوع الى المدينة للتعبير عن جهته الوحيدة ومؤيداً الى ولى الأمر الواجبات المحمولة على عاتقه ، فعزم على الخروج راجعاً الى المدينة عاصمة الاسلام وبيضة الدين .

فقام لصحبته السيد الهمام عبد بن الجلندى لسان الملك ، وعون ابن العاص رسول الرسول ﷺ ، مؤدياً للواجب ومعززاً للامير القرشى السهمى لسان الاسلام في عمان ، ومظهراً لاسلام أهل عمان ، وانتخب معه من أعيان قومه الرجال الفطاحل ، مثل جعفر بن جشم العتكى ، وأبى صفرة سارف بن ظالم من كبراء رجال الأزرد في عمان ، ومن المنظور إليهم في ذلك الأوان ، وأن الرجل من أجلة العثمانيين كما عبرنا عنه .

في رعاية الأحساب ، مع جملة من أعيان عمان ذكرهم التاريخ العثمانى وغيره كما سوف تسمع عنهم ، واصطحب معه الخفراء من الأزرد وعبد القيس يأمن بهم في طريقه عملاً بالقضايا العربية إذ ذلك . ومر على المنذر بن ساوى حاكم البحرين في هجر ، ومر على بنى حنيفة فأخذ منهم أيضاً خفراء حتى نزل أرض بنى عامر ، فنزل على قررة ابن هبيرة القشيري ، وقيل خرج قررة بن هبيرة مع عمرو في مائة رجل من قومه خفراء له ، قال : وأقبل عمرو بن العاص يلقى الناس مرتدين أى

عن الاسلام حتى أتى ذالقصّة ، فلقيه عيينة بن حصن خارجاً من المدينة ، وذلك حين قدم على أبي بكر ، ويقول : إن جعلت لنا شيئاً كفيئناك ما وراعتك يا عيينة من ولى الناس أمورهم ، قال أبا بكر : فقال عمرو : الله أكبر . قال عيينة : « يا عمرو استويننا نحن وأنتم ، فقال عمرو كذبت يا ابن الأخابث من مضر ، قال : وسار عيينة فجعل يقول لمن لقيه من الناس احبسوا عليكم أموالكم ، قالوا : فأنت ما تصنع . قال : لا يدفع اليه رجل من فزارة عناقاً واحدة ، ولحق منذ ذلك بطليحة الاسدى ، فكان معه ، قال : ولما فرغ خالد أى ابن الوليد من بيعة بنى عامر صال على عيينة بن حصن المذكور صولة الأسد الباسل ، فأوثقه كتافاً وأوثق معه قرّة بن هبيرة القشيري ، وبعث بهما الى أبي بكر رضى الله عنه .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فقدم بهما الى المدينة فى وثاق ، فنظرت الى عيينة مجموعة يده الى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد ، ويضربونه ويقولون : أى عدو الله أكفرت بالله بعد إيمانك ، فيقول : والله ما كنت آمنّت بالله . قال : فلم يعاقب أبو بكر رضى الله عنه قرّة وعفا عنه ، قال : وكتب له أماناً وكتب لعيينة أماناً وقبل منه ، قلت : إنما كان ذلك سياسة من أبى بكر رحمه الله بهؤلاء المؤلفّة قلوبهم ، ولهم فى النفاق حظ وافر لكى تهدأ العرب ويسكن روعها ، فإن عهدهم بجاهليتهم قريب والشيطان يراوهم ويناديهم وبكفره يناديهم . قال : وفى كامل ابن الأثير مات رسول الله ﷺ وعمرو بعثمان ، قال : فأقبل حتى انتهى الى البحرين فوجد المنذر بن ساوى فى الموت ، ثم خرج عنه الى بلاد بنى عامر فنزل بقرّة بن هبيرة ، وقرّة يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، أى فى الارتداد ، وقد لعب به الشيطان ليرديه .

قال : ومعه عسكر من بنى عامر ، قال فذبح له وأكرم مثواه ، فلما أراد الرحلة خلا به قرّة ، وقال : يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، أى وهى ضريبة الملوك ، ويعنى بها الزكاة فهو يعتقدونها من ذلك النوع . قال : فان أعفيتها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ، وان أبيتم فلا تجتمع عليكم ، فقال له عمرو : أكفرت يا قرّة تخوفنا بالعرب ، فوالله لأوطنن عليك الخيل فى حفش أمك ، والمراد به البيت المسترذل بسكونه ، وكان ذلك تهديدا من الداهية القرشى السهمى الذى قيضه الله لتركيذ دعائم الاسلام كسائر إخوانه المخلصين فى مساعيهم ، وفى ذلك تأييد للدين وتدعيم قواعد المسلمين ، قال : وقدم على المسلمين بالمدينة وأخبرهم فطافوا به يسألونه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا الى المدينة قال : فتفرقوا وتحلقوا حلقا ، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو بن العاص ، فمر على حلقة فيها على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، قال : فلما دنا منهم عمر سكتوا ، فقال أى عمر : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال لهم : إنكم تقولون ما أخوفنا على قريش من قتل وأسر واستئصال معدود على قريش ، لأن الرسول منهم وهو الأمر وهو الفاعل ، وقريش قومه وهم معه ، وكان ذلك يترأى له بالمعيته المخصوص بها من الله لذلك لما قال لهم هذا المقال ، قالوا كلهم : صدقت ، قال عمر : لاتخافوهم أنا والله منكم على العرب أخوف منى باطله من العرب عليكم ، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب فى آثاركم ، قلت ذلك لما علمه من الرسول ﷺ ، إذ يقول الناس : تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم ، وقوله : لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم رجلان ، أو قال ما بقى فيهم رجلان أو كما قال : عليه الصلاة والسلام ، وقد رسخ فى ذهن الفاروق تحقيق

الحقائق التي علمها من الشارح رحمته الله ، وما أدركه بألمعيته النيرة الوقادة
رحمه الله وغفر له .

وبذلك المقال السياسي أيضاً أسكن حفيظة القوم وهدأ روعهم
وبشرهم بمستقبلهم الحسن ، قال عمر : فاتقوا الله فيهم أى في العرب ،
قال : ومضى عمر فلما قدم بقرة بن هبيرة على أبى بكر أسيراً استشهد بعمر
على إسلامه ، فأحضر أبو بكر عمراً فسأله فأخبره بقول قررة الى أن
وصلا الى ذكر الزكاة ، فقال قررة : مهلا يا عمرو ، فقال : كلا والله
لأخبرنه بجميعه ، فعفا عنه أبو بكر وقبل إسلامه ، وقوله : لما وصلا
الى ذكر الزكاة قال قررة : مهلا يا عمرو أى لا تخبره فان ذلك بيت
القصيد ، وقوله : كلا والله لأخبرنه بجميعه كان ذلك واجب الأمانة
الدينية في الاسلام ، وكان من سياسة أبى بكر رضى الله عنه تألف
الامة ليهدأ روعها وتسكن نائرتها ويصطك حجر الاسلام على بعضه
بعض .

وللرجال سياسات كما للأوقات كذلك ، قال الامام وذكر ابن الأثير
في كامله أيضاً في قدوم عمرو على معاوية بعد قتل عثمان قال : وكان
قد علم الذى يكون فعله عليه لأن النبى رحمته الله كان قد بعثه الى عثمان ،
فسمع من خبر هناك شيئاً عرف مصداقه ، فسأله عن وفاة النبى رحمته الله
ومن يكون بعده ، فأخبره بأبى بكر وأن مدته قصيرة ، ثم يلى بعده رجل
من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ، ثم يلى بعده رجل من قومه تطول
مدته ويقتل عن ملا . قال ذلك أشر ، ثم يلى بعده رجل من قومه ينتشر
الناس عليه ، ويكون على رأسه حرب شديدة ، يقتل قبل أن يجتمع الناس

عليه ، ثم يلي بعده أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه ، وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت .

وكان الرجل الذي تطول مدته ويقتل غيلة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والمراد بالرجل الذي تطول مدته ويقتل عن ملاء هو عثمان ، إذ اجتمع عليه المسلمون من نواح عديدة وحصلوه في بيته مدة حتى قتل ، والمراد بالرجل الذي تكون على رأسه حرب شديدة ، ثم يقتل قبل أن يجتمع الناس عليه هو على بن أبى طالب ، والمراد بالرجل الذي يكون أمير الأرض المقدسة ويطول ملكه معاوية بن أبى سفيان ، وقد قال ابن الأثير بهذا في كتابه الكامل متلقياً له بالنقل عن لهم العلم به ، والمعنى لذلك مال عمرو بن العاص الى موطأة معاوية بن أبى سفيان ، إذ رأى القضايا جاءت متتري كما قيل له ، فكانت طبق ما قيل له .

ولا شك أن مثل عمرو بن العاص الداهية الوحيد في قومه يرى القضايا رأى العين ، كما قيل له عنها لا يرضى أن يكون فيها ذنباً ، بل يرضى أن يكون فيها رأساً وهامة ، وقد تلقى عمرو بن العاص هذا الأمر من يهودى من يهود صُحار ، كما أشار اليه ابن الأثير .

قال الامام السالمى رحمه الله وهو يذكر إسلام أهل عُمان في (تحفة الأعيان) ، وفي تاريخ الخميس : كان عمرو بن العاص عاملاً للنبي ﷺ على عُمان ، فجاءة يوماً يهودى من يهود عُمان ، فقال له أرأيتك إن سألتك عن شىء أخشى على منك ؟ قال : قال لا . قال اليهودى : أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟ قال : اللهم رسول الله . قال اليهودى : آله انك لتعلم أنه رسول الله ؟ قال عمرو : اللهم نعم . فقال اليهودى :

لأن كان حقاً ما تقول لقد مات اليوم ، فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وحواشيه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودى فيه ما قال : ثم خرج بخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم في طريقه ، قال ففاجأه ذلك عند المنذر بن ساوى ، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة ، فأخذ منهم خفراء حتى جاء أرض بنى عامر ، فنزل على قرّة بن هبيرة القشيري ، وذكر الحديث الذي قدمناه : ومفاده أن عمرو بن العاص تلقى من ذلك اليهودى الذى حدثه بصحار عن وفاة النبي ﷺ معلومات هامة ، فسار في حياته على ضوئها فرآها لا تزال تأتي كما قال له ذلك اليهودى ، فلذلك تحين الفرصة وعمل بمقتضى ما صح معه ، وكان الأمر جلياً نصب عينه ، وغير بعيد أن يصح ما قاله ذلك اليهودى ، لأن اليهود أتاهم الله التوراة وفيها ذكر الرسول ﷺ صريحاً ، وذكر قومه وما يكون بينهم وما يقع لهم من النصر على من عاداهم والظفر لمن خصمهم ، وقد قال اليهود في المدينة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنا نجدك في التوراة ، قال تجدونى ماذا ؟ قالوا نجدك قرناً ، قال قرن ماذا ؟ قالوا قرن من حديد أ ه ، ولا يدركون مثل هذا إلا بنص نبوى ، وقد صح ذكر هذه الأمة في الكتب السابقة حتى تمنى موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام أن يكون منها كما في خبر الألواح ، فكان ما قاله يهودى صُحّر أمراً واقعاً ، وكان عمرو من مشاهير رجال الدنيا الذين يرغبون فيها ويميلون إليها .

قال الإمام رحمه الله : « دخل عمرو بن العاص على أبى بكر رحمه الله ومعه رجال الأزد من عثمان ، فقام سارف بن ظالم خطيباً » ، فقال : « يا خليفة رسول ﷺ ، ومعاشر قريش ، هذه أمانة كانت في أيدينا (م ٩ - عمان عبر التاريخ ج ١)

وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ ، فقد برثنا منها إليك » • فقال أبو بكر رضى الله عنه : « جزاكم الله خيراً ، وأثنى عليهم المسلمون خيراً ، وقام الخطباء بالثناء عليهم المدح ، فقالوا كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله ﷺ وثناءه عليكم ، ثم قام عمرو بن العاص والى عثمان ، فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله في الأزد ، ثم جاءت وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه ، فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبى فصلى عليه وقال :

« معاشر أهل عثمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يبطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، وجشمتوه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشئت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطلعتموه إذا أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ، وأى فعل أشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله ﷺ الى يوم الميعاد » ، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً ، وقد من الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابني الجلندى ، وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم أى وهو انقيادكم للحق وتعزيزكم له ، حيث لما بلغتكم وفاة الرسول ﷺ ثبتتم على الاسلام ولم تترزعوا كما ترزع غيركم من الناس ، ولا تقلقتم كما تقلقوا ، وأنتم كثيرو العدد » • قال أبو بكر رضى الله عنه : « وقمتم مقاماً حمدناكم فيه » ، وهو ثباتهم على الحق ومؤازرتهم له

وتأييدهم ، قال « ومحضتم بالنصيحة » ، أى أخلصتموها وصارحتهم بها . قال : « وشاركتكم بالنفس والمال ، فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم وللناس جولة » ، أى لا بد لهم من ترزاع وحيرة ودهشة ، قال : « فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، أى وهو ثباتكم القوى على دينكم ، وفى طاعة إمامكم وزعيمكم » ، قال : « ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، أى لأنكم صارعتم الجنود الفارسية مدة طويلة حتى قضيتهم عليهم ، « فلا أخشى عليكم أحداً بعدهم بحسب ظاهر الحال لا حكماً على الغيب » ، قال : ولا أن ترجعوا عن دينكم ، أى دلائل الحال قاضية بذلك ، ودلائل المقال عن رسول الله ﷺ شاهدة بذلك ، وسوف تقف عليها أيها القارئ الكريم فى فضائل أهل عثمان من هذا الكتاب إن شاء الله .

قال « جزاكم الله خيراً » ، ثم سكت أبو بكر ، ولقد ساس وهذب وقوى وأيّد وحذّر ودعا وأرشد ، وهكذا البلغاء وعلى ذلك يقوم علم الحق فوق الرؤوس ، ولله در أبى بكر سيد المسلمين وخليفة المصطفى الأمين .

أبو بكر يجهز عبد بن الجلندی ومن معه لحرب آل جفنة

لقد سر أبو بكر رضى الله عنه بملقى عبد بن الجلندی ومن معه من أبطال الأزد ، وابتهج بهم تمام الابتهاج ، فأننى عليهم فى خطبته المارة أنفا ، وشكرهم شكرا لا يخفى على أهل العقول الصحيحة ، ولما رأى وما سمع عنهم وما فهم منهم عول عليهم فى حرب آل جفنة من أزد الشام ، فكان أراد أن يدق الصخر بمثله ، ويرمى الهدف عن خبرة ، فأراد من عبد بن الجلندی أن يهاجم الغساسنة العتاة فى أرض الشام فانهم حجر خشن ، فما تلتكأ عبد وأصحابه على أبى بكر ، ولا اعتذروا له بالمعاذير ، ولولا أنا معنيون بتاريخ عمان لذكرنا قضايا الارتداد كيف كانت ، وفيمن كانت ، كما أنا لم نذكر الحوادث الخارجية عن عمان ، وإن كان وقوعها بأهل عمان لا سيما ما كان من غير أهل عمان ، وإن كانت له علاقة بتاريخ عمان ، لأن ذلك شئ يطول علينا وحسبنا ذكر الأهم من تاريخنا العثمانى ، وإن أشرنا الى هذه القضية العثمانية الغسانية فما ذلك إلا كالتعريف بفضائل عبد ابن الجلندی وأهل عمان معه .

قال امام رحمه الله : وقيل إن عبداً استنفضه أبو بكر لمقاتلة آل جفنة فأجابه الى ذلك ، قال فسرى له سرية وأمره عليها ، فخرج عبد المذكور يقود جيشاً فيه أعيان المهاجرين والأنصار ومن لف معهم من العرب ، قال فخرج عبد على السرية ، أى أميراً عليها وجد فى السير حتى أتى آل جفنة بالشام فى ديارهم .

قال الامام رحمه الله : ولها حديث يطول ذكره . قلت : لما كان

ليس من أخبار بلادنا العثمانية نكتفى بالاشارة اليه هنا عن سرد ذكره قال : « وقد شهر مقام عبد وعرف مكانه ، قال : وكان في السرية من شعرائه رحمته ، حسان بن ثابت الأنصاري ، فلما قدموا من ديار آل جفنة قام حسان بين ظهرائي المسلمين يعلن الثناء البليغ على عبد بن الجلندي ، ومن جملة مقاله : « قد شهر مقام عبد في الجاهلية والاسلام ، فلم أر رجلاً أحزم ولا أحسن رأياً وتدبيراً من عبد ، هو والله ممن وهب نفسه لله في يوم غارت صباحه ، وأظلم صباحه » . فتهلك وجه أبي بكر رضى الله عنه وسر به ، فقال : « هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله » ، فلما بلغ ذلك عبداً بعث الى حسان ابن ثابت بمال عظيم ، وأرسل اليه قائلاً : « إن مالى يعجز عن مكافأتك فأعذر فيما قصر ، وأقبل ما تيسر » ، وعندما عزم عبد ومن معه من العثمانيين على الرجوع الى أوطانهم زودهم أبو بكر رضى الله عنه كتاباً الى أهل عمان كافة يشكرهم فيه ويثنى عليهم ، ولقد أقر أبو بكر رضى الله عنه جيفر على ملك عمان كوال لعثمان من طرف الخليفة .

قال الامام في تحفة الأعيان : ذكر في بعض السير العثمانية أن أبا بكر أقر جيفر وأخاه جميعاً على ملك عمان ، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه كما سوف ترى بسط ذلك في محله إن شاء الله ، وهو دليل على جعله والياً لعثمان كما قلنا ، ولعل بعد ذلك أراد اختبار القوم ، أو أن السياسة اقتضت أمراً ، ولكل زمان سياسة ولكل وقت أعمال ، ولكل أمير وجهه وأبو بكر أفضل الأمة بإجماع من يعتد بإجماعه في شيء بعد رسول الله صلوات الله عليه .

عثمان وأبو بكر رحمهم الله تعالى طيلة حياته

لقد تولى أبو بكر رحمه الله ورضى عنه أمر المسلمين ، وعثمان بيد واليها عمرو بن العاص يدبر شئونها معزراً بملكها ، جيفر وعبد ، ولما بلغت عمرو ابن العاص وفاة رسول الله ﷺ هم بالرجوع الى بيضة المسلمين راجعاً بأمر ولايته الى الخليفة المستخلف ، مصطحباً معه من خيار أهل عثمان ، سبعين راكبا تحت رايته يقدمهم ذلك الهمام عبد بن الجلندي ملك عثمان حتى وصل المدينة ، واذا بالخليفة للمسلمين أبو بكر أول إمام صحيح الامامة ، وأول رجل سد الله به فراغ الثلثة التي أدهشت المسلمين وانزهقت منها أرواح أهل الإيمان ، وزاغت بها قلوب أهل الجهل الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم ، ولم يرسخ الإيمان في أذهانهم ، فكان أبو بكر الحجر الثقيل الذي لم يقدر الزائفون على تحريكه عن مقره ، فألقى عمرو بن العاص اليه مهمته التي جاء بها ، وتلقاها أبو بكر بصدر رحيب ، وقلب منشرح ، وعزيمة ثابتة ، لا تؤثر عليها الهيشات ، فأثنى أبو بكر على أهل عثمان ثناء بالغاً ، وشكرهم شكراً وافراً ، حيث آمنوا طائعين ووصلوه مدعنين خاضعين ، مع أن أغلب العرب تزعزعت ، فممنها المرتد ومنها على وشك الارتداد ، واذا بأبى بكر يجهز العمانيين من الجفنة بناوحى الشام فقاموا بمهمتهم خير قيام ، ورجعوا بالنصر والظفر الى الخليفة الامام ، فأقرهم على ملك عثمان ، وأيدهم وشد عضدهم وأعرب عن مناهج مصالحهم ، فازدادوا بذلك شرفاً على شرفهم ، وعزاً يؤيد عزهم ، ورجعوا الى عثمان محترمين مكرمين .

وجاء في بعض التواريخ ، أن أبا بكر رضى الله عنه استعمل على عثمان عكرمة بن أبى جهل ، ثم عزله وسيره الى اليمن ، واستعمل على عثمان حذيفة القلعانى ، قال : « غلم يزل والياً على عثمان الى أن توفي أبو بكر رضى الله عنه » قلت : لعل هذه التولية وتولية عكرمة كانتا سياسية من أبى بكر وهو الواضح ، ثم لم يطل عهدا لأن أبا بكر رحمه الله لم يطل عهد خلافته ، وقد خرج عنه عبد بن الجلندى وأمر عثمان اليه وأخيه جيفر ، فلمل بعد مدة غير طويلة اقتضى النظر تولية عبد ، ثم تولية حذيفة على أثرها أيضا ، ولم يطل العهد ذكر في أسد الغابة بغير تحقيق ، قال : وضبط القلعانى في نسخة أبى عمر بالقاف واللام والعين المهملة .

قال الامام : قال ابن الأثير : وأنا أشك فيه ، قال : وضبطه الطبرى ، فقال : حذيفة بن الحصين : الغلفانى بالغين المعجمة واللام والفاء . قلت : لعله القلهانى وهو غير بعيد ، فإن الكلمة متقاربة في صورتها ، قال : وله في قتال الفرس آثار كثيرة ، قال : واستعمله عمر على اليمامة وسيأتى ذكره في خلافة الامام عمر بن الخطاب رحمه الله رضى عنه .

وفي أيام أبى بكر الصديق وقمت قضية دبا من عثمان ، وذلك في آخر حياة أبى بكر ، وذلك أن أبا بكر وجه حذيفة بن محصن الغلفانى الذى سبق ذكر الخلاف في ضبطه ، قال : وهو من بارق ، وجهه الى عثمان وكان حليفاً للأنصار ، وكان له بصر . قال : وليس هو حذيفة بن اليمانى فوجهه أبو بكر أميراً على عثمان فصدقهم . قلت : لعله كان أميراً فقط على الصدقة ، وفي خبر عبد بن الجلندى المتقدم

أن أبا بكر رحمه الله أمره بأخذ الصدقة ، فكان إمارته انتسخت .
قال : فلما صار في ولد الحارث ابن مالك بن فهم ليصدقهم ،
تناول بعض أصحابه امرأة معفاة ليصدقها ، وكان عليها فريضة شاة
مسنة ، فأعطتهم عتوداً أو عناقاً مكان الشاة أى بدلا منها ، فأبوا
أن يأخذوها ما أرادوا ، فصاحت المرأة يا آل مالك ! فقال حذيفة وهو
أمير الصدقة : دعوة جاهلية أى مثل هذا التداعى كان في الجاهلية .
وكان بركان الارتداد في قوته إذ ذاك ، فلهذا قال حذيفة دعوة جاهلية ،
وخاف أن يكون القوم قد ارتدوا ، ولعله وسوس له الشيطان
أن القوم مرتدين ، لذلك سمع تداعى الجاهلية وما هى وأيم الله
إلا نزعة عرضت تخالفت فيها المفاهيم ، وربما وقع مثل ذلك من أهل
الجهل وعوام المسلمين بغير قصد الارتداد . قال : فأغار عليهم
حذيفة فقبض على ناس منهم وأوثقهم قهراً وهم قليلون ، ولعلمهم
لضعفهم فمضى بهم الى المدينة بدعوى الارتداد الذى فهمه من
تداعيمهم .

قال الامام : فثار سبيعة بن عراك أحد زعمائهم وهو من
صيلم ، والمعلى ابن سعد الخمامى ، والحارث بن كلثوم الحديدى في
أصحابهم ، فوفدوا على أبى بكر رضى الله عنه ، فقالوا : يا خليفة
رسول الله ، ﷺ ، إنا على اسلامنا لم ننقل عنه ولم نمنع زكاة ولم
ننزع يداً من طاعة ، ولم نرجع عن دين ، وقد عجل عاملك وكفنا
أيدينا الى أن أتيتك ، فقال أبو بكر رحمه الله أصنع بكم ما صنعت
بالعرب ، إن شئتم خليت المال وأخذت السبى ، ففادوا السبى فقالوا
على كل أسير أربعمائة وخمسون درهما ، قال الامام كذا ذكر العوتبى
في الأنساب . قال : ويقال إن سبيعة بن عراك خرج الى أبى بكر

الصديق رضى الله عنه في سبى دبا الذين أخذهم حذيفة الغلفانى ، وكان سبيعة المذكور زعيم القوم ، والمعلا بن سعد الخمامى ، وكان اسم المعلا ثعلبة ، ومن حيث إن ثعلبة اسم للثعلب ، وقد شهر الثعلب بالروغان والحيل ، سماه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعلا ؛ وكان هو وسبيعة ابن عراق زعيمى القوم واليهما الحل والمعقد ، فقدموا المدينة وقد مات أبو بكر الصديق رحمه الله تعالى ، وتولى أمر الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكلماه في سبى أهل دبا ، وقال المعلا بن سعد الخمامى : يا أمير المؤمنين إن حذيفة بن محصن الغلفانى تعدى طوره ، وعظم في الناس حدثه ، ولولا مراقبة أمير المؤمنين لكان شكاهم متانا جزاء له عن غيره فيكون واعظاً لغيره ، ولكن حملنا على مخافة نكله فنرادف العثرة وسكتت الحرة ، ولم نكد . قلت : هذه كلمات مضطربة لا معنى لها بحسب الظاهر ، فقال عمر : يا معلا إن في الحق سعة وكف غربك أولى بك ، إن الاسلام سوى بين الناس ، فرفع الوضيع ووضع الشريف اذا خالف الحق وأعطى كل إمريء قسطه من خيره وشره ، ثم أمر عمر برد السبى ولذلك قال الامام السالى رحمه الله .

تأول السابى لهم يوم دبا وأنكر الفاروق ذاك المذهب

ومن هنا يعلم أن الإباضية لا يحكمون بالتأويل لتكفير الناصى أى تشريكهم ، فإن التكفير بالتأويل يقع على غير أصل ، لكن الوهابية يحكمون بذلك ، فمن اقتترف كبيرة شرك بالتأويل ، قالوا له : أنت مشرك دمك حلال ومالك غنيمة ، فاستعرضوا الناس وحكموا عليهم بما لا يرضاه الدين ولا حكم به أحد من الصحابة فيما علمنا .

قال الامام : وفي سيرة الشيخ خلف بن زياد البحراني قال : بلغنا أن أبا بكر رحمه الله ورضي عنه بعث الى أهل عثمان مصدقاً يأخذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله ، فأعطوه الصدقة جميعاً لم يمنعها منهم أحد ، غير أن امرأة من أهل دبا شاجرت بعض المصدقين فزعمت أنه استوفى حقه جميعاً : وزعم هو أنه بقي عليها بقية منه ، فتنازعا في ذلك فقرعها قرعة استغاثت ببعض أهلها فأغاثها ، فأقبل هو ومن معه الى الذي قرعها ومن معه من المصدقين ، فتواقفوا وتتادوا عند ذلك يا آل بني فلان حين رأوا أن القبائل قد نشبت بينهم ، قال : وكانت دعوة جاهلية ، قد كان يقال لمن قالها أو دعا بها حل دمه حين يدعو بها أو يتوب ، فاقتتلوا ما شاء الله وظهر المصدقون عليهم ، فجاء حذيفة الغلفاني وكان ولي ذلك فسبى أهل دبا وغيهم ذرية من لم يقاثلهم من النساء والولدان ، وذرية من كان قد غاب أو كان قد مات وهو مسلم ونساؤه في غير إنكار منهم بشيء من التزيك ، ولا امتناع منهم ، بما قبلهم من الحق ، قال : فلم يبق أحد من أهل دبا قدر عليه إلا سباه ، فوافق بذلك خلافة عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، وكان أول مبعضهم في حياة أبي بكر رحمة الله عليه ، ولما تحقق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القضية غضب غضباً لم يكن فيما علمنا منه غضباً حتى قال : والله أنى لو أعلمك تسبيهم بدين دوني تقطع فيهم على لقطعك طوائف ، ثم بعثت الى كل مصر منك بطائفة ، والمعنى لو كنت أعلم أنك فعلت ذلك بدين أى تعتقد حله في الدين أى تدين بحله لعاقبتك عقوبة تكون عبرة لغيرك ، والقصد الزجر والتغليظ لمن يجعل التأويل ديناً . فرحم الله عمر لو رأى من يعتقد اليوم تأويله ديناً ماذا يفعل فيه حين

يرى أموال المسلمين تقسم فيئاً ، والدماء تراق ديناً ، وتسبى الذرارى وهم يدينون لله بالاسلام ، ويعتقدون صحة أوامر دين الله عز وجل .

قال الشيخ خلف بن زياد البحرانى رحمه الله : ثم نقض أى عمر أمر أهل دبا ، أى أبطل الحكم الذى حكم به المصدق فيهم بعد ما هدده ذلك التهديد الكبير ، ورد القوم أى السبى من أهل دبا الى منازلهم إلا من استحق منهم بشىء خيانة ، أى إلا من ظهرت خيانتها فيما فرض الله عليه ، قال : وأجاز المسلمين بما أصيب منهم ، ولما أصابهم من البلاء بثلاثمائة ثلاثمائة أى لكل واحد من المصابين بتلك النكبة ، وأخرج ذلك لهم من بيت المال ، ولعله رأى الخطأ بالتأويل فى بيت المال ، وهو وجه فى آثار المسلمين .

قال الامام السالمى رحمه الله : هذا حاصل قضية دبا عند المسلمين كما هى فى الكتب العثمانية ، وهم أعرف بحالهم وأخبر بقومهم ، قال الامام ، ولا يصح ما ذكره ابن الأثير فى كامله ، حيث قال : « وأما عثمان فإن نبغ بها ذو القاج لقيط بن مالك الأزدي » . قلت : وأشار بهذا الى مالك بن فهم ، وأين مالك بن فهم من لقيط ، فإن بينهما قروناً كثيرة ، فإن مالك بن فهم كان زمن نبي الله موسى بن عمران ، وكم بين موسى بن عمران ومحمداً ﷺ من القرون فلا وجه لما ذكره ابن الأثير من هذه الناحية قبل كل شىء .

(قال) (١) : وكان يسمى فى الجاهلية الجلندى ، قال وادعى بمثل ما ادعى من تتبأ وغلب على عثمان مرتداً ، قال : والتجأ جيفر وعبد

(١) قلت هذا جهل بالتاريخ وتخليط ، والأجانب يأخذون الأخبار بغير تحقيق وخصوصاً فيمن خالفهم : والحازم من يأخذها تحقيقاً ، ا . . .

الى الجبال ، وبعث جيفر الى أبى بكر بخبره ويستتمده عليه ، قال :
وبعث أبو بكر حذيفة بن الغلفانى من حمير ، وعرفجة بن هزيمة البارقى
الأزدى ، حذيفة الى عُمان ، وعرفجة الى مهرة ، وكل منهما أمير على
صاحبه فى وجهه ، فاذا قربا من عُمان يكاتبان جيفرا ، فسارا الى
عُمان وأرسل أبو بكر الى عكرمة بن أبى جهل ؛ وكان بعثه الى اليمامة
فأرسل اليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل
عُمان ومهرة ، فاذا فرغوا منهم سار الى اليمن ، قال : فلحقهما عكرمة
قبل أن يبلغا عُمان ، فلما وصلوا رجاءاً وهى قريب من عُمان ،
كأنه أراد بلداً ولكن لم نعرفها بهذا الاسم • قال : كاتبوا جيفرا
وعباداً وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا ، وخرج جيفر وعبد وعسكرا
بصُحار ، وأرسلوا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة ، فقدموا عليهما وكاتبوا
رؤساء من عند لقيط ورفضوا عنه ، ثم التقوا على دبا فاقتتلوا
قتالا شديداً ، واستعلى المسلمون لقيط أى غلب عليهم ، فرأى الظفر ،
ورأى المسلمون الخلل ، فبينما هم كذلك إذ جاءت المسلمين موادهم
العظمى من بنى ناجية وعليهم الخريت بن راشد ، ومن عبد القيس
وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم • قال : فقوى الله المسلمين فولى
المشركون الأدبار ، قال : فقتل منهم فى المعركة وبعثوا أربعة آلاف
وركبهم حتى أئخنومهم وسبوا الذرارى ، وقسموا الأموال وبعثوا
بالخمس الى أبى بكر مع عرفجة ، وأقام حذيفة بعُمان يسكن الناس ،
قال : « وأما مهرة فإن عكرمة بن أبى جهل سار اليهم لما فرغ من عُمان
ومعه من استنصر من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد ، فاقتحم
عليهم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة ، أحدهما مع سخريت رجل
منهم ، والثانى مع المصبح أحد بنى محارب ، ومعظم الناس معه ،

وكانا مختلفين ، فكاتب عكرمة سخريةً فأجابته وأسلم ، وكاتب مصبح يدعوه فلم يجب فقاتله قتالاً شديداً فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم ركبهم المسلمون فقتلوا من شاءوا منهم وأصابوا ما يشاءوا من لغنائم ، وبعث الخمس الى أبي بكر مع سخرية ، وأراد عكرمة وجنده فوة بالظهر والمتاع ، وقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذي يجب ، وبايعوا على الاسلام انتهى كلام ابن الأثير .

قال الامام : وكله باطل . قلت : هؤلاء المؤرخين يتلقون أخباراً لا أصل لها أو لها أصل ، لكن غير ما يلقى اليهم وأحياناً يتلقون أخباراً من قبل ناس ، ويعلقونها على آخرين غير أصحابها « وما آفة لأخبار إلا رواتها » .

الحلقة الخامسة

في فضائل أهل عُمان وذكر مشاهيرهم في صدر الإسلام

وبه يتم الجزء الأول من تاريخ عثمان إن شاء الله .

اعلم أن لأهل عثمان فضائل لها قيمتها عند المسلمين ، وقد نوه صلى الله عليه وسلم بها في أحاديثه الغراء ، وشهد بها الخليفة الأول رضى الله عنه ، وأكدها بلغاء العرب على اختلاف مذاهبهم ، ولا ينكرها إلا جاهل غبى أو حاسد دنى ، وهل ينكر الحق إلا أهل الباطل ، وهل يعرف الحق لأهل الحق إلا أهله ، فأهل عثمان أسلموا طوعاً ووالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يروه وتولوه ، فسمعوا له وأطاعوا رسوله على بعد دارهم وكثرة عددهم ، بينما أهله وبنو جلدته عادوه حتى أخرجوه من وطنه وتألبوا على عدائه إلا من شاء الله ممن سبقت لهم من الله الحسنى ، كما أن أكثر العرب ناصبوا أوامره العداء ، وعارضوا معجزاته التى يرونها رأى العين بالبذاء ، فكانوا عليه أشد من اليهود ، بينما أهل عثمان قالوا لرسوله أهلاً ومرحباً وسلموا إليه مقاليد أمورهم ، وكانوا لدعوته دعاة مخلصين ، ولداعيه عضده اليمين ، ولأوامره خاضعين ومسلمين ، فلم ير منهم طيلة حياته إلا الخير الذى يحبه الله والجميل يتجلى بأخلاقهم لله ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم رحم الله أهل الغبراء آمنوا بى ولم يرونى ، وهذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظم شهادة على فضلهم ، وروى أحمد من طريق أبى لبيد . قال : قال خرج منا رجل يقال له بيرج بن أسد ، فرآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عثمان فأدخله عمر على أبى بكر رضى الله عنه ، فقال : هذا من أهل الأرض التى سمعت رسول

الله يقول ، أى فيها : إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح البحر بناحيتها ، لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر • ولقد صدق الله ظنه فيهم ، فأتاهم عمرو بن العاص رسولا من عنده ﷺ فلم ير منهم إلا خيراً ولا سمع عنهم أيضاً كذلك إلا الخير الذى سرّته منهم ، وعند مسلم من حديث أبى برزة الأسلمى ، قال بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لو أهل عُمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك ، فترى رسول الله ﷺ ، يتمثل بهم فى الخصال الحميدة ، وحسبهم بذلك شرفاً وفضلاً •

وفى حديث مازن بن غضوبة السعدى قال : قلت يا رسول الله ﷺ ، ادع لأهل عُمان ، فقال ﷺ : اللهم أهدهم وأثبهم ، فقلت زدنى يا رسول الله ، فقال « اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم ، فكان أهل عُمان أعف الناس فى كل معانى العفة ، وهم أقنع الناس بالكفاف وارضاهم بما قسم الله لهم بخلاف غيرهم ممن ألهاهم التكاثر واستهواهم الرياش الفاخر ، قال مازن : قلت يا رسول الله : البحر ينضح بناحيتنا وفى رواية ، بجانبنا ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا • فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم وسع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم • قلت : زدنى يا رسول الله • قال ﷺ : اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم ، يا مازن قل آمين فإن آمين يستجاب عنده الدعاء ، قال مازن : قلت آمين • فاستجاب الله عز وجل بمنه وفضله دعاء نبيه ﷺ لأهل عمان ، وظهرت بركاته فيهم بغير نكران • قال مازن : فلما كان فى العام القابل وفدت على رسول الله ﷺ ، أى عدت إليه وافداً من عُمان ، فأخبرته بما من

الله به عليهم من بركة دعاء الرسول ﷺ . فقلت : « يا المبارك ابن المباركين ، الطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوماً من أهل عثمان ومن عليهم بدينك » قلت : لعله أشار إلى الذين أسلموا على يد عمرو بن العاص ، فتحدث مازن عنهم ، قال : وأخصبت عثمان خصباً هنيئاً وكثرت الأرباح والصيد بها فقال عليه السلام : « ديني دين الإسلام . سيزيد الله أهل عثمان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ولم ير من رآني ، وأن الله سيزيد أهل عثمان إسلاماً » أي سينتشر الإسلام في أهل عثمان وسيعمهم ، فكان ذلك دليلاً على صدقه ﷺ ، فهو من معجزاته الدالة على نبوته .

وذكر الإمام أبو يعقوب في لواحق المسند من روايات الإمام الربيع ابن حبيب ، عن شيخه أبي سفيان محبوب بن الرحيل القرشي المخزومي رحمهم الله ورضى عنهم ، عن أزور رجل من المسلمين ، أن نسوة من نساء أهل عثمان استأذن على عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها ، فأذنت لهن فسلمن عليها ، وفي رواية فسلمت عليهن ، ثم قالت : من أنتن ؟ قلن : من أهل عثمان ، قال فقالت لهن : لقد سمعت حبيبي ﷺ يقول ليكثرن وررّاد حوضي من أهل عثمان ، وفيه أيضاً من روايات الربيع عن أبي سفيان ، قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضی الله عنها ، فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل ، أي على كثرة تردده عليها لأخذ العلم عنها ، إذ هي من أجلة شيوخه رحمه الله سألتها جماع النبي ﷺ ، وإن جبينها يتصبب عرقاً وتقول : سل يا بني ، ثم قالت : ممن أنت ؟ أي لما رأته يببالغ في السؤال حتى عن مثل هذا ، وهو كان سألها عن مقدمات الجماع التي لا حرج في السؤال عنها ، كالتقبيل

ونحوه ، كما أنها لا زالت تقول ، كان النبي ﷺ يقبلنا وهو صائم ، وفي رواية : وأيكم مثل رسول الله وهو أملك لأربه ، ولما قالت له ممن أنت ؟ وقال لها : من أهل المشرق من بلد يقال لها عثمان ، قال أبو سفيان : فذكرت له شيئاً لم أحفظه إلا أنى أظن أنها قالت : أظن أن النبي ذكره لى وأشياء هذا .

قال أبو إسحاق : المراد أنه سألها عن مقدمات الجماع التي يجوز السؤال عنها حرصاً منه على نقل السنة رضى الله عنه ، وجمعها كي يكون المسلم مقتدياً برسول الله ﷺ في كل أعماله دقيقتها وجليلها ، لا السؤال عن نفس الجماع ، فإنه لا يجوز السؤال عنه ، ولو سأل عما لا يجوز لجزرته ولا هوادة في الدين ، وقد شهر عنها قولها لسائلها : اسألنى عما كنت سائلاً عنه أمك ، أى ما جاز لك أن تسأل عنه أمك سلنى عنه ، وقول الطاعنين في الإمام أبى الشعثاء رحمه الله لا يتلفت إليه ، فإن جابر بن زيد من أجلة علماء الشريعة ، ومن أكبر أئمة السنة ، إذ تقل عنهم جميعهم ورأوه أهلاً لأن يؤخذ عنه ، واتفقوا على عدالتها وضبطه ، وإنكار بعض المنتظمين لهذا الحديث مردود عليهم ، فليس كل السنة هم مصدرها أو لا تصح إلا منهم ، فكم ترك الأول لغيره ، وكم ورد ذلك النهر من الرجال منهم من عاش ومنهم من مات بما معه ، وكم نسي الناقلون مما نقلوا ولم يحصر العلم في قوم مخصوصين ، أو في أفراد معينين ، فيكون ما عندهم من المعول ، فكم قال رسول الله ﷺ : رب حامل فقه وليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وهكذا .

وكذلك حديث : ليصلك شيخ العثمانية فعلميه جميع الدين ، وفيه فيجدنى ميتاً في روايات ليس بمستغرب ، وفي آخره أنا أحبك يا أم المؤمنين

عملاً بقوله ﷺ : إذا حب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه . فقالت رضى الله عنها : وأنا كذلك أحبك . قال : ثم لام نفسه ، فقال لها : أنا أحبك في الله ، كما قال رسول الله ﷺ للأَنْصَارِيِّين إذ مرَّ حول المسجد ورأيا رسول الله ﷺ مدلياً رأسه لزوجه تترجله وهو معتكف في المسجد ، فلما رأياه على تلك الحال أسرعاً متسئلاً هيباً لرسول الله ﷺ واحتراماً له ، وزوجه ، فلما فرغ استدعاها ، فلما حضرا قال لهما : إنها فلانة إحدى زوجاته ، فقالا يا رسول الله حتى عليك أنت ، فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم . أى خفت أن تسيئاً ظناً بإغراء اللعين لكما فتقعا في الخطر ، فإن سوء الظن بالمسلم من أكبر الكبائر ، فكيف برسول الله ﷺ ، فإن سوء الظن كبيرة من كبائر الذنوب ، ولما قال لها جابر ما قال نهرته ، فقالت « أتظن أنا أحبك في غير الله يا أعور » ، وكان جابر أعور رحمه الله .

وقال رسول الله ﷺ : « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي » . قالوا ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع » . قال الإمام : « قال محمد بن أحمد الغرباء أهل عثمان ، من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فليُنظر إلى الصلحاء من أهل عثمان » . قلت : وإليهم يشير من قال :

سمت الملوك وهى الأنبياء على أخلاقهم فكان الفقر تيجان

وفى بعض الكتب العمانية : قال رسول الله ﷺ : « من تعذر عليه الرزق فعليه بعثمان » ، وعنه ﷺ : « من أعيته المكاسب فليأت عمان ،

بلاد الأمان لا ظلم فيها ولا جور ، وهذا من أعظم خصال أهلها » .
وعنه عليه الصلاة والسلام : يوشك في آخر الزمان أن ينتقل إليها الناس .
قلت لقد بدأ انتقال الناس إليها في زماننا هذا تصديقاً لهذا الحديث ،
الذي مازلنا ننتظر وقته ، ومتى هو كائن ، فإذا بالناس ينتقلون زرافات
ووحداناً إلى قطر وأبى ظبى ودبى ، والآن إلى النافذة الشرقية مسقط
ومطرح وأعمالهما ، فهامهم وهم في أول بدئهم قد ملئوا هذه البلاد المذكورة
من جميع الأمم الإسلامية والإفريقية والمجوسية ، من مختلف البلاد
أوربا فآسيا . قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن
يسكن عثمان فليسكن ، فإن فيها القنوع والرضا باليسير » ، وهذا
موجود في أهل عثمان رجالاً ونساء بالنسبة إلى أمم البلاد الأخرى .

وسمع عبد الله بن سلمة رجلاً يودع رجلاً فقال له : أين تريد ؟
فقال أريد عثمان ، قال : فالحق بها يا ابن أخي ، ، فإن بها أمان
الليل وأمان النهار ؛ والمعنى أن ليلها آمن كأمان نهارها لا فرق في ذلك ،
ومنه يوشك أن ينتقل الناس إليها في آخر الزمان فراراً من جور السلطان
وأعوان الظلمة وحطاط النبط ، قال : وعن النبي ﷺ أنه قال : يوشك أن
تكفر أمتي ويلى عليهم أعوان الظلمة في البلدان ، أى في بقية البلدان
التي يتولاها الظلمة ، الذين يخلقون القوانين ، ويرفضون البراهين ،
ويتبعون الأهواء ، ويقصدون الأقوى ، وهذا هو الكفر بعينه ، فإن الكفر
منه الشرك ، ومنه كفر النعمة ، وفي ختام هذا الحديث يلتجئ الناس
إلى عثمان ، وأن عثمان في ذلك الزمان ، ثم وقع سقط في الرواية وآخره
نعم ، وإن عثمان عند اقتراب الساعة يعمر خرابها ، ويكثر سكانها ،
وتضيق بها أمتي حتى يباع مريض الشاة ومقعد الرجل بعشرة دنانير
وعشرين ديناراً ، فلا يقدر على ذلك ، أى لا يقدر على شراء ذلك إلا

خواص الناس ، وذلك لكثرة الأموال في أيدي أهلها ، ومنه وكذا فيها الأرزاق ، أى متسعة وميسورة ، قال : ويأمن الناس فيها بأوسع الأمان ، ينضح البحر بناحيتهم تأتيهم أرزاقهم من بحرهم ، وفي رواية من بحرهم ، آمن ليلهم ، طيب نهارهم ، أ ه .

غفى هذه الأحاديث المتجلى الآن أول مدلول لها ما يقضى بفضل عثمان وفضل أهلها ، ولا يخفى أن الأمان على الأنفس والأموال من أعظم النعم في هذه الحياة الدنيا ، وأما الناس مع تيسير الأرزاق وتسهيل المؤونة أعظم فضل من الله على عباده ، وهذا موجود في عثمان . وهذه الأحاديث أذهبت وضعها في الصحيح أقلام الرواة والنساخ ، فإن المآثر العثمانية أضاعتها أيدي الإهمال القاضية بتلاشي الأعمال ، لكن تداولها يشهد به الواقع والحمد لله .

وقد ذكرت هذه الأحاديث في كتاب من أهل نزوى لأحد رجال الحق في عثمان ، وكنا نستعربها لما انطوت عليه من المعاني البعيدة ، فإذا بالأيام تعرب لنا عن معانيها ، وذكرها مرتب جوابات الإمام الخليلي رحمه الله ، وهو الشيخ سالم بن حمد بن سلمان الحارثي لنكتة لا حظها ، ولا ريب فإن أهل عثمان شاركوا في كل فضل كما سوف ترى في هذا الكتاب من أعمالهم السامية ، فدعا رسول الله ﷺ لأهل عثمان حين استدعاه الصحابي الوحيد مازن بن غضوبة السعدي . ودعا لهم أبو بكر رضي الله عنه .

قال الإمام السالمى رحمه الله : وظهرت إجابة رسول الله ﷺ ودعاء خليفته لأهل عثمان ، وصدق الله توسمهما فيهم فهم أكثر الناس هدى

وصوابا منهم الأئمة العادلون والعلماء الراشدون ، لم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم ، وإن غلبوا على دولتهم في بعض الأحيان لما أراد الله تمحيص المؤمنين وتمحيق الكافرين فما زالت دعوتهم بالحق ظاهرة ، وسيرتهم بالعدل شاهرة ، ودولتهم بالفضل زاخرة ، منهم العلماء النجباء ، والعقلاء الفضلاء ، والخطباء البلغاء ا ه .

ولقد شاركوا في صحابة الرسول ﷺ بأربعة رجال عرف مقامهم وحمد مرامهم .

الأول : الشيخ مازن بن غضوبة السعدى الطائى السمائلى ، ولا يخفى على أحد من رجال الإسلام .

والثانى : كعب بن برشة الطاحى ويعرف بالعودى الذى أرسله زعماء الفرس إلى النبى ﷺ لاستطلاع خبره ، وكشف صحة نبوته ، وأتى النبى ﷺ وعرف نبوته وصدق برسالته ، إذ كان ممن قرأ الكتب وعلم عن نبوة الرسول الأعظم ، فعاد إلى القوم بصحة النبوة المحمدية ، وذلك لما وصلهم قالوا : هذا أمر نريد نشافه فيه الملك ، إذ كانوا يعلمون صدق كعب المذكور ، فكان داعية إسلامية فى عثمان .

والثالث صحار بن العباس العبدى من عبد القيس من أهل عمان ، فكان من أجلة العلماء الأتقياء الأوغياء المرصيين .

والرابع : أبو شداد العثمانى المعروف عند الغير بالذمارى ، كان يأتى ذماراً فقالوا فيه : العثمانى الذمارى ، ذكره صاحب الاستيعاب وغيره ممن كتبوا عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن أنكر فضل أهل

عُمان من أنكره من أعدائهم فهذه حقائق واضحة في أفق التاريخ وضوح الشمس رابعة النهار ، لا ينكرها إلا أعمى عن الحقائق ، وأى فضل أعظم ممن أثنى عليه رسول الله ﷺ ذلك الثناء العظيم ، ثم أثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ذلك الثناء الجسيم ، ثم عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه ، وأثنت عليهم الأنصار في مِلّ من المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يزالوا على الحق رغم الدهر الذى من طبعة التقلب ، فأهل عُمان أهل خير لم يتزعزعا عن دينهم منذ أسلموا ، ولا نقضوا عهداً ولا ذمة ولا بدلوا من الأوامر الشرعية شيئاً أبداً ، بل هم على الحق ثابتون ، وعلى المذهب الصحيح عاضون بالنواجذ تبعاً لوصيته عليه السلام .

قال عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ ، وهو يرد على من ينكر فضل أهل عُمان قال : لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أين لأهل عُمان البيان ؟ فقال الجاحظ المذكور ، وهو يرد على هذا القائل كما قرر عليه : أنه لا علم له ، وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل ، أى لا يوجد لأهل بلد واحد كعُمان ما يعدون لأهل عُمان ، وهذا أكبر شهادة من هذا العالم الوحيد في قومه بعلاميته الشهيرة ، ثم أخذ الجاحظ يذكر فضائل أهل عُمان فقال : منهم - أى أهل عُمان - مصقلة بن الرقية اخطب الناس قائماً وقاعداً ومفرداً ومنافساً ومجيباً ومبتدئاً ، أى في كل هذه الأحوال ونحوها أخطب الناس ، أى أوسعهم مقالاً ، وأسرعهم بياناً ، وأقواهم حجة ، قال : وابنه من بعده كرب ابن مصقلة . قال : ولهما خطبتا العجوز في الجاهلية ، والعذراء في الاسلام ، أى هاتان الخطبتان شاعتا عند العرب الأولى في الجاهلية ، فتناقلتها العرب ، والثانية في الاسلام ، وقد جمعتا من العلم والأدب ما خضعت له أعناق فطاحل العرب ، ولولا أن ذكرهما يطول بنا لجننا

بهما ولكن لنا أغراض أخرى ، تدعونا الى السير في أعمالنا قدماً ، قال الجاحظ . قال أبو عبيدة : « ما سمعنا مثلهما في الاسلام إلا خطبة قيس ابن خارجة بن سنان في حمالة داحس ، فقد ضرب به المثل » . قال وذلك أن قيساً أتى الجاهلين وهما خارجة بن شيبان والحارث بن عوف ، ف ضرب مؤخر راحلة ابنه بالسيف ، وقال : مالي وهذه الحمالة أيتها العيسميان ، فقئت عين بعير عن ألف بعير ، قالوا : وما عندك ، قال : رضى كل ساخط وقرى كل نازل ، قال : وخطب من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب ، أمر فيها بالصلة ونهى فيها عن القطيعة ، وخوِّف الشمس الى أن تغرب ، أمر فيها بالصلة ونهى فيها عن القطيعة ، وخوِّف درك العواقب وما تجيء به النوائب ، قال فزعموا أنه خطب من غدوة الى الليل ، فقال قائلهم : وهو يذكر غيره فلو قال ، حتى تغرب الشمس قائماً لكان كقيس في ديار بنى مرة ، قال : وهو خطيب قيس في الجاهلية ، وخطيبهم في الاسلام سحيان بن وائل الباهلى .

قال الجاحظ : ومن خطباء عثمان و علمائها صُحار العبدى ، أبو إسحاق هو ابن العباس العبدى ، قلت : هو الذى سبق عده في الصحابة ، فهو الصحابى الثالث من عثمان ، قال أبو إسحاق قيل أدرك النبى صلوات الله عليه وروى عنه ثلاثة أحاديث ، قال وهو من أئمتنا وشيخ أى عبدة مسلم بن أبى كريمة ، وهو أول من ألف في الأدب وله تأليف في أمثال العرب ، ذكره ابن النديم في الفهرست ، قال : « وكان من أخص أصحاب الامام أبى الشعثاء جابر بن زيد رحمهما الله » ، قال : ومن خطبائهم صعصعة بن صوحان بن زيد وأخوه ، خطيبان مصقعان . قلت : لقد شهر صعصعة بن صوحان بين أعلام الأدب وأبطال العرب ، وما زالت خطبه مأثورة متداولة ، يتناقلها العلماء الأعلام وتزدان بها المؤلفات .

قال ومن خطبائهم مرة بن البليد الأردى ، لم يكن في الأرض أجود
هنه ارتجالاً وبديهة ، ولا أعجب فكراً وتحبيراً منه ، قال : وكان رسول
المهلب الى الحجاج ، أى وأن الرسول عين المرسل ، قال : وله عنده كلام
محفوظ قال : ومنهم عرفجة بن هزيمة البارقي أحد الرجال القادة في
الزعامة الاسلامية ، وله الشهرة في أيام أبى بكر رضى الله عنه خصوصاً
في حروب أهل الردة ، قال : ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ، لم يكن
في أرض عثمان أنطق منه : قلت والمرء بأصغريه ، كما قال رسول
الله ﷺ ، قال : وكان خطيب المصريحى بن يعمر ، قال : وكان منشأة
ومولده الى أن بلغ الأهوار ، وأصله من عثمان ، قال وكذلك الجحاف بن
حكيم وغيرهما .

قال أى الجاحظ : فالذى ينكر ألا يكون بعثمان خطيب ليس يقول
ذلك بعلم أه كلام الجاحظ .

وقال الأصمعى عن أبى عمرو بن الفلاء قال : رأيت أعرابياً بمكة
فاستفصحته ، أى أعجبتنى فصاحته ، فقلت : من الرجل ؟ فقال من
الأزد ، قلت : من أيهم ؟ قال : من بنى الحدان بن شمس ، فقلت : من
أى بلاد ؟ فقال : من عثمان ، قلت : صف لى بلادك ، فقال : سيف أفيح ،
وقضاء صحصح ، وجبل صلح ، ورمل أصيح ، فقلت : أخبرنى عن مالك ،
قال : النخل ، قلت : وأين أنت عن الإبل ، أى ولها الشهرة إذ ذاك عند
العرب ، فقال : كلا إن النخل أفضل ، أما علمت أن النخل حملها غذاء ،
وسعفها صياء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وجذعها غماء ، وفروها
إناء ، قلت : وأنى لك هذه الفصاحة ؟ أى من أين لك هذه الفصاحة
البليغة التى تجابهنى بها فى موقفى هذا بدهاة ؟ قال : إنا بقطر

لا نسمع فيه ناجحة التيار ، أى نحن بعيدون عن ساحل البحر الذى لا يزال الأعاجم والأنباط يختلطون بأهله ، بل نحن بعيدون منهم حيث منابت الشيخ والقيصوم من عثمان أى فى داخلها •

وفى خبر الحجاج بن يوسف الثقفى ، قال : خرج الى القنوسان وإذا هو بأعرابى فى زرع له ، فقال له الحجاج : ممن أنت ؟ قال من أهل عثمان قال : فمن أى القبائل أنت ؟ قال : من الأزدي • قال : فكيف علمك بالزرع ؟ قال : إبنى لأعلم منه علماً • قال أى الحجاج : أى شئ خيره ؟ قال : ما غلظت قصبته واعتم نبتة ، وعظمت جثته ، قال : فأى العنب خيره ؟ قال : ما غلظ لجه ودق نواه ورق شحاه ، فأدهشه بما أبداه من فصاحة علمية •

قال الامام : ومن أهل عثمان كعب بن سور قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، قال : وهو أول من قدم على البصرة بعد تمصيرها • قلت : ولتوليته القضاء بها خبر بديع ذكره المؤرخون ، وهو من روائع الذكاء ، وبدائع الإدراكات الذهنية التى يختص الله بها من شاء من عباده ، والله يزيد فى الخلق ما يشاء ، ولن نذكر هذه القضايا ، وإن كان لها تعلق بالتاريخ العربى الاسلامى العام ، فتاريخنا هذا خاص ، وإنما نشير الى الحوادث كهذه من بعيد ، ونكل على ذلك الى غيرنا ، فان أهل العلم قد ذكروا كل ما يلزم وفوق ما يلزم •

ومن أهل عثمان أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي رحمه الله تعالى ، وقد تحدثنا عنه فى « العرى الوثيقة » بما يشفى ويكفى ، وكان

غاية في العلم والورع ، مثالا للزهادة والتقوى ، ومرجعاً للمشاكل ومنتقى الطالب للفقهاء الاسلامي بجميع معانيه في أيامه ، أجمعت الأمة على ثقته وعدالته وضبطه وصيانتة ، وعاش عمراً طويلاً قضاه في تحصيل العلم وحفظه وجمعه ونشره في الأمة ، فطلبة العلم عهد التابعين عيال عليه ، فأين رجال العلم عند جابر تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما .

قال الامام : وشهرته عند الموافق والمخالف كافية عن إطالة ذكره ، وكان مقامه في البصرة ومات بها ، وهو من أهل فرق من داخلية عثمان ، خرج لطلب العلم فكان الغاية القصى فيه والحجة العليا على مخالفيه ، وقد بسطنا طرفاً هاماً من ترجمته في « العرى الوثيقة » .

ومن أهل عثمان الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب المسند الصحيح ، انتقل إلى البصرة ونسب إليها ؛ وعاش فيها عهداً إذ هي إذ ذاك حضيرة علم ودوحة فقه ومعدن فضل ، ثم رجع إلى عثمان في آخر عمره ، فعاش قدوة الأمة وعمدة أهل المذهب ، قال الإمام وكان يضرب به المثل في العلم ، كذلك وضعنا ترجمته في العرى الوثيقة ، ومن أهل عثمان أبو حمزة الشاربي المختار بن عوف السليمي من أهالي مجز من أعمال صُحار ؛ صحب الإمام عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق في حضرموت ، وكان المختار عنده السيف البتار الضيفم الزآر الذي ذكرنا عنه في (الإسعاف) ، ما ساء بعض أهل الخلاف ، وغازأ أهل الاعتراف ، وتحدث عنه وعن أصحابه صاحب الأغاني ، وذكر طرفاً من تاريخهم الزاهر ، وذكرهم العاطر ، فكانوا جمال الكتب وزينة الدفاتر .

قال الإمام : وهو خطيب مصقع . قلت : خطب أبي حمزة الشاربي

لا تخفى على أحد من أهل العلم ، فلا نذكرها ؛ بل رواها أجلة الله العلماء كمالك ابن أنس ، وقال فيها مقالته المشهورة ، وهى : خطبنا أبو حمزة خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب ، وهذه أعظم شهادة من ذلك العلم الجليل بحق أبى حمزة ، وأنه على الحق حيث ردت المرتاب عن ارتيابه ، وحيرت المبصر الذى يرى أنه البصير فى دينه ، لما سمع خطبة أبى حمزة رأى نفسه فى حيرة لا مزيد عليها ، حيث كان يعتقد الحق عند ، وإذا هو خلو منه والله المستعان ، إن الهدى يختص به من عباد الله من وفقه الله .

أرتنى هدى زيد وفى العلم قلة وضلة عمرو والعلوم بحور

قال الإمام السالمى رحمه الله : يعنى أن البصير فى دينه المخالف لأبى حمزة صار بعد سماع خطبته مختاراً غير مبصر لما سمع فيها من الحجج الباهرة ، والبراهين القاهرة ، الناقصة لما هو عليه من سوء الاعتقاد ، وإن المرتاب فى مذهبه رجع بسماع خطبة أبى حمزة إلى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب ، قال : وكان يشير بالمبصر إلى نفسه ، فهذا من قوله يدل على أنه صار مختاراً فى مذهبه ، حيث إنه لم يستطع جواباً لحجج أبى حمزة ؛ ولا دفعاً للحق الذى نطق به ، والحق إذا قام صرع معانده ، قال : وليته ترك الحيرة وأخذ بالبصيرة ، قال : ومحل ذكر خطبه فى سيرة طالب الحق من أهل اليمن ، فلا نطيل بذكرها . قلت : لما كان الرجل عثمانياً ، ونحن نؤرخ عن عثمان ، كان من اللائق أن نذكر فضائل أهل عثمان ومكارمهم فى تاريخ عثمان ، لكن أرجأنا ذلك آملين أن نجتمع خطب أهل المذهب فى كتاب مستقل ، فنذكر فيه هذه الخطب وأضرابها من خطب الأعياد والجمعات والاستسقاء ، وأن نعلق عليها شروحاً تبين معانيها وتشهد بحقها ، وتعرب عن مقتضى جملها ومفرداتها مع خطب

عرفة ، وما يناسب ذلك فلهذا أخرنا عن ذكرها هنا ، فإن وفق الله لذلك فهو المستؤل أن يعين عليه ، وإن حالت الأقدار بيننا وبين أملنا فنسأل الله أجر ما قصدنا وهو أكرم الأكرمين .

ومن أهل عثمان الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكان من أهل ودام من الباطنة ، خرج إلى البصرة وأقام بها حين أعرق أهل عثمان بها منذ عهد أبي بكر رضى الله عنه ، إذ انحاز إليها أكثر الركب المصاحب لعبد بن الجلندى وهى إذ ذاك تخطط من جديد فنسب إليها حتى لا يعرف إلا بالبصرى ، وهو علامة شهر بالعلم بين أعلام الأمم ، وفى مقدمتهم فقهاً وأدباً وتاريخاً وشعراً ، وله بدائع علمية لم تكن لغيره من رجال العلم ، ولا عرفها أحد قبله ، فهو صاحب العروض الذى لم يكن له سبق وجود فى عالم العلم ، وقد سماه باسم المكان الذى فتح له به فيه وهو العروض ، فرتب أبحر الشعر ستة عشر بحراً . ورتب قوافيها على غير مثال سبق ، فكأنه من آيات أفكاره الوقادة ، وقد ذكره ابن خلكان وغيره ، وله كتاب العين الذى هو إمام الكتب فى اللغة ، وشهرته تغنى عن ذكره وما سبقه إلى تأليفه أحد ، أى لم ينسج أحد قبله على منهاجه البديع ، وإليه يتحاكم أهل الأدب ، فإنه إمام فيه وذلك فيما يختلفون فيه فيرضون بحكمه ولا ينتظرون بعده غيره فيسلمون لحكمه ، وهو صاحب النحو ، وإليه ينسب ، وهو أول من بوبه وأوضحه ورتبه وشرحه وهذبه ، وهو شيخ سيبويه فى النحو وسيبويه أنحى أهل الأرض فى أيامه ، وكان الخليل المذكور أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، هذا الفن وهو أيضا صاحب الشكل والنقط فى الألفاظ العربية ، ولم تكن قبله مشكولة بل أشكلت فأزال الخليل إشكالها ومشت الأمة على عمله هذا منذ ذلك العهد تبعاً له ، ولع فضيلة السابق فيه والتقدم .

ومن أهل عُمان ابن دُرَيْد المعروف بأدبه وعلمه وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي ، صاحب كتاب الجمهرة المشهور بين أهل الأدب لغةً وغيرها ، ولو لم يكن له غيره لكفى ، بل له مصنفات عدة ذكرها مترجموه ، وهو الخطيب المشهور والأديب المذكور والشاعر المعروف ، والفصيح الذي يقف عند كلامه البلغاء ، ويستعير من بلاغته الفصحاء ، ويعجز عن مجاراته في الأدب أجلة الأديباء ، ويستعين بعباراته اللغوية الخطباء ، فهو خطيب في شعره مصقع في نثره ، وقدوة في خطبه وأدبه ، وحكيم في وضعه وأديب في شعره ، ومجيد في نظمه ونثره ، لا زيادة عليه في فنون الأدب والعلم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا مقصورته لكفت دليلاً على بلاغته وبرهاناً على حكمته ، وقد تداولها الشراح وتسابقوا إلى التعليق عليها ، لما حوته من المعاني الأدبية وما انطوت عليه من الحكم الشعرية ، فهي جامعة كلية في الأدب العربي ، وقد ذكره المؤرخون في كتبهم قديماً وحديثاً ، وأشاروا إليه لمن سعى إلى الأدب سعياً حثيثاً ، وإن العلم ليفتخر بمثله .

ومن أهل عُمان أبو العباس المبرد ، صاحب كتاب الكامل المشهور الذي هو أحد كتب الأدب ، وأيام العرب ، وقد عده كثير من أهل العلم في طليعة الوعاة العرب ، وله مصنفات ، والكامل أشهرها ، وشيوعه عندهم غير منكور لا سيما في تحليل المعاني الشعرية ، وذكر محتويات كلماتهم فله يد طائلة ولهجة واسعة ومقالات جامعة ، ولا يخفى أن أهل عُمان في الركب العربي من المقدمين في الأعمال الإسلامية بجميع معانها ، فلاهل عُمان في سياسات الممالك السهم الأكبر والحظ الأوفر ، وناهيك بسياسة المهلب ابن أبي صفرة العثماني الأزدي ، فقد وصفه أهل التاريخ بأوصاف سياسية يحтар في وضعها كثير من فطاحل الرجال ، وله في

الحزم والعزم على مرواغة الأبطال ، بحيث يعيهم أمره ، وبذلك استنقذ البصرة من أيدي الأزارقة وكادت الدولة الإسلامية تؤيس من إرجاعها إلى دائرتها ، فجاءها هذا البطل الأزدي العُماني ، فأخرجها من أشداق الأزارقة وأراهم منه صولة لا ترد ونكايات لا تعد ، ودهاء لا تصل إليه عقولهم ، فأعاروها اسم بصرة المهلب ، وقد أشبع العوتبي الفكر العربي بأعمال المهلب حتى هم أن يتولى مهام الدولة إلى حد بعيد ، وهو هو في سيره وسراه ، وكان قيامه على الأزارقة في حرب البصرة بأبطال عُمان من قومه وآله ، وهم العمدة معه في ذلك ، وإن كان معه من غيرهم ، ومن قرأ التاريخ العربي الإسلامي أدرك ما قلناه واضحاً ، فلم تزل المعارك دائرة بينه والأزارقة عهداً طويلاً حتى ردهم الله بسببه خاسرين ، حليفهم الفشل ، وإذا استقرأ الحر التاريخ العربي ، رأى فيه لعُمان نقاطاً هامة .

قال الإمام : ولهم في الشجاعة المنزلة العليا والسهم الأوفر وذلك فيهم غير مجهول ولا مستنكر ، قال : فمنهم بلج بن عقبة افراهيدي الذي كان يعد عن ألف فارس ، هو شاب في سن العشرين من عمره ، قال وخبره في سيرة الإمام طالب الحق الكندي ، قلت : وكم مثله من الأبطال العثمانيين ذكر أفراداً منهم في تاريخ الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي ، من أرادهم فليرجع إليهم منه يجد رجالاً تفوق الرجال وأبطالاً لها في الشجاعة أعلى مثال . قال الإمام : ولهم في السياسات التي يحار فيها الواصفون مقام ، ونوة بسياسة المهلب ، ولآل المهلب تاريخ ضخم يدل على الرجال المنظورين ، والأبطال المشهورين ، وهم من منابت عُمان .

ومن هذا الطراز في كل دولة من دول عُمان ، ولله يوم يصبح

البطل العُماني فيه مرفوع الأعلام في أفق التاريخ ، وغير بعيد ذلك إن شاء الله . فإن الزمان قد هم أن يستدير كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، فيعرف الحق لأهله ، ويرد الباطل على ، ذويه ، وفي عثمان من أهل الفضل في المجالات الأخرى من يعد في طليعة ركب الرجال الميامين ، ففى عثمان علماء أجلاء لا يكاد يمكن أن يقاس بهم في أدوار الحياة ، ذكرنا منهم طرفاً في « أصدق المناهج » ونموذجاً في العنوان ، فإذا أردنا ذكرهم هنا يضيق بنا المقام ، فإن محبوب بن الرحيل ، وولده محمد بن محبوب ، وولده بشير بن محمد بن محبوب ، وابن ابنه الإمام سعيد بن عد الله بن محمد بن محبوب ، ومحير بن محمد هؤلاء أهل بيت واحد في صحار أشبه بهالة البدر في السماء ، كل واحد منهم أفضل من الثاني ، كأنما يشير إليهم القائل حيث يقول :

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم

مثل النجوم التي يسرى بها السارى

فهم في الفضل النمط الأوساط يرجع إليه العالى ، ويلتحق به التالى وهم في العلم البحور التي تقذف باللالى ، وهم بين الرجال في ميامين الشرف الأطم العوالى ، هؤلاء نقطة من غيث ، وبله من البحر ، وكم مثلهم في كندة وفي خروص وفي بقايا المسلمين ، بعثمان إذ أردنا ذكرهم على عادة أهل التراجم ، لم تقدر ، بل إذا أردنا سرد أسمائهم وذكر قبائلهم ومواقعهم في عثمان لم تساعدنا الأقلام ، وحسبك رجال الدولة اليعربية الذين خاضوا الأبحر فاتحين ، وصارعوا الأمم منتصرين ، ، ونظموا الجيوش محاربين ؛ حتى أصبح العالم يحسب لهم ألف حساب ، ولا بد أن يعثود لعثمان مجددا السالف وشرفها العريق ، والناس معادن ، وأهل عثمان أمامهم ولله في خلقه أسرار ، والأحاديث تؤيد ما قلنا ، وعن قريب تبلغ عثمان ذروة الشرف ويشار إليها بالبنان بين الممالك . وإن غداً لناظره قريب .

أبو بكر الصديق وعُمان

لما توفي النبي ﷺ ، وقام بالأمر الخليفة الصديق أبو بكر رحمه الله ورضى عنه ، خرج عمرو بن العاص راجعاً الى المدينة للنظر في أحوال المسلمين ، وكيف يدور مدارها ومعه سبعون راكباً من خيار أهل عُمان وفضلائهم ، ولما وصلوا الى أبي بكر رضى الله عنه وسلموا اليه الأمر ، وتبرعوا اليه من أمر البلاد عُمان ووضعوها في يده ، وتخلوا من سلطة الأمر والنهي ، فشكرهم أبو بكر رحمه الله ، وشكرهم المسلمون ، وأثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ثناء وافراً ، وأحبهم وأدنى مجلسهم وبعد أن تعرف الى القوم والاطمئنان بهم جهزهم أبو بكر رضى الله عنه لحرب آل حفنة ، وهم غساسنة الشام ، فقاموا بما وجهه الامام إليهم ، وحمله على عواتقهم وبعد رجوعهم من الشام ، ولاهم أبو بكر أمر بلادهم وألقى إليهم ما عنده من الخطاب ، وأقرهم على أعمالهم ووضع لهم النظام اللازم ، ولما ارتدت العرب وكان أبو بكر السد الذي أوقف مجارى الاتداد ، وقضى على النزعات الشيطانية بنور الإيمان ، ولم يغمد سيوف الحق عن أعناق أهل العناد ، وإذ ذاك أرسل الجبابة لزكاة أهل عُمان ، ووقع سوء التفاهم بين الجبابة وأهل دبا من شمال عُمان ، وآل الأمر الى التداعى بدعاوى الجاهلية ، فوقع في أنفس المصدّقين أن القوم مرتدون فتأخروا ليمبئوا قواّتهم للمهجوم القاضى على القوم قياماً بواجب الدين ، وفي الحقيقة أن ذلك واجبهم أن لو كان الأمر كما ظنوا ، إلا أن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً ، وما كان القوم مرتدين ، ولكن سوء التفاهم مهّد لظن الارتداد من رجال الاسلام ، فصال عليهم الجبابة صولة الأسود الضارية ، فما كان إلا عشية

أوضحاها ، وإذا بالقوم في وثاق الأسر بقهر أمير الصدقة ، فقبض عليهم والقوم متبرمون من صنع الأمير ، ثابتون على دينهم ، ولو كانوا مرتدين لحاج ردهم الى الدائرة الاسلامية الى جيوش جرارة تنتج دقاً وحطياً ، فقادها الى أبى بكر رضى الله عنه أسارى على أنهم هم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، ولما شاع خبرهم في المدينة وجرى الكلام فيهم بين الصحابة رضى الله عنهم ، أنكر ذلك خيار الصحابة على أمير الصدقة ومن معه ، وردوا عليهم عملهم ، هذا وقد مرّ عليك ما جاء فيهم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى .

وفي التاريخ العثماني أن أبا بكر رحمه الله وجهه حذيفة الغلفاني أو القلعاني وهو ابن محصن ، أو ابن الحصين كما في الرواية الأخرى . وكان من بارق حليفاً للأنصار ، وكان له بصر أى حكمة في الأمر مواردها ومصادرها ، فوجهه أبو بكر رحمه الله الى عثمان أميراً أى على الصدقة ، فصدقتهم ، فلما صار في آل الحارث بن مالك بن فهم ، أى وهم المعروفون في أهل عثمان بالشحوح الآن إذ علقوا عليهم صفة الشح بالصدقة ، فقيل لهم الشحوح وشاع فيهم ، ولما صار المصدق إليهم تناول بعض أصحابه امرأة من القوم ، وكان عليها فريضة ثاة مسنة ، فأعطتهم عتوداً او عناقاً مكان الثاة المسنة - فأبوا أن يقبلوها فأخذوا ما أرادوا أى مما وجب لهم ، فلما كان الأمر كذلك ، وكانت امرأة لا عقل لها والشح بالمال أهلك من كان قبلنا ، وإنه موجود في الرجال فكيف به في النساء ، فلما رأت ما فعل الجبابة صاحت على قومها بما كانوا في الجاهلية يتداعون به ، وهو قولهم يا آل فلان ، فلما سمع حذيفة تلك الدعوة قال : دعوة جاهلية ، فالوقم مرتدون فعند ذلك أغار عليهم وقبض على رجالهم فساقهم الى المدينة الى آخر ما جاء فيهم .

وكان سبيعة بن عراك والمعلا زعيمين فيهم فلحقا بالقوم حتى تلاحقوا بالمدينة ، فشكا الزعيमान الى الصحابة فعل الأمير المصدق ، فلما تحقق عمر وتبين أصل القضية لم ير المسلمون إلا رد القوم على بلادهم ، وجبر خواطرمهم بالمال ، فحملوا عنهم مصاريهم وزوجهم من بيت مال المسلمين ما خفف الوطأة عليهم وهون المصيبة ، ورجع القوم الى بلادهم ، وبذلك طنطن المرجفون في أهل عثمان ، وزعموا أنهم مرتدون زعماء لا أصل له ، وشادى بذلك ابن الأثير في كامله أخذاً للقتضاي من غير مصدرها ، وعدم توثق في النقل فقرروا ارتداد أهل عثمان ، وكيف يرتد أهل عثمان ، وقد أسلموا طوعاً وأذعنوا للحق راغبين ، وقد سمعت ما قاله أبو بكر رضى الله عنه فيهم حيث قال : « معاشر أهل عثمان إنكم أسلمتم طوعاً ولم يظأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشتموه ما جشمه غيركم ، أى لم تكلفوه المشاق كما كلفه غيركم من العرب ، فان أهل مكة أهله وأقاربه وعشيرته آذوه وطاردوه حتى آواه الله اليه برجال من الأنصار الأمجاد الذين وفقهم الله ، فواسوه بالحال والمال ، ووأزروه • في الحل والترحال ، قال أبو بكر رضى الله عنه : « ولم ترموا بفرقة ولا قطيعة رحم ولا تشنت شمل » ، ثم دعا لهم أبو بكر رضى الله عنه دعاء شاملاً ، وشكرهم المسلمون شكراً عظيماً خصوصاً من أبى بكر المذكور ، ثم حكى عنهم الحال الذى سره منهم قائلاً : « ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم وكثرة عددكم ، وأطعتموه إذ أمركم ، فأى فضل أبر من فضلكم وأى فعل أشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله ﷺ شرفاً الى يوم المعاد » • قلت : يشير أبو بكر رحمه الله الى قوله ﷺ للصحابي الذى أرسله الرسول عليه السلام ، الى قوم

فسبون وضربوه ، فقال ﷺ ، « لو أهل عثمان أتيت ما سبوك وضربوك » ،
أو كما قال ﷺ .

ومن دعاء أبي بكر رحمه الله لأهل عثمان قوله : فيثبت الله ألسنتكم
ويهدى قلوبكم في حديث يذكره المؤرخون ، فهذه هي عثمان تحت راية
أبي بكر رحمه الله ، وتلك تنويهاته رضى الله عنه فيهم ، فأين دعوى
الارتداد ، فأهل عثمان من ذلك العهد الى الآن لم يزالوا ثابتين على
إسلامهم وعاشرين على سيرة أهل الحق فيهم بالنواجذ ، وان كانوا قد
غشتم الآن المذاهب الأخرى الطارئة على عثمان ، فلن يتزعزع أهل الحق
عن أصولهم ، ولن ينقلبوا على أعقابهم ، وإن تكدر صفو دهرهم ،
فان الذهب الابريز وإن أخنى عليه الدهر وطال عهده بالتراب ، فهو
هو وأهل عثمان كذلك ، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض) وأهل عثمان هم الذين يمكنون في الأرض لمنافع الناس
إن شاء الله .

ولقد قال الامام سلطان بن سيف اليعربى رحمه الله : لئن أعاشنى
الله ، أى أطال في حياتى لأتركن المسافر يذهب من عثمان الى مكة بغير
زاد ، هذا وما زال أهل عثمان يتقدمون الأمم بأخلاقهم الحميدة ومكارمهم
الجميلة ، وعفافهم في الدين بالنسبة الى غيرهم ، ولا زالت غيرتهم الدينية
باقية ، وهانحن في هذا الزمان العصيب ، يقول لنا الوافدون من
سائر أنحاء العالم : إن بلادكم هذه بالنسبة الى الأمم الأخرى عبارة
عن مسجد ، لقد قال لنا بهذا كثيرون ممن سافروا ورأوا ما عليه
باقى الأمم ، فالحمد لله .

وإذا رجعنا الى أبي بكر رحمه الله والعهد بالكفر جديد ، فذاك
حال أهل عثمان معه ، وتلك كلماته فيهم ، وهذا حال أبي بكر رحمه

الله معهم والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم • فأهل
عثمان لا ينال أحد من باقى الأمم منالهم ، نهم أكرم من الريح المرسله على
قله ما فى أيديم ، إذ يسير الراكب فى نواحي عثان لا يحتاج الى زاد
إلا إذا شاء بنفسه وإنما أهل عثمان يتزاحمون على الضيف تراحم
العطاش الى الورد ، كان الضيف كبيراً أو صغيراً ، وسواء كان معروفاً أو
منكوراً ، فهل يوجد هذا فى سائر الأمم العالمية الآن •

وتوفى ابو بكر رحمه الله وهو راض عن أهل عثمان ، وهم راضون
عنه ، وكانت وفاته رحمه الله ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان
بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ ثلاث عشرة للهجرة ، وله رضى الله
عنه ثلاث وستون سنة ، وهى سن رسول الله ﷺ ، فكانت المصيبة الثانية
بالمسلمين ، بعد رسول الله ﷺ بأبى بكر خير الأمة كلها بعد نبيها •

عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعُمان

لقد تقدم عن الامام الأول لدولة المسلمين الصديق الأكبر أبو بكر رحمه الله ورضى عنه وأعماله في عُمان ، وأنه أقر جيفر وعبداً على ملك عُمان ، جعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه ، وجاء في أسد الغابة لابن الأثير صاحب الكامل : أن أبا بكر استعمل عكرمة بن أبي جهل القرشى على عُمان ، ثم عزله وسيره الى اليمن ، واستعمل على عُمان حذيفة القلعانى ، ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عزله عن عُمان ، وولاه اليمامة وولى على عُمان والبحرين عثمان بن أبى العاص الثقفى فى سنة خمس عشرة للهجرة الى آخر ما جاء من أمره ، وحكى العوتبى فى (الأنساب) تولية الثقفى المذكور ، وتولية أخيه الحكم على البحرين ، ثم أمر عليه رحمه الله أن يقطع البحر الى ابن كسرى ، أى الذى قتل أباه بفارس ، وخرج عثمان المذكور بأهل عُمان الأبطال وهم ثلاثة آلاف فارس ، وقيل به ألفان وستمائة من الأزد ، وراسب وعبد القيس وناجية ، وكان زعماء الجند العثمانى الغازى هم صبرة بن سليمان الحدانى فى أزد شنوءة ، ويزيد بن جعفر الجهضمى رأس آل مالك بن فهم ، وكان أبو صفرة الذى لم يرغب الأمير فى مشاورته إذ أتاه أمر عمر بن الخطاب بعد وقعة جلولاء رأس بنى عمران بن عمرو بن عامر ، ومعهم جماعة فخرجوا غزاة لفارس الى آخر ما كان منهم فى مسيرهم وتغلغلهم فى النواحي الفارسية حتى نفذوا الى أرض توج فى شمال العراق ، فحاضوا قتالاً عنيفاً ، وصاروا موجات ضخمة ، وبذلك طن لهم فى الأفق العربى صوت داو حتى تشوفت الأعين إليهم ، ومثلت العثمانيين مثلاً رائعاً حيث خرجوا بالأمس وفى عهد أبى بكر

رضى الله عنه لمقاتلة آل جفنة بالثمام ، واليوم يخوضون أرجاء فارس كذلك فاتحين ، وبذلك رمقتهم الأعين بالإكبار ولحظتهم بالوقار ، وأجلتهم أهل البصرة إذ أفاضوا عليها من توج ، وقد ذكر القضية العوتبي في الأنساب ، وأشار إليها الامام السالمى رحمه الله تعالى في التحفة ، وذكرناها في العنوان ، كذلك كاشارة وتفصيل الحوادث يستدعى الفراغ الواسع ، لا سيما أن التاريخ العثمانى أغمض وأعمق من كل شىء ، حيث لم تقم له مصادر عالية كما حدثناك عنه في مقدمتنا لهذا الجزء .

ومن أعمال الإمام عمر بن الخطاب رحمه الله بعمان قيامه على الأمير الذى قبض على أهل دبا متأولاء فيهم الارتداد كما ذكره أهل العلم ، وإن كان ذلك في خلافة أبى بكر رحمه الله تعالى ، وقد غضب عمر ابن الخطاب على أمير الصدقة غضباً لم ير مثله ، حيث قال له : « والله إنى لو أعلمك تسبيهم بدين دونى تقطع فيهم أى بهذا الحكم الذى حكمت به فيهم وهو سبيهم ، وغنيمه أموالهم لقطعتمك طوائف ثم بعثت الى كل مصر منك بطائفة » وفيه المبالغة بالتهديد ، أى حيث تجعل التأويل فى محل التنزيل ، والمراد به التشهير بالعقوبة ليعلم الناس أن الحق أكبر من الولاية وفى بعثه به الى الأمصار قطعاً تصريح ببطل ذلك الفعل ، وتشهير له بين المسلمين فى أنحاء الأرض ، ورد على من يقول إن أهل عمان ارتدوا ، ولكن الامام رحمه الله أغضى عن عقاب أميره هذا حيث رأى الحال يحتل أشياء فكان تهديده كافياً لرد جماحه الذى جمع به عليهم قبل التحقيق ، ولم تقم للأمير حجة تبرر فعله ، بل اعتمد على شبهة ظنها حقاً فأخطأ فيما فعل ، والدين لا يثبت بالاحتمال ، ومن اتخذ الظن ديناً كما يفعل بعض فرق المسلمين فقد ركب محجوراً وتسمن

ضلالا ، وهذه أفعال الصحابة رضوان الله عليهم فيمن فعل ذلك ، وهم القدوة الصالحة والحجة الراجحة ، واليه يشير قول الامام رحمه الله في جوهره :

تأول السابى لهم يوم دبا
وأنكر الفاروق ذاك المذهب

أى أنكز عليه تأويله ارتدادهم حين تداعوا بدعوى الجاهلية ، فانه لا يكفى للحكم عليهم بالارتداد بذلك ، فانه يحتمل أنهم جروا على المتعارف معهم سابقاً بقطع النظر عن معنى الارتداد ، وكيف يرتد أهل عثمان وقد أسلموا طوعاً ولم يطأهم رسول الله ﷺ بخف ولا حافر مع مدحه لهم بما علم من أحاديثه الواردة •

قال الشيخ خلف بن زياد البحرانى ، وهو أحد علماء المسلمين القدماء رحمه الله : ثم نقض عمر أمر أهل دبا ، أى أبطل الحكم الذى حكم به المصدق فيهم بعد ما هدده ذلك التهديد الكبير ، ورد القوم أى المسيبيين من أهل دبا الى منازلهم ، أى بعثان ، ورد عليهم أموالهم التى ظنها الجابى غنيمة حيث لم يثبت منهم الارتداد قال : وأجاز المسلمين بما أصيب منهم ، أى عوضهم بدل ما ضاع عليهم بثلاثمائة ثلاثمائة ، أى لكل واحد منهم : وأخرج لهم ذلك من بيت مال المسلمين • قلت : هو دليل على أن خطأ العامل من بيت المال حيث كان عامل المسلمين كامام وقاض ونحوهما ، أى أن بيت المال مجعول لصالح المسلمين ، وهذا من صلاحهم ، فكأنه رأى الخطأ بالتأويل فى بيت المال ، وما هو بيت المال ؟ هو الزكاة والغنائم لا غير ، وقد حكم الله فيهما بحكمه

الصحيح الصريح ، وقد أخذ العلماء من ذلك ما كان صلاحاً للمسلمين يجوز الانفاق عليه من بيت مالهم ، فان السنة فسرت القرآن وأفعال النبي ﷺ واضحة صريحة وكذلك أحكام صحابته المتفرعة عن أحكامه ، ولالإمام النظر في مصالح المسلمين ، ولذلك جعل إماماً لهم ، أى لينظر في مصالحهم بدلائل القرآن ، فكان نظر الامام ابن الخطاب رحمه الله عين الحق ولسان الصدق ، ولم لا وهو الألعى البصير رضى الله عنه .

ولما علم عمر من أهل عثمان الصدق ، وتقرر لديه ثباتهم أيام أبى بكر ، ورأى أحوالهم فى عهده ، وأنهم لم ينزعوا يداً من طاعة ، ولم يراوغوا المسلمين مراوغة الجماعة ، لم يبدل فى عثمان أمراً عن أمر ، ولم يحرك ساكناً حيث اطمئن بأقوال النبي ﷺ إذ سمعها بأذنه وهو مطمئن بصحتها ، ولم يكن له فى عثمان عمل أكثر من هذا الذى ذكرناه ، وبقيت عثمان فى عهده كباقي المملكة الاسلامية هادئة مطمئنة ، وأهل عثمان من أهدي الأمم للحق وأتبعهم وأعرفهم به برغم بعد دارهم كما قيل :

أرتنى هدى زيد وفى العلم قلة

وضلة عمر والعلوم بحور

على هذا عاشت عثمان أيام عمر بن الخطاب رحمه الله حتى توفى رضى الله عنه قتيلاً لأربع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة ، طعنه أبو لؤلؤة وكان نصرانياً وقيل مجوسياً ، ودفن مع صاحبيه النبي ﷺ ، ووزيره الرضى أبى بكر رحمه الله ، هذه هى عثمان أيام الخليفين الرضيين المرضيين أبى بكر وعمر ابن الخطاب .

والتاريخ أكبر شاهد وأصدق حجة ، إذ يجىء معبراً عن الحوادث وحافظاً لكل حادث من محدثه ، وتلك إحدى فوائده المنشودة .

عثمان بن عفان وعثمان في عهده

لما توفي عمر بن الخطاب رحمه الله ، وكان جعل الخلافة شورى بين المسلمين ، حيث رأى الأنظار تتنافس فيها ، وكل يميل اليها نظرا الى الرئاسة ، وكان ينبغى التباعد منها إلا من ابتلى بها فيحتسب عناءه وأجره مع الله عز وجل ، ولا يميل الى الرئاسة عاقل مهما كان ، فان حب الرئاسة هو الشهوة الخفية ، نعوذ بالله منها .

ولا شك أن الكبر لا يفارقها طبعاً ، وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر . ولا شك أن الكبرياء لله لا ينازعه فيها أحد إلا كبه الله على وجهه في النار ، وما سؤال يوسف الصديق الامارة إلا لأنه يعلم من نفسه الأصلحية لها وذلك من الاجتهاد في الحق ، كما أشارت الى هذا إحدى سيدات المغاربة الأمجاد ، لما جاءها الشيخ العلامة الجليل هود بن محكوم الهوارى يشاورها حين طلب للقضاء . فقالت له : ان كنت تعلم أن في القوم من أصلح منك لهذا الأمر ، فقبلت فأنت خشبة في جهنم ، أى إذا قبلت مع العلم بمن هو أصح ، فقد قبلت شهوة وحباً للإمارة ، وفي ذلك الهلاك نعوذ بالله منه . قالت : وإذا كنت تعلم أنه ليس ليس في الجماعة من هو أفضل منك لهذا الأمر فأبيت ، فأنت خشبة في جهنم ، أى حيث تعين عليك الأمر وصرت مكلفاً به وجوباً ، وإذا أبيت من فعل الواجب عليك استحققت العقاب من الله ، ولما ابتلى عمر بن الخطاب بالإمامة وعلم من أحوال الناس ما علم ، وخوطف في الوصاية لما لم يراه أصلح لها لئلا تنتشق عصا المسلمين تبعاً لفعل أبى بكر رضى الله عنه ،

لم يوافق عمر أن يوصى بالإمارة لأحد من المسلمين لما رأى من الأحوال .
فجعلها شورى بين ستة رجال من خيار المسلمين لينظروا الأصلح ويكونوا
حجة تقطع الشقاق ، وتدفع الافتراق ، وهم على بن أبى طالب وعثمان
ابن عفان ، وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ،
وعبد الرحمن بن عوف ، وكان طلحة غائباً . فقال : يا معشر المهاجرين
الأوليين ، إنى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً ، فان
يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة أيام ، فان جاءكم
طلحة الى ذلك الأجل ، إلا فأعزم عليكم بالله ألا تتفرقوا من اليوم الثالث
حتى تستخلفوا أحدكم فان أشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل ،
وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة الأيام التى تتشاورون فيها ، فانه رجل
من الموالى لا ينازعكم أمركم ، وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار ،
وليس لهم من أمركم شئ ، وأحضروا معكم الحسن بن على ، وعبد الله
ابن عباس فان لهما قرابة ، وأرجوا لكم البركة فى حضورهما ، وليس
لهما من أمركم شئ ، ويحضر ابنى عبد الله مستشارا وليس له من
الأمر شئ .

قالوا : يا أمير المؤمنين إن فيه للخلافة موضعا فاستخلفه فاننا
راضون به . فقال : بحسب آل الخطاب تحمل رجل منهم ليس له من
الأمر شئ ، ثم قال : يا عبد الله ، إياك ثم إياك لا تتلبس بها ، ثم
قال : إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه ، وإن
استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما ، وان استقام ثلاثة
واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابنى عبد الله ، فلأى الثلاثة قضى فالخليفة
منهم وفيهم ، فإن أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم ، فقالوا :
قل فينا يا أمير المؤمنين ، أى ما ترى من الأحوال مقالة نستدل

فيها برأيك ونقتدى به ، فقال : والله ما يمنعني أن أستخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك ، مع أنك رجل حرب ، وما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة ، وما يمنعني إلا منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب ، وما يمنعني بن طلحة إلا نخوته وكبره ، ولو وليتها لوضع خاتمه في أصبع امرأته ، وما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك ، وحبك قومك وأهلك ، وما يمنعني منك يا علي إلا حرصك عليهما ، وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم .

هذه آراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الخلافة ، وتلك فراسته في قومه وهو أعرف بهم ، وإن لهذه الأحوال من عمر بن الخطاب قيمة لا يقاومها شيء عند أهل العقول ، ولو شرحت لكنت إحدى آياته العمرية التي لا يدركها إلا الكمل من الرجال ، ولا يهتدى إليها إلا عباقرة الأبطال ، وإنها لتحتوى على السياسة التي لاتعادلها سياسة مهما كانت ، فقد لوح رحمه الله ، وصرح كما هداه الله ، والله في خيرته من خلقه أسرار لا يدركها إلا أمثالهم . ثم ختم كلمته رحمه الله بقوله : أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم ، وأحذره مثل مضجعى هذا وأخوفه يوماً تبيض فيه وجوه ، وتسود وجوه ، يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ، ثم غشى عليه حتى ظنوا أنه قد قضى ، فجلعوا ينادونه ولا يفيق من إغمائه ، فقال قائل : إن كان شيء ينبهه فالصلاة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين الصلاة . ففتح عينيه فقال الصلاة هأنذا ولاحظ في الاسلام لن ترك الصلاة ، فصلى وجرحه يثعب دأماً ، ثم التفت إليهم . وقال : قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه ، ثم التفت الى على

ابن أبى طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وشرفك وقرابتك من رسول الله ﷺ ، وما آتاك الله من العلم والفقہ في الدين ، فيستخلفونه ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه يا على ، ولا تحمل أحداً من بنى هاشم على رقاب الناس ، ثم التفت الى عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسابقتك وسنك وشرفك ، فيستخلفونك ، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحداً من بنى أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : يا صهيب صل بالناس ثلاثة أيام ، ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم ، أخرجوا عنى اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم ، وول أمر أمة محمد ﷺ خيرهم ، فخرجوا من عنده ، وتوفى رحمه الله من يومه ذلك ، وصلى عليه صهيب .

فانظروا معشر أهل الحق في أمر عمر رضى الله عنه وهو في حاله ذلك يصرف أمر الأمة وهو في تلك الحال ، ولم يشغله ما هو فيه ، وانظروا في فراسته في رجله وفي تأنيبهم بالأحوال التي هم عليها ، إذ يقول في كل واحد منهم ما ينبغي أن يقال بغير محاباه ولا مداراة برغم ما هو فيه ، فيقول للأنصار : ليس لهم من أمركم شيء ، ويقول لابن عباس وللحسن ولابنه عبد الله : ليس لهم من شيء ، مع تبيينه للخصال التي هم عليها ، وجعل الأجل ثلاثة أيام وبعدها أمر بضرب أعناقهم ، إنها من القضايا التي يتزودها عمر بن الخطاب من أمور المسلمين الهامة بالنسبة الى حالته ، وهو صريح على فراشه ، ثم بين في الستة المشار إليهم الأحوال التي تؤهلهم لحمل الامامة في الاسلام ، مع كشفه عن خلال فيهم لها ما بعدها ، ثم حكم في القضية

عدة أحكام يفهمها المعنيون بأمور الأمة ، ولما سألوه أن يقول فيهم ما ينبغي ألا يبقى منه شيء في واحد منهم ، قال : في سعد الشدة والغلظة ، وهما لا يتناسبان في الأمير في أغلب الأحوال ، لأن الأمير كالطبيب لا ينفر الطبيب من أهل العاهات والألم يفدهم طبه ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنك فرعون هذه الأمة ، وهذه طعنة تافذة وقنبلة عظيمة ، لأن [ابن عوف] كان أغنى الصحابة بالمال ، وقال للزبير مؤمن الرضا كافر الغضب ، والمعنى إنك إذا رضيت فعلت أفعال المؤمنين وإذا غضبت فعلت أفعال الكافرين ، أى أن الغضب يهجم بك على الأمور بغير مبالاة ، والمراد تهديده وزجره عن الغضب الذى يحمله على مالا تحمد عقباه ، فإن من كان كذلك لا يمكن أن يكون ولى أمر عامة • وقال : في طلحة الكبر والنخوة ، وهما أيضاً من الخصال المذمومة في الدين ولا يرضاها الايمان ، والمراد تركها لا سيما أن أمره في يد امرأته ، بمعنى لا يخالفها وهذا الحال من أتبع الأحوال في الرجال ، ومتى يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ، والمرأة ضعيفة العقل واهية الإرادة ، وذكر في عثمان عصبيته لقومه وحبه لهم ، والحب يعمى ويصم ولا يتناسب مع سياسة المجتمع ، وقال في على بن أبى طالب الحرص على الإمارة فيخشى عليه أن توكل اليه ، فإن رسول الله ﷺ قال : لا نولى أمرنا من سألنا إياه • وقال لبعض الصحابة رضوان الله عليهم : نفس تحببها خير لك من إمارة لا تحببها • في أحاديث عديدة تنفر من ذلك تناقلها علماء المسلمين والمعقول هو هذا ، فلا يطلبها عاقل قطعاً ، ومن ابتلى بها أعين عليها ، ولقد أوضح الفاروق رحمه الله كل مخفى من أحوال هؤلاء الرجال ، ليقلع بذلك تلك الجراثيم الجاثمة على صدور هؤلاء الذين هم صفوة الأمة في وقتهم ، وعن الاسلام فرحم الله ذلك السيد الفاروق الذى لم

يلفه عن تدبير أمر أمته ومناقشتها ، وهو في مثل ذلك الحال شيء ، فله
در الرجال الذين هم حجة الله وإن عمر بن الخطاب في مقدمتهم بإجماع
أهل الحق الذين يعتد المسلمون بإجماعهم •

وبعد موته رحمه الله اجتمع المسلمون في النظر لأمر الشورى ،
 واجمع أهل الشورى في بيت أحدهم ، ولحضروا عبد الله بن عباس ،
 والحسن ابن علي ، وعبد الله بن عمر ، فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا
فتيلا ، فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف رضى
الله عنه : أتدرون أى يوم ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم لا تتفرقوا
فيه حتى تستخلفوا أحدكم ، قالوا : أجل • قال : فإنى عارض عليكم أمراً ،
قالوا وما تعرض ؟ قال أن تولوني أمركم وأهب لكم نصيبى منها ،
أى لا يكون لى فيها نصيب ، بل هى إليكم معشر الخمسة الباقين ، وكان
رحمه الله نظر تشوق القوم إليها ، وتناول الأعناق لنيلها ، وقد قال
له عمر : إنك فرعون هذه الأمة ، قال عبد الرحمن : وأختار لكم من
أنفسكم أى تحكمونى فى الاختيار ، وتفرضونى فيه ، قالوا قد أعطيناك
الذى سألت : قال : فلما سلم القوم أى الأمر الى عبد الرحمن وحكموه
فى القضية وتخلى هو منها • قال لهم : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ،
فجمل الزبير أمره الى على بن أبى طالب ، وجعل طلحة أمره الى عثمان ،
وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف •

قال المسور بن محرمة : فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم ،
 وخرج يتلقى الناس فى أنقاب المدينة ، مثلثما لا يعرفه أحد ، فما
ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم
إلا سألهم واستشارهم • قال : أما أهل الرأى فأتاهم مستشيراً ،

وتلقى غيرهم سائلا ، يقول من ترى الخليفة بعد عمر كالمستخبر ليلتقى ذلك من أفواه الناس ، فان الله يلقيه على السنة عباده برغم الأهواء الصادرة عنه ، فلم يلق أحدا يستشيريه ويسأله إلا ويقول : عثمان • فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان ، قال المسور رضى الله عنه جاءنى عشاء فوجدنى نائما فخرجت إليه ، فقال ، ألا أراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ هذه الثلاثة ، أى الأيام ادع لى فلانا وفلانا نفرا من المهاجرين ، فدعوتهم له ففاجاهم فى المسجد طويلا ، ثم قاموا من عنده فخرجوا ، ثم دعا عليا ففاجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع أى فى الأمر ، أى كأنه يراها له ، ثم قال ادع لى عثمان فدعوته ففاجاه طويلا حتى فرق بينهما أن أنت صلاة الصبح ، فلما صلوا جمعهم فأخذ على كل واحد منهم الميثاق والعهد ، لأن بايعتك لتقيم لنا كتاب الله وسنة نبيك وسنة صاحبك من قبلك ، فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك ، وأيضا إذا بايعت غيرك لترضين ولتسلمن ويكونن سيفك معى على من أبى ، فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم ، وذلك لأنه لا بد أن يبائع بها أحدهم ، وعلى الباقيين السمع والطاعة ، والعون على من خالف الجماعة ، لأنها لا تكون للكل قطعا فنراه قد ربطم بالعهود والمواثيق ألا يختلفوا عليه ، وهو قد تسمع الى الناس خاصتهم وعامتهم ، وعلم منهم أنهم يتوقعون ذلك لعثمان ، لأنهم يلاحظون أهليته الظاهرة ، وكفاءته الشاهرة والغيب لله عز وجل •

قال : فما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لأنه بايعتك لتقيم لنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة صاحبك ، وشرط عمر لا تجعل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس ؟ فقال عثمان : نعم • ثم أخذ بيد على بن أبى طالب وقال له : أبايك على شرط عمر ألا

تجعل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس ، فقال على عند ذلك مالك ولهذا ، إذا قطعتهما في عنقي ، فان على الاجتهاد لأمة محمد ﷺ حيث علمت القوة والأمانة ، استعنت بها كان في بنى هاشم أو غيرهم ، فقال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط قال على : والله لا أعطيكه أبدا فتركه ، فقاموا من عنده ، فخرج عبد الرحمن الى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني نظرت في أمر اناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا على سبيلا الى نفسك ، فانه السيف لا غير ، أى عملا بوصية الامام الراحل عمر بن الخطاب . وبهذا تجلت شجاعة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فان الموقف حرج والأمر جلال ، وفي مثلها تتجلى عباقرة الرجال . قال : ثم أخذ بيده عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا ، وهنا انتهت قضية البيعة لعثمان ، وتركنا ما وقع من القيل والقال ، وربما يقول قائل : إنك معنى بتاريخ عثمان فما بالك خرجت الى حديث عمر بن الخطاب في الوصية ، منه بالخلافة الى الشورى ؟ قلت : لأن عمل عمر هذا هو في نفسه دستور عظيم ، وقانون جسيم ، فتركز عليه الامامة في كل أدورا وجودها وأطوار حياتها ، واعتمادا على أمير المؤمنين الفاروق ، وأخذ بتلك القاعدة التي وضعها فهي من أولها الى آخرها مبادئ صحيحة ، وقواعد رجيحة ، ودعائم مكيئة ، على مثلها يقوم البناء للهيئة الاجتماعية ، وعلى مثلها تثبت الأوضاع السياسية .

ولا شك أن عمر هو شمس العدالة التي لا يخفى ضوءها على أحد من أهل الحق ، ولو كان البناء مشى على أعمال لكانت الأمة في أرفع المناصب طيلة الدهر ، ولكن لما كان الأمر رهن القضاء

والقدر ، كان الحال على ما سمعنا وما نسمع ونرى ، وعلى كل حال إن القانون الذي وضعه عمر أعجز من جاء بعده ، وأين في الناس كأمثال عمر رحمه الله ورضى عنه .

فهذا الكرسي الذي قعدت عليه إمامة عثمان ، ولكن ما كل مجتهد مصيب فقد اجتهد عمر للمسلمين وهو في ذلك الحال الحرج ، واجتهد عبد الرحمن بن عوف كذلك ، وإن لم يوفق فلا يلام بعد الاجتهاد ، وهنا استقر الأمر لعثمان وصحت خلافته ، وثبتت إمامته وقام بأعماله ، فما كان منه لعثمان وماذا فعل فيها ، لم تكن عثمان أيام الخليفة الثالث إلا هي هي أيام الخليفة الأول والثاني ، وحيث إن أمر عثمان مازال في أيدي ولاتها الميامين أنجال الجلندي ملك عثمان ، ولم يكن من أهلها شقاق ولا نفاق ولا افتراق ، وكان أحكام الشريعة الفراء ماشية في نشاطها وجارية في مجاريها لم يدر في خلد عثمان هم عن عثمان ، ولا طن على أذنه عنها صوت يستجذب الأسماع إليه ، فيشتغل بها كما اشتغل بغيرها ، فقد قام عثمان على من قاومه من أهل الأقطار ، وفتح المسلمون على عهده فتوحاً ، وعمل أعمالاً لا ينكرها أحد حتى إذا تم ستة أعوام وهو راق في سماء المجد ، والمسلمون حوله يجيئون دعوته ويؤيدون حجته ، حتى إذا أراد الله اختيار قوم ابتلاهم في أفضل أحوالهم ، وأكمل خصالهم فقامت الأحداث في الدين ، وهي تسترعى انتباه المسلمين ، وتستدعى أهل الحل والعقد من المؤمنين حتى اتقدت جحيم الشقاق ، وقام اللجاج للافتراق واختلفت الآراء ، وساءت الظنون ، وإذا بالمسلمين من كل حذب ينسلون ، فكروا على عثمان بالتخلي عن الأمر اختياراً ، وترك الخلافة إلى أهلها لينظروا الأعدل والأصلح ، كما أوجب

الله عز وجل ، فكان القيل والقال داعياً إلى الخذلان والوبال ، حتى آل الأمر على قتل عثمان ، وساءت الحال إلى حد بعيد حتى إنه لم يشيعه في دفنه أحد من المسلمين الذين هم الحجة والمنظور إليهم بين الأنصار والمهاجرين •

وهم إذ ذاك متوافرون ، وذهب عثمان إلى الدار الآخرة ولم يشك عثمان ولم تشكه هي أيضاً ، والحمد لله ، وكان قتله على رأس ثمانين سنة من عمره ، وقيل على رأس ثمان وثمانين ، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، وقيل كانت خلافته اثنتي عشرة سنة ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين عاماً ، وقيل ابن ثلاث وثمانين ، وقيل ابن تسعين عاماً ، وقيل غير ذلك • وكان قتله على ملاء المسلمين ، وحوصر قيل أربعين يوماً وقيل عشرين يوماً ، وقيل تسعاً وأربعين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، وقيل تسعاً وأربعين يوماً ، وقيل ثمانين يوماً ، وكان قتله يوم الأربعاء بعد العصر ، ودفن يوم السبت قبل الظهر ، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥ خمس وثلاثين ، وقيل قتل في وسط أيام التشريق ، وأقام ثلاثة أيام لم يدفن ولم يصل عليه ، وقيل صلى عليه جبير بن مطعم ، ودفن ليلاً كما قدمنا لم يشيع جنازته الأعيان ، ولم ير من عثمان سوءاً ، ولم تر منه كما قلناه فيما سبق لنا من التحرير •

على بن أبى طالب وعثمان

لما توفي عثمان بن عفان ، ماج بالمسلمين تيار السياسة وهاج في الإسلام الرأى العام الداعى إلى وجوب نصب الإمام ، وكانت الثورى التى رآها عمر قد رشحت رجالاته للإمامة ، ومنهم أبو السبطين ، ووالد الحسينين ، الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ما يمنعنى أن أوليك يا على إلا حرصك عليها ، وقال له عبد الرحمن بن عوف أيضاً ما قال ، وكان على بن أبى طالب يرى أنه الأحق بها من أول يوم ، فذلك تلكأ في بيعة أبى بكر رضى الله عنه ، ولم ير المسلمون له ذلك خصيصاً وقد علم أمر الخلافة بين المهاجرين والأنصار ، ولم يقل أحد منهم إن علىاً أخص بها ، ولذلك جعلها عمر ثورى ولم يقل إن علىاً أحق بالأمر من غيره ، وكان أحق لما ترك المسلمون الأحق وهم أمناء الله في أرضه ، وخلفاؤه في بريته ، بل كان على بن أبى طالب أحد الرجال المرشحين لها برغم الرغبات ، وعلى كل حال فإن الرجال محاط الأعمال ، وكل يصلح لشيء خاص ، وهذا الأمر لا يزال في أحوال البشر ، أما الكمال الحقيقى لله وحده عز وجل .

فلما تولى على بن أبى طالب أمر المسلمين ، كانت عثمان من جملة ممالك المسلمين ، الخاضعة للحق والدين ، التابعة لأمر المؤمنين .

وكان والى عثمان إذ ذاك عباد بن الجندى من طرف أمير المؤمنين ، قائم بأمر عثمان ، خاضع للخليفة ، سامع لأوامره عامل للخلافة عملاً لا هوادة فيه ، وكان على بن أبى طالب سرعان ما انصدع بناء إمارته بما جاء به الداهية معاوية بن أبى سفيان ، إذ كان يحاول سلطان المسلمين ، وله حب في الإمارة لازال يتأملها بكل ما أوتى من إمكان ، فلما رآها لا تقرب إليه ، وقد ترشح لها عمل على قهرها ، وأخذها من أين وجدها ،

غير مبال بما يلاقى فيها ، فلما أفضت إلى على بن أبى طالب ، رأى إياسه منها يتقدم ، وأمله لها يتأخر ، فكان من قدر الله أن رأى أن علياً لا يقره على عمل من أعمال المسلمين مهما كان ، لأن حاله ينافى استعماله ، ولا نولى عملنا من إرادته ، اختلق لنفسه الطلب بدم عثمان ، ونادى أنه قُتل مظلوماً ، وصاح في أهل الشام هذا الرأى كان على أمير المؤمنين ، وهذا ما فَعَلَ به ولم يناصره أحد ، وفعلوا فيه وجاروا عليه ، وكان أهل الشام أتباعاً لمعاوية فيما حل وحرّم ، وقد استحوذ على أفكارهم ، وتمكن من استمالتهم إليه ، فقام على الإمام محتالاً على الخلافة ، موهماً للسواد أشياء جعلها ذريعة مقصده ، فقادهم قود الصبى للجمال مقطورة خلفه :

فجاء يقرع ظنوب الشقاق له

روقان فى الغى من بنى ومن بطر

ينوح فى الشام ثكلى ناشراً لهم

قميص عثمان نوح الورق بالسحر

فشاغل علياً واشتغل به ، واضطرب الجبل الذى فى يده ، ولم يملك استقراره ، فكانت الفتنة تنبعث عليه من منامها ، والشروع تلتهب لديه نيرانها ، وذلك هو الذى قيده عن الاتصال بالممالك الإسلامية ، وشغله عن أمصار الدين ، فلم يكن لعلى بعثمان عمل لا حل ولا عقد ، حتى قضى الله عليه من يد عبد الرحمن بن ملجم المرادى المصرى ، وكانت عثمان فى عافية من قتل هؤلاء الخلفاء الثلاثة الذين تتابعوا قتلاً من أيدي إخوانهم المسلمين . نعم إن قاتل عمر بن الخطاب على الصحيح لم يكن مسلماً ، وبموت على بن أبى طالب انحط نظام الخلافة الصحيحة ، وصارت ملكاً عضوضاً ، وكان قتل على بن أبى طالب ليلة السابع عشر من رمضان فى ليلة الجمعة سنة أربعين للهجرة ، فمات بعد يومين .

قال كمال الدين محمد بن موسى الدميرى : مات سنة ٧٥ ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل ثلاث وستين ، وقيل سنة ٦٨ ثمان وستين ، وعمره خمس وستون سنة . قاله ابن جرير الطبرى ، وقيل ثلاث وستون سنة ، وهى سن رسول الله ﷺ ، وسن أبى بكر وعمر ، وكانت مدة إمامته أربع سنين وتسعة أشهر ويوماً واحداً قضاها كلها فى أزمام مزقت الدين ، وفرقت جمع المسلمين ، ولم يتمكن على بن أبى طالب من إقامة أركان خلافته ، فإن صوته لم يتجاوز الحدود ، وهو كان يأمل أن تكون الأيام طوع يده والأنام تحت قهرته .

ولما قتل على بن أبى طالب كما ذكرنا ، كانت المملكة الإسلامية تهتز جدرانها لتتداعى حيطانها ، والأمة فى أقطار الأرض فى حيرة وروعة ودهش ، لا يعرفون مصيرهم ، فمنذ قتل عمر بن الخطاب لم تنزل الدولة الإسلامية تتوقع قتل الخلفاء ، وإن كان ذلك غير مستغرب ، لكنه مثير للقلق والروعة ، داع إلى مضاعفة الهموم فى هذه المرحلة الدنيوية ، وقد بويع للحسن بن على بعد وفاة والده نظراً لكفاءته ، لأنه ابن الخليفة العالم الزاهد الهاشمى المجاهد ، على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، وهو السبط الأكبر ، وقد توافرت فيه الصفات المطلوبة فى الإمام ، ولم يذكر بمعيب إلا بمخالفته وصية أبيه فى قتل ابن ملجم حيث أوصى عليهم ألا يمثلوا به فمثلوا ، ولعل الحسن لم يكن ذلك التمثيل بأمره ولا رضى به ، وهو اللائق بمقامه : إلا أن الحسن ألقى الإمامة فى نحر معاوية وهو يعلم أن معاوية غير أهل للإمامة الراشدة ، وأن ذلك الالتقاء لا يليق بالحسن الهمام ابن على الإمام ، بل اللائق خوض بحار الدماء فى نصره الحق وتأييده ، فإن الخلافة فى الشريعة

الإسلامية لم تكن ملعبة ولا غنيمة تهدى ، ويؤخذ عليها الأجر لا سيما وأن معاوية لم يف للحسن بما وعده ، وقد شهر أنه دس عليه السم فمات مسموماً وصفا الجو لمعاوية •

ومهمتنا أن الحسن لم يكن له في عثمان أى عمل ، كما أنه لم يكن له في بقية بلاد الإسلام كذلك أى عمل ، وإنما كانت الأعمال لمعاوية ، فكان سيد المسلمين وأمير المؤمنين رضوا أم كرهوا ، فإن للسيف حكماً لا يزال يعرفه كل أحد ، وإنما المراد الملك والتسلط على الأمة ، وقد سلم الحسنُ الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول بعد قتل قيس بن سعد بن عباد •

فكانت خلافته ستة أشهر إلا خمسة أيام ، فلم يقع منه شيء يذكر ، وأراح نفسه من الخلافة بعد ما تولاها ، وقام معاوية في المسلمين ملكاً عض على الملك بالنواجذ ، فاستطردنا لذكره لمّا له ولمعاوية من العلاقة ، فإن كلامنا يتم بذلك كما سبق لنا ، ولَمّا تولى معاوية الملك وَصَفَا له الجو ، ولم يخش أحداً بعد على بن أبى طالب ووالده الحسن ، ورأى الأمور جاءت خاضعة طائعة ، وكان أمر عثمان إذ ذاك إلى عباد بن الجندى ، وكان معاوية لا أرب له في التطاول ، بل كان يخشى نزع الشام من يده ، وكانت عشرون عاماً التى قضاها معاوية بالشام ، لها أثرها الفعال ، فكان غاية ما عنده الرضا بالحال الذى حصل له ، وأقام على تأييد زعامته في الشام والعراق ومصر ، وهذه هى أمهات المملكة الإسلامية ، فكانت مصر حظ عمرو ابن العاص •

وبقيت العراق والشام ، أما الشام فهى فيئته ، وأما العراق فهى ملكه ، ولم يكن له نظر إلى ما وراء هذه الممالك ، فلم يكن له في عثمان تحريك ولا إسكان ، ولا حل ولا عقد طيلة حياته ، حتى قضى الله عليه ، وعثمان في يد أهلها وعباد بن عبد أميرها ، وكانت وفاة معاوية

في مستهل رجب ، وقيل في منتصف رجب سنة ستين ، وكان عمره ثمانين سنة ، وقيل خمساً وثمانين سنة ، وقيل خمساً وسبعين سنة ، وقيل ثمان وثمانين سنة وقيل تسعين سنة ، عاش أميراً وخليفة أربعين سنة ، وقد عافى الله منه عثمان وأهلها ، وعافاه منهم ، وكانت له أحوال ونوايا كبيرة ذكرها العلماء المؤرخون .

وهكذا يحلو الزمان ويمر وما هو إلا ظل زائل والمصير إلى الله الولي الحقيقي .

خلافة عبد الملك بن مروان وعمان

لا يخفى على المطلع أن عمان منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم تصل إليها أيادي الخلفاء الذين جاءوا بعده ، فمضى عثمان وعلى بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وابنه يزيد بن معاوية ، وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، وكان الحكم طريد رسول الله ﷺ ، فهؤلاء الملوك الستة لم يكن لهم بعمان عمل يذكره التاريخ ، وإنما عاشت عمان أيامهم وهي بيد أهلها يديرونها كما تقتضى الشريعة ، ويعملون فيها بواجبات الدين غير مترعزين عن خطة الحق قيد شعرة ، وكان في هذه الفترة أميرها عباد بن الجندى ، حتى اذا ببيع لعبد الملك بعد موت أبيه وولى الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق فى أيام سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجندى ، فحاول الحجاج بن يوسف إلحاق عمان بولاية العراق ، فلم ير أهل عمان طاعة الحجاج الظالم السفاك ، بل لا يرون ولاية عبد الملك فضلا عن الحجاج ، فإن عبد الملك كان رجلا عاقلا فطنا بصيراً بما عليه الناس وما يرغبون فيه ويرغبون عنه .

أما الحجاج فكان طاغية عاتباً سفاكاً للدماء ، لا يبالى بها فى نصره هواه أو نصره سلطانه ، ولما لم ير من عمان الخضوع والانقياد جر عليها الجيوش ، وظل يهاجمها مهاجمة عنيفة كاد أن يقضى على الروح العمانية تماماً ، لكن أبى الله إلا أن يعيش الذهب فى النار عيشه فى الثرى ، بل لم تزد حروبه أهل عمان إلا صقلاً وصلابة واتقاد حماس ، فإنهم كلما صارهم بجيوشه قضاوا عليها وأرغموها على الهزيمة ، قال ابن رزىق فى تاريخه : بعد ما وقعت الفتنة وافتترقت الأمة ، وصار الملك والسلطان الى معاوية بن أبى سفيان ، ولم يكن لمعاوية فى عمان شىء من الشأن ، حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان ، فاستعمل عبد الملك الحجاج بن يوسف

الثقفى على العراق ، وذلك فى ذلك الزمن على الاتفاق فى عمان من أساطين سلاطينها سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجلندى ، وهما القيمان فى عمان ، وكان الحجاج يبعث غزواته عليهما وينتخب عليهما أميراً بعد أمير ، يعنى قواد الجيوش ، وهما يفضان جموعه ويبيدان عساكره فى مواطن كثيرة ، وكلما أخرج عليهما جيشاً هزمه واستوليا على سواده ، فأشار إليه بعض خاصته أن يخرج عليهما القاسم بن شعوة المرى فى جمع كبير ، فأخرجه عليهما وأخرج بجيش عظيم وخميس جرار على سفن كثيرة ، فلما انتهى القاسم المذكور إلى ساحل عمان ، أرسى سفنه على ساحل حطاط ، وحطاط كان يشمل وادى بوشر تشريقاً إلى أعمال قريات ، فسار إليه سليمان بن عباد بن الجلندى بأبطال الأزد ومن معهم من العرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدائرة على أصحاب الحجاج وانهموا شر هزيمة ، وقتل القائد القاسم بن شعوة ، قتل من قومه خلق كثير ، واستولى سليمان على سوادهم ، وقيل هلكوا كلهم ولم يسلم منهم أحد ، هكذا قال ابن رزيق وكذلك لشكيب أرسلان .

قال ابن رزيق : فلما بلغ ذلك الحجاج هاله الأمر واندesh لهذا الحادث الذى كان يأمل أن يأتيه بعمان يقودها له قبود الصاغر ، ثم أستدعى مجاعة أخوا القاسم المقتول ، وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم وينادى فى قبائل النزار ، بإثارة حفائظهم وإلهاب ضمائرهم ليقضى وطره بهم ، وأن تعم دعوته حتى حلفاءهم كذير عام لهم وشيعتهم من الأنام ، ويستصرخهم على خراب عمان ، أو قل على الأقل لإخضاع عمان .

قال وأظهر الحجاج حمية وغضباً وأنفة أيضاً ، على أن عمان ترده على عقبه فتكون له فى الأحياء أهدوثة سيئة ، وكتب ذلك إلى عبد الملك ابن مروان ، وماذا يقول عبد الملك وصاحب القضية الحجاج حيث الهزيمة عليه ، وإن كان النصر فلعبد الملك ، ولا يهم الحجاج حيث يجد العرب تضرب العرب فى رضاه ورغبته ، ولو كان يخوض المعركة بنفسه خوض

الأبطال كعلی بن أبی طالب وخالد بن الولید وعمرو بن العاص ، لأحجم عن قصده ، ولكنه ليس هناك ، وكان من سياسته أن أقعد وجود الأزدي عن الخروج في هذا الجيش ، وكانت قوة الأمير من الأمة ، وكان بالبصرة من الأزدي أبطال يدرون من أين تؤكل الكتف ، وكان عدد الجيش في هذه المرة الذي أخرجهم الحجاج مع مجاعة بن شعوب لضرب العمانيين . قال ابن رزيق : على الأصح أربعين ألفاً ، فكان الجيش فرقتين : فرقة بحرية ، وفرقة برية ، وكل فرقة عشرون ألفاً وإن جيشاً كهذا لعظيم في نظر الزعماء المعنيين بالحروب .

وقد ذكر هذا الجيش عدة مصادر من أهل الاطلاع ، ذكره شكيب في تعليقه ، وشاعر دولة مسقط هلان بن بدر بن سيف ، والشيخ الطيوانى كما ذكره أبو إسحاق صاحب مجلة المنهاج ، والزعيم البارونى والإمام السالى رحمه الله ، وكانت لهذا الجيش شهرة بين زعماء العرب .

قال ابن رزيق : فانتهى القوم السالكون طريق البر ، وهم كما ذكرنا عشرون ألفاً أكثرهم أهل خيل وركاب : قال : فالتقوا هم وسليمان ابن عباد ومن معه من رجال الأزدي وغيرهم من أهالى عمان حول الماء الذى دون البلقعة ، ويعرف الآن عند أهل عمان بالبلقعين شرق بلدة فلج الشام من وادى بوشر ، ويحسب الظاهر أن هذا الماء كان مشهوراً هناك يسير عليه الوارد ، ولعلمهم يتسابقون عليه هناك ، فإن البلدان التى حوله الآن حدثت قريبا وبالأخص بلدة فلج الشام من عمران هذا القرن خاصة . قال ابن رزيق : التقوا دون ذلك الماء المشار إليه بخمس مراحل ، وقيل بثلاث مراحل ، قال : وهو الماء الذى يقال له اليوم بالبلقعين ، قلت : لا أدري من أين كان دخولهم الذى قيس بأربعة أيام أو ثلاثة أيام دون البلقعة ، قال : فاقتتلوا قتالا شديداً : وانهم أصحاب الحجاج وكر سليمان بن عباد في طلبهم واستئصال شأفتهم . وهو لا يعلم عن جيش

البحر شيئاً ، وقد انتصر الآن والسيوف بعد لم تنجل دماؤها ، والقلوب لم تهدأ حرارتها ، وإذا بجيش البحر ينزل اليوتانة من جلفار [أى رأس الخيمة الآن] ونقل الأخبار بالسن السفار لا بالبرق والطيّار كالآن ، فلقى الجيش هناك رجلا من أهل توام [البريمي الآن] فأخبرهم عن جيشهم البري وما صار عليه ، وأن سليمان بن عباد في أثرهم هو وجنوده ، وأن الأقلية الآن معه ، وقد تفرق قومه عنه ظناً منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها وانتهى أمرها ، وإلى أن تأتي مرة أخرى تحتاج إلى مدة ، وأن الرجل الآن يلتقط فل الهزيمة ، وقد سر بالنصر الحاسم الذي ألحق هذا الجيش بجيش القاسم بن شغوة ، وعند ذلك وصل مجاعة بن شعوة بركا ، إذ كان الجيش مر على ساحل عمان كما يفهم من نزوله أولاً جلفار ، ثم بركا وهي كانت من بلاد عمان المهمة في الساحل ، فخرج للقاء هذا الجيش شقيق سليمان وهو سعيد بن عباد بن عبد بن الجلندي ، فأداروا رحى الحرب بينهم طيلة النهار حتى حجزهم الليل ، وهم في أزمة شديدة ، فكان القتال شديداً ، وبعد ما حجز الليل بينهم تأمل سعيد ابن عباد جيشه فإذا به بالنسبة إلى جيش عدوه كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، والمعنى رآهم في غاية من القلة في العدد والعدة لا سيما أنهم لم يبرحوا من مكان الحرب ، وإذا هم بحرب تزحف عليهم حول ميوتهم ، ولعل خلف هذا الجيش جيوشاً أخرى ، فألى متى نكون نحن والحال هذا ، واستشعر العجز وفضل الفرار من البلاد ، وليته لم يفعل ، فإن النصر من عند الله وهو الذي نصرهم أولاً ، وهم بالنسبة إلى كثرة عدوهم قليلون ، ولو فضل الموت في الوطن على الحياة من غيره ، لكان أولى ، فإن الموت لا بد منه ، ولكن إذا أراد الله أمراً ظهرت له أسباب من نفسه ، وإذا خارت عزيمة الأمير انهار صرح المأمور وتدهور البناء ، وتزلزل عرشه وسقط والشاهد على هذا كثير :

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

وبالجملة لما رأى سعيد بن عباد تفهقر أمره ، وتحقق العجز عن الدفاع عن الوطن ، إذ رأى كثرة القتل في قومه وكثرة الجرحى ، رجع القهقرى مخلفاً وراءه في ساحة أبطاله ورجاله ، هذا قتيل وذاك جريح لف ذراريه وذراري أخيه سليمان ، وصعد بهم الجبل الأخضر ويقول ابن رزيق : الجبل الأكبر ، وهو جبل بنى ريام ، ويقال له رضوى بضم الراء المهملة ، ولما انكشفت الحال بانهازم سعيد بن عباد وفراره عن رجاله قوى ذلك عدوه ونشط للقتال ، وهون أمر قومه فهانوا في وجه العدو فأهانهم العدو إذ كر لاحقاً بسعيد وأخيه ، وإذا بهما ارتفعا في الجبل المنيع ، وإذا بالعرش العماني لا دافع عنه ، ولا شك أن الأمة تخضع للغالب وتنقاد له راغمة ، ومع ذلك فإن القوم حصروا الأميرين سعيداً وسليمان في جبلهما ، فكان جيشهما تحت يد الفاتح ، وقد جعلوا كتيبة الحصار في وادي مستل ، وتوجه باقى الجيش إلى الداخلية فدخل نزوى واحتلها ، وبهلى وأزكى ولم يجد مدافعا ، فكان له الحول والطول ، وبقي الزعيمان يحاولان الهرب من عمان حيث تغلغل الجيش الغازى فيها ، وقد وتر مرات فلا بد أن يتشفى من أهل عمان وهو غالب عليهم ، ووصل إلى مسامع الزعيمين أن مجاعة أرسى سفنه دون مسقط ، ولعل أكثرها في مسقط إذ هي المرسى الوحيد ، وكان عدد السفن ثلاثمائة سفينة بين صغيرة وكبيرة ، إذ كانت سفن ذلك العهد بخلافها الآن ، فغزاها سليمان بن عباد في مرساها ، فأضرم فيها النار لكن لم يذكر بأى شئ أضرم النار فيها ، وبأى وسيلة إذ ذلك كان عمله ، إلا أن التاريخ يصرح بأنه احترق منها نيف وخمسون سفينة ، وانهازم باقى السفن هرباً إلى البحر بحيث لا ينالها

الغازى ، ومكث بها أهلها هناك ، وفي هذه الأثناء تصور لمجاعة أنه لا طاقة له على حرب سليمان وهم في قلب عمان ، وأنه لا بد أن ينقض عليهم انتقاض الصاعقة يوماً ما ، وكذلك تحقيق القضية عند الإمام السالمى ، إلا أن فيه مزيد إيضاح لجيش الأزدي الذى صادم به سليمان بن عباد مجاعة في بركا أنه كان ثلاثة آلاف فارس أهل الخيل ، أن بعضه أهل بجانب ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فيكون مجموع جيش الأزدي ستة آلاف وخمسمائة ، وقد قاتلوا عشرين ألفاً فهزموهم بإذن الله ، ولا ريب فانهم يداغعون عن وطن وذرية وأهل وفيه فواصل مجاعة سير الليل بسير النهار حتى وصل بركا ، وذكر قتال سليمان لهم وقاتل سعيد في بركا ، وبعد انتهاء ذلك اليوم تأمل سعيد جيشه وقد قتل منهم من قتل فرآه ضئيلاً جداً ، فكاعت نفسه فاعتزل من ليلته وعمد إلى ذرارى أخيه وذراريه فخرج بهم إلى الجبل الأخضر ، قال : فلحقه القوم فما زالوا محصورين ، وذكر قضية حريق سفن مجاعة مرسى مسقط ، وذكر أنه لما فرغ من حرق سفن مجاعة وهرب الباقي منها ، قال : فخرج مجاعة من الداخلية يريد سفنه بمسقط ، وإذا بسليمان راجعاً من مسقط ، فالتقى بسماثل ، ودارت رحى الحرب بينهما ، وقتل في هذه الواقعة من الفريقين أعيان الرجال ، فكانت مقتلة رهيبة انهزم فيها مجاعة هرباً إلى سفنه ، فلما وصل مسقط تصور له أن سليمان خلفه ، فكان غاية ما عنده الهرب العاجل قبل حلول الأمر المخوف ، فركب سفنه وجد في الهرب إلى جلفار .

ولما استقر بها كاتب الحجاج عما صار عليه وما وقع فيه من المآزق فاهتم الحجاج بالأمر غاية الاهتمام ، وانزعج له مندعشاً مما تكرر على مسامعه من عمان ، فأخرج له جيشاً آخر على طريق البر بقيادة عبد الرحمن بن سليمان ، أحد أعوانه الأشقياء ، مؤلفاً من خمسة آلاف رجل أهل خيل كلهم من بادية الشام الأجلاف ، الذين لا يعرفون ديناً ولا يراعون إسلاماً ، أحرق الجبل ضمائرهم وتولى عليها الشيطان مسيطراً عليها ،

تقاتل قوماً مسلمين في أوطانهم على غير جرم ولا سبب ، بل طاعة لأتقى الخلق الحجاج بن يوسف الخبيث •

وكان في القوم رجل من الأزد ولا يعلمون به ، وكان الأزدى متقد الأنفاس على ما يسمع من الحدة على قومه ، فأكنها في ضميره ولم يبدها لهم ، حتى إذا رأى الفرصة هرب من الجيش ليلاً ولعله لم يفقد ، حتى أتى سليمان وسعيد بعمان ، ولكن لم أجد في أى موضع وجدها ، ولكنه أدركهما فالتقى إليهما مهمته وما علم من الجيش الغازي ، فأثر عليهما وانزعجا لخبره وهالهما الأمر ، ولعله هول عليهما حتى أفلقهما وليته لم يفعل ، وليتهما ثبثا ثبات الأحرار ، إما موت في كرم ، وإما حياة في عز ، وإنه لشبيهه بقضية الذي أرجف بالمسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه نزل : (اذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) الآية ، وليتهما زاد إيمانها وقالوا له نرحب بالزائر ، وإن السيوف التي قاتلنا بها لفي أيدينا ، وإن القلوب التي لقينا بها الأولين لفي صدورنا ، وتحمسا على العدو القاصد البيضة ، ولكن بعض الرجال يتحرك فيها الدم البارد فيؤثر على الدم الحار ، ولو قال لهم ما هؤلاء إلا شرذمة قليلة وما هم إلا لقمة أكل ، وترك السيف يقرى الضيف والموت يعلن الصوت ، والشجاع يتقلد الروعة على هامته ، حتى يحكم الله بينهم وهو خير الحاكمين ، لنجح القوم ، ولكن الناس يقيمهم المقيم ويقعدهم الفرد بلسانه ، كم جرى مثل هذا في العالم الإنساني ، وكم حدث التاريخ عن أناس من هذا النوع •

قال الإمام : فاستشعرا العجز فحملا ذراريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ، ولحقا ببلد من بلدان الزنج أى حيث لا يسمعان بعمان ولا تسمع عمان بهم ، فكان مقرهما في زنجبار منذ ذلك العهد حتى ماتا هناك ، أى وكونا لهم حكومة أهلية ونشر الإسلام في تلك النواحي النائية ، حتى أصبحت منتدحاً لأهل عمان ، وأصبح أهل عمان يتحملون

إلى زنجبار زرافات وجماعات في كل موسم في ذلك العهد ، لعل الله أراد
أن يهدى بهما قوماً وينشر بهما الدين في تلك النواحي فتدخل في
الإسلام .

قال : ودخل مجاعة عمان مع زميله عبد الرحمن ففعلا فيها غير
الجيل ، ونهبهاها هما وعسكرهما المحتل ، ولا ريب فإن الجهل بلية من
البلايا وغطرسة الحجاج ما عليها من مزيد ، والدين عندهم اسم بلا
مسمى وإلا فأين حقوق الإسلام التي يقتضيها الدين .

أول عامل للحجاج على عمان

لما تمكن مجاعة من عمان ، وكان زميله عبد الرحمن بن سليمان معه يؤيده ويسدده ، وكانت عمان قد قضت على أخيه القاسم مع جيشه الغاشم ، ودقت مجاعة المذكور مع جيشه الأول والثاني ، وانتصر الجيش الثالث وصفا له الجو في عمان ، وظهرت سيادة الحجاج على عمان بخروج سعيد وسليمان إلى أرض الزنج من أفريقيا ، وداست أقدام الجيش الفاتح لعمان كرامة أهل عمان ، ولى الحجاج على عمان الخيار بن سبرة المجاشعي من أعوانه العتاة ، وبقي المجاشعي المذكور والياً على عمان مدة حياة عبد الملك بن مروان ، حتى مات في شوال سنة ٨٦ ست وثمانين ، وخلف سبعة عشر ولداً ، وبعد موته تولى الأمر ابنه الوليد ، ثم مات الحجاج واستعمل الوليد على العراق يزيد بن أبي مسلم ، وكانت عمان إذ ذاك من أعمال العراق ، فولى عليها يزيد سيف بن الهاني الهمداني ، فقام بالأمر فيها حتى مات الوليد في يوم خامس عشر من جمادى الآخرة ، سنة ٩٦ ست وتسعين ، فكانت خلافته عشر سنين ، وكان ابن الهاني الهمداني هو والي عمان من قبل أمير العراق يزيد بن أبي مسلم .

ولما تولى الخلافة بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك بالوراثة عزل سيف بن الهاني عن عمان ، وولى عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي ، ومشى في عمان الوالي الليثي بين الزعازع الطائفة ، فرأى سليمان ابن عبد الملك عزله عنها ، ولعله رآه لا يحسن إدارة شئون البلاد ، ورأى رد الوالي الأول عليها الممارس لها ، ولكل وقت سياسة وكل يصلح لأمر ، ومدارك الرجال مختلفة الأحوال ، وقد جعل سليمان صالح بن عبد الرحمن مشرفاً على الوالي ، ومراقباً حركاته وسكناته ، ومضى لهؤلاء الولاة على عمان عهد من الزمان يتداولونها حتى تولى يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة العراق وخراسان ، وكان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من عمان

وله فيها حنين وأنين ، إذ هى وطنه ووطن قومه من الأزدي ، ولذلك ولى عليها أخاه زياداً فلم يزل عاملاً على عمان محسناً الى أهلها محبوباً لديهم مطاعاً فيهم ، بقى فيها ، إلى أن مات سليمان بن عبد الملك ، وتولى الخلافة العبد الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى اليوم الذى مات فيه سليمان بن عبد الملك بولاية العهد منه ، وعد ذلك من حسناته الخالدة ، فكان ذلك فى عاشر صفر سنة ٩٨ ثمان وتسعين ، وقيل سنة ٩٩ تسع وتسعين ، ثم بدأ ضياء العدل هنا يبدو وظلام الجور يخفى ، ومن حسنات الزمان خلافة عمر بن عبد العزيز ، وللخير آثار كما للشمر كذلك ، وفى هذه الأثناء قام دور التمهذب الدينى ، وكان الإباضية قد أخذوا حظهم من الحق ، وقام لهم فى العالم الإسلامى مقامات أشهر من نار على علم قبل أن يعرف لغيرهم شأن مهما كان ، فقد دون الإباضية دواوين الشريعة وبرهنوا على الاعتقاد الصحيح • ونصبوا معالم الحق مبينين لأعمال طغاة بنى أمية ، وواضعين معالم الدين ومؤسسين القواعد للمسلمين ، فى ذلك العهد المظلم بالحجاج وأمثاله من اللجاج الذين ضايقوا المسلمين وضيقوا مسالك الدين ، فكانوا — أى الإباضية — المورد والمصدر للمؤمنين قبل أن يكون فى الإسلام شافعى أو حنبلى أو مالكى أو حنفى ، كما أوضحنا ذلك فى العرى الوثيقة ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات •

مذهب أهل عمان

اعلم لما كان تاريخنا هذا خاصا بعمان وحوادثها مع ما تعلق بها من أحوالها ، رأينا أن نذكر مذهب أهل عمان حتى يكون تاريخنا هذا أخذاً من كل شئون عمان .

اعلم أن مذهب أهل عمان هو المذهب الإباضي الذي عرف في عمان . وحضرموت واليمن قديما ، والعراق ومصر حتى تقلص ، والمغرب على الأكثر حتى شاع في نفوسة وطرابلس والجزائر وميزاب في العهد السالف ، وكان شيوع عقائده بين رجال الحق شاهراً ظاهراً لا ينكره منكر ولا يقدر فيه قاذح ، وكان الخوارج من رجال الإباضية الأشداء على أهل الأهواء ، حتى ابتدعوا مقاتلتهم الشوهاء ، ودخلوا بها على مجالس المسلمين فأنكروها عليهم ورفضوهم بها ، فأقصوهم وأبعدوهم عن مجالسهم ، وتبرعوا من مقاتلتهم ، وبذلك أطلق عليهم من جاء بعدهم اسم الخوارج ، وبه ألصقوا السوء عليهم لتفجير الأمة عنهم ، ومصادق ما قلناه في مؤلفاتهم القيمة ، وكتبهم الصحيحة الواضحة . وأقوالهم الشهيرة الراجحة ، فإن الخوارج ضلوا الطريق وسلكوا المضيق ، وابتدعوا بالتأويل تشريك أهل التوحيد :

وأمة المختار فارقتهم وضللتهم وفسقتهم

فما للإباضية وللخوارج ، فالإباضية مذهبهم في الصدق والوفاء مذهب أبي بكر الصديق ، ومذهبهم في الشدة والهدى مذهب عمر بن الخطاب ، وعقيدتهم في دينهم عقيدة نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يداهنون في الدين ، ولا يعادون المسلمين ، ولا يفارقون المؤمنين ، يصفون ربهم بأوصافه الكاملة ، وينعمتونه بنعوته الفاضلة ، وينزهونه عن

النقائص كلها ، ويعتمدون على الكتاب والسنة ، اعتمادا لا هوادة فيه ، ويقولون بالاجماع ويعملون بمقتضاه ، ويأخذون بالرأى فى المختلف فيه ، ولا يرضون من أحد ما خالف منهج المسلمين مهما كان ومن كان •

فالمسلمون بايعوا أبا بكر رضى الله عنه حتى قضى نجبه ، ولقى ربه ، ثم اجتمعوا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووالوه ووازره وناصره ، وكانوا معه لما كان مع الحق حتى انقضت أيامه ، ثم بايعوا عثمان بن عفان بعد الاجتهاد للمسلمين ، والنظر فى أمر الدين ، وواجبات رعاية منهج المؤمنين ، وأخذوا عليه العهود والمواثيق ، وأكدوا القضية بكل تأكيد صحيح ، اجتهاداً لدين الله عز وجل ، وقياماً بحقوق الاسلام ورعاية لمصالح الأمة ، وكان عثمان من أفاضل رجال الاسلام مستور الأحوال الكريمة منشور الفضائل العالية ، محبوباً فى السواد الأعظم ، مقبول الحديث متبعاً فى الأقوال ، لا يبعدون عليه شيئاً ينكرونه فى دينه ، وقد اجتهدوا فى توليته تمام الاجتهاد ، إذ كان المقام مقام اجتهاد ونظر للمصالح والأصلح ، فبايعوه بعد ذلك كله ، وما كان لهم علم بالغيب فيما يحدث ، فإن أحسن فذلك ظنهم فيه وأملهم منه ، وإن زاغ عن الحق وراغ عن الطريق فلا إمامة له • وقد ناطحوا كسرى وقيصر وأبانوهما عن عروشهما ، فكيف برجل منهم قوموه لدينهم ، وأمره عليهم لا يكون عليهم ضربة لازب ، إذا لم يستقم لله ولم يقيم بواجبات الأمة ، وتعوج عن الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق إلا الضلال ، فاستقام عثمان ست سنين من صدر خلافته ولم ينقم عليه شئ فكان على منهج صاحبيه ، والمسلمون كلهم تحت رايته ، ورهن إشارته ، حتى غير بعد ذلك وبدل ، فأنكروا عليه تغييره سيرة صاحبيه ، فعاتبوه أولاً لعله غافل

فينتبه ، أو جاهل فيعلم ، ومشوا معه حيناً من الدهر ، فما تحققوا رجوعه ولا فهموا منه إلا بقاءه على ما أنكروا عليه ولعل علياً كان حريصاً عليها لما يرى من الأهلية له فيها .

فقام على ابن أبي طالب قيام الأئمة العدول ، وعمل بأوامر القرآن الكريم ، وهابه أهل الباطل من رجال الدنيا والدين ، يتهاكون عليها وقاتل أهل الفتنة القائمين لقتاله المستترين عند العوام بطلب دم عثمان حتى قتل منهم ألوفاً ، وهزم صفوفاً برجاله الأبرار ، وأصحابه المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان حتى شوش عليه بعض أهل الأغراض الدنيوية حين رأوه حليف ذى الفقار ، وأليف العدل على كل جبار ، وعند ذلك تآمروا عليه ، إن هذا الرجل لا يرى لنا من الحق شيئاً ، ولا ينفاد لرغباتنا فهل أن ندس له المكائد ، فنسجوا له نسجاً لا ينفلت منه إلا بدماره ، كما شرحنا في العرى الوثيقة ، وبيننا حقيقة على ومرام قومه .

ولقد خدعوه في قضية التحكيم من نواح عديدة أولاً قبولها إذ حملوه عليه ، فقبل راغماً ، وبذلك رجعت دولة على بن أبي طالب القهقري ، وتكسر ذلك العمود الذى احتملت عليه ، وانهار صرحها المحاط بسدى الفقار ، فرجعوا يضربون رقاب بعضهم بعضاً ، وأوغلوا فى الشقاق ولجوا فى الافتراق ، وبقضية التحكيم وجد الشيطان مدخلا بين المسلمين ، فقام فيها القيل والقال ، وطال بها الخطب وخلقت الدسائس ، وأخرج طلبة الدينار رءوسهم متطاولين على الامام ، منضمين الى أصداده ليلنح كل واحد منهم غاية مراده ، فكان فريق يرى له التحكيم واسعاً ، وبعضهم يراه واجباً وفريق لا يراه واجباً ولا جائزاً ، وانشقت به عصا المسلمين ، وأصل وضعه ليتقوى أصداد الامام ، فخرج عنه أهل طاعته ، وسيوف

دولته ، رهبان الليل أسود النهار ، الذين لم يرضوا الواقع ولم يعرهم
الإمام المسامح ، ولا رأى لهم ما طلبوا ففروا عنه إلى جانب ، فخافهم
الجاهل وهابهم الظالم ، ومال على قتلهم من يخاف سطوتهم ، فحملوا على
الإمام على قتلهم بمكائد خلقوها ، ودسائس نسجوها ، وقد حكم الله
عز وجل في القضية المشار إليها في كتابه العزيز ، ولم يجعل حكم أمثالها
إلى أحد من المسلمين ، فكانت مثار القيل والقال والشقاق والجدال ، فرأى
بعضهم أن حكم الله في القضية واضح وليس للإمام أن يحكم فيه برأيه ،
وهي في الحقيقة من أهم المسائل التي لعبت بها أيدي الهوى ، وشوهت
حقيقتها تبريرا للطعن في المحكمة زورا وجورا ، وذلك أن الذين أنكروا
التحكيم بقولهم : لا حكم إلا لله ، لا يعنون غير مسألة قتال الفئة الباغية ،
لأن الله لم يجعل حكمها لعباده ، بل بينه عز و علا نفسه ، وقد ثبت أن
الذين حملوا السلاح في وجه إمام المسلمين فئة باغية ، وزال الريب عن
بقي فيه ريب أو تشك بعد قتل عمار بن ياسر رضى الله عنه ، لقوله عليه
السلام له : تقتلك الفئة الباغية • ولم يقابل أحد من المسلمين هذا الحديث
بالرد أو بالطعن ، • بل أثبتوه وصدقوه ورواه علماء الصحابة ، فزال
به الريب بعد قتل عمار عن كان مرتابا من الضعفاء ، فإن الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم صرح فيه ، بأن قاتل عمار باغ بغير شك ، فقتين بذلك
أن المناصبين للإمام في صفين باغون عليه بحكم الكتاب والسنة ، والتحكيم
فيما كان كذلك لا يجوز ، فقال المنكرون له لا حكم إلا لله ، أى فيما
حكم الله فيه لا يصح أن يحكم فيه بخلاف ذلك الحكم ، وإلا كان ردا
لحكمه عز وجل والله يحكم لا معقب لحكمه •

وقد أكدت السنة أيضا لحكم الكتاب ، ولكن المكابرين أبوا إلا أن

يصرغوا الحقيقة عن وجهها ، ويوردوها على غير موردها ، فحملوا هذه الجملة على العموم ، والواقع يناقضه ، وزعموا أيضا أن المحكمة أرادوا إبطال الخلافة بقولهم لا حكم إلا لله ، مع أن الواقع أن المحكمة نصبوا الأئمة في كل قطر حلوا فيه ، قال العلامة أبو إسحاق الإطيشي ، وجرى معهم في إنكار التحكيم الحسن البصري ومالك بن أنس عالم المدينة ، كما ذكره البرد في كامله ، وحكاه في ضحى الاسلام عنه •

واعلم أن رد الحق ونسفيه من أكبر الكبائر في الدين ، وقد عاتب بعض المسلمون على بن أبي طالب ، كالأشعث بن قيس ومن معه فتابعهم ، والمحنة تحتار فيها العقلاء ، قال الامام فعاتبوه فلم يعتبهم أى لم يصنع لعتابهم ، قال وخاصموه أى ظهر خصامهم عليه ، فكانت لهم الحجة واضحة المحجة ، مما ورد من النصوص قال الامام فهم أن يرجع اليهم ويترك ما صالح عليه البغاة من التحكيم في حكم الله ، فقامت عليه رؤساء قومه فأطاعهم ، فاعتزله المسلمون بعد أن خلع نفسه من الإمامة ، لأنه في تلك المدة لم يكن هو إماماً ولا أميراً للمؤمنين ، حيث الامامة في يد الحكيم ينظران لها الأصلح ، مع أن الواقع لم يكن خصم الامام إماماً حتى ينظر في أى الإمامين أصلح للمسلمين ، وإذا كان الأمر كذلك فليس المسلمون الذين ينظرون الأصلح للمسلمين أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وهل يلزم المسلمين ما رأياه وحكما به كان صالحا أو غير صالح ؟ وهل رضاهم بحكم الرجلين لازماً بالمسلمين ؟ وهل القضية مالية يهون أمرها على باذنها ؟ وإنما هي الدين الذى كلف الله به الأمة وإذا كان على راضيا بالتحكيم فكيف يقال إنه في ذلك الحال إمام ؟ فهذا من الأمور المتناقضة ، وإذا كان هو إماماً فكيف يسوغ له انتظار الحكيم وحكمهما ؟

وبالجملة فقد وقع على بن أبى طالب فى خطورة هامة من قبل هذه القضية ، فنعوذ بالله من الفتن .

قال الامام : ولما حكم على الرجال فى إمامته ، اعتزله المسلمون وهو يظن أن الأمر باق فى يده ، وهيهات فقد أعطى اليهود والمواثيق على قبول حكم الرجلين ، فصارت الامامة يلعب بها الحكمان إن قدموه أو عزلوه ، فاعتزله المسلمون عند ذلك ، وقدموا على أنفسهم عبد الله ابن وهب الراسبى إماماً لهم ، قال : فسار اليهم على فقاتلهم بالنهروان حتى قتل جماعتهم الذين هنالك ، وهم قدر أربعة آلاف رجل لم ينج منهم إلا اليسير ، وهم يرون أن الموت هو النجاة عند الله ، وهو الرواح الى الجنة ، فبقى من بقى منهم فى الأمصار والنواحي ، وهم خلق كثير ، فبقوا متمسكين بدينهم ، عاضين على وصية النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، متمسكين بما وجدوا عليه أسلافهم ، ثابتين على الحق غير متزعزعين عنه كيفما كان الدهر لهم أو عليهم ، فنصبوا على ذلك الأئمة ، وباينوا الغواة من الأمة : وأذهبوا فى رضى الله الأنفس ، وفارقوا على طاعته نساءهم وأبناءهم ومسكن يرضونها حتى أقاموا شعائر الدين ، وأناروا منار الإسلام ، وأعادوا شريعة الله على مستقرها . حتى ظهر الدين بين الخاص والعام فى أقطار الأرض . فأظهروا للناس معالم الاسلام ، وذكروهم بسيرة النبى عليه الصلاة والسلام .

ومذهب أهل عمان من قضية التحكيم مذهب الإباضيين على العموم ، فالقول فيها واحد ، والولاية والبراءة كذلك ، وما صح فيه احتمال فهو على ما كان عليه ، وقد ذكر بعض العلماء : أن على بن أبى طالب تاب

مما وقع فيه ، كما شهر بكاؤه وندمه على أهل النهروان ، والندم توبة ، ولا يرى بعض أهل المذهب هذا حجة توبة ، لأن توبته لا تحتاج الى شهرة وشيوع ، وقد حكى القطب ابن يوسف رحمه الله توبته في الهميمان ، إلا أنها لم تثبت صحتها معه ، ويميل على عدما ولنا في القضية كلام حافل في العرى الوثيقة من أراده فليقصده يجده شافيا إن شاء الله .

وأهل عمان يأخذون عن الصحابة مطلقاً ما لم يبين لهم باطل فيما أخذوا ، كما هو مذهب عامة الاباضية ، والقرآن هو إمام المسلمين يقتدون بما جاء فيه ، فحلاله حلال عندهم ، وحرامه حرام أبداً لديهم ، ويؤولون تأويل أصحاب سيد آل عدنان ، إذ هم العرب الصراح ، وبلغتهم نزل القرآن ، فلا يجهلونه ، والناس تبع لهم فيه لا يرون لأحد مزيد علم على علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوصا فيما يتعلق بأحكام الشريعة من عقيدة وغيرها ، مما يتطلبه الظاهر من الأمة ، وإن ادعى قوم أنهم أدركوا ما لم يدركه الصحابة في القرآن ، فمن الجائز ذلك ، ولكن الصحابة هم ترجمان القرآن ، وهم هداة الأمة ، وهم صروح الشريعة ، واليهم مقاليد أحكام الله العملية الدينية ، وإن أدرك قوم علوم الصنعة ونحوها من القرآن أو السنة ، فلا يعترضون عليهم ، بل يكون ذلك إليهم .

ومن مذهب الاباضية على العموم عدم الرؤية لما تدل عليه من النقص ، والله عز وجل منزه عنه ، وأهل عمان يعتقدون كمال الله من جميع النواهي ولا يرون مذهب معتقدها إلا منهاراً لا ثبات له بحال ، ومن مذهبهم إثبات الحقوق التي جاء بها القرآن كلها ، لا إنكار لشيء منها أبداً ، وهي حق ذى القربى وحق الجار ، حق الصاحب بالجانب ، وحق اليتامى ، وحق المساكين ، وحق أبناء السبيل ، وحق الوالدين ، وحق ما ملكت اليمين أبرارا كانوا أو فجارا ، وحق الأمانة ، وحق الوفاء

بالمعهد لقومنا ولأهل ذمتنا ، وحق من استجار بنا من قومنا وغيرهم ، وحق الأمن للكاف عن قتالنا المعتزل بنفسه عنا من غير أن نشك في ضلالة من حاد عن مذهبنا ، وحق الدعاية الى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحق موالاته المحقين في الدين أيا كانوا من الناس وفي أى موضع كانوا من أرض الله عز وجل ، وحق مفارقة أهل الباطل ومعاداة أهل الضلال وموالاته المحقين رغم أعداء الدين ، ومن عادى المسلمين أو مالأ على قتالهم أو أعلن عليهم أو دل عليهم أو على عوراتهم أو كاتب أعداءهم مباينة لهم ، أو كاد امام المسلمين أو غشه أو خانه أو خادعه أو خذله عند القدرة على نصرته لكنا في كل هذه الأحوال لا نحكم فيهم بحكمنا على عبدة الأوثان ، ولا يحكنا على أهل الكتاب ، فلا نقبل منهم جزية ، ولا نعد أموالهم غنيمة ، ولا نعاملهم معاملة المشركين كما يفعل الأزارقة الذين يحكمون على من خالفهم بحكمهم على المشركين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحكم فيهم بذلك ، ولا حكم فيهم بذلك أئمة المسلمين ، وهم علماء الشريعة وهداة الأمة الى الحق والى طريق مستقيم •

وكفى قدوة لنا على بن أبى طالب في هذا المقام ، فإنه لم يحكم فيهم يوم الجمل بحكم المشركين ولا في صفين ولا في النهروان ، بل قال إخواننا بغوا علينا وذلك واضح شهير عند علماء الملة وأئمة الدين •

قال الامام السالمى رحمه الله : ومن أنكر الحق واستحب العمى على الهدى ، وفرق المسلمين وعاندهم فارقتاه وقتلناه حتى يفتى الى أمر الله أو يهلك على ضلالته من غير أن نزلهم منازل عبدة الأوثان ، فلا نستحل سببهم ولا غنيمة أموالهم ولا قطع الميراث منهم ، خلافا للخوارج الصفرية

والأزارقة والنجدية ، المانعين لموارثة ومناكحة مخالفينهم ، لأنهم مسلمون موحدون ، يقرون بالقرآن ويقرءونه ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ، فهم بذلك مسلمون في الجملة وإن ضلوا بالتأويل الذي تشبه لهم ، فلا يخرجون بذلك عن حكم المسلمين في الجملة .

ومن مذهب الإباضية بعمان عدم الرضا بالفتك بمن خالف المذهب ولا قتلهم في السر ، وإن كانوا ضلالاً ، لأن الله لم يأمر به في كتابه ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، أى أن المشركين في مكة كانوا اضطهدوا المسلمين ، وفي إمكانهم قتلهم غيلة لو أرادوا ، لكنهم لم يفعلوا ذلك فكيف نفعله نحن الآن بأهل قبلتنا ، وقد أمر الله عز وجل نبيه أن ينبذ إليهم على سواء ، فقال : (وإما تخافن من قوم خيانه فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) .

ومن مذهب أهل عمان جواز مناكحة قومنا ، وكذلك موارثتهم ، ويخالفون لمن أجاز الفتك بقومنا واغتيالهم ، ومن أجاز قذفهم بالزنى ، فما داموا يستقبلون قبلتنا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، لأنهم مسلمون في الجملة ، وقد كان المسلمون يناكحون المنافقين ، ويظهر من المنافقين من المعاصي أكثر مما يظهر اليوم من كثير من قومنا ، وكيف يحسب أن يقذف أحد بالزنى بما لم يفعل خلافاً للخوارج الذين يستحلون ذلك ، والله يقول الحق ويأمر به ، والقذف بالزنى بغير حق قول بغير علم ، والخوارج يستحلون ذلك ، وهم مضلون لأنه تقول على عباد الله بما لم يفعلوا .

ويحرم المذهب الإباضى على المسلم مهما كان القول بتحليل الزنى ويبرأ منه ويعاديه ، لأنه مصادم للنص القرآنى ، هذا إذا كان متأولاً ، أما إذا كان مصادماً للنص فهو مشرك حلال الدم والمال ، ولا يرى المذهب الإباضى استعراض أحد بالسيف ما دام يستقبل القبلة ويتظاهر بامتثاله لأوامر الدين ، ولو كان على ضدها في الباطن .

ولا يرضى المذهب العماني قتل الأطفال مهما كانوا أغنى أطفال الكفار ، لأنهم لا تكليف عليهم ولا توجه اليهم خطاب التكليف ، لا سيما فإن الرسول عليه الصلاة والسلام سأل الله في اللاهين فأعطاه إياهم خدماً لأهل الجنة ، ذلك لأن الله عدل لا يجوز عليه أن يعاقب من لم يعصه ، والأطفال لم يتبين منهم عصيان ، ولأن الفطرة الدينية شاملة لهم . والمراد باللاهين أطفال المشركين ، وسموا لاهين أى غافلين أى لم يتوجه اليهم خطاب الشارع ، فكيف يعاقبون على غير آثام اقترفوها ، وليس من العدل عقوبة غير المستحق ، والله العادل الحقيقي ، وهذا هو الشائع في أطفال المشركين ، وجاء فيهم غير ذلك مما أشار إليه قوله عز وجل : (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ونحوها ، والله أعلم بما كانوا عاملين أن لو عاشوا ، وعلى كل حال لا يصح قتلهم ما داموا أطفالاً ما لم يقاتلوا ، ومن قاتل منهم يقتل .

ولا يستحل المذهب الإباضي فرج امرأة رجل تزوجها بكتاب الله وسنة نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، حتى يطلقها وتعتد منه عدة الطلاق أو يموت عنها ، فتعتد منه عدة الوفاة ، ولا يقول المذهب بالهجرة من دار قومنا لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من دار قومه ، لأنه أمر بذلك ولم تؤمر نحن بذلك ، ومن خرج من دار قومه حاجاً أو زائراً أو طالب علم أو مجاهداً في سبيل الله ، ثم عاد الى دار قومه بيراً منه إن سبقت له ولاية ، إذ لا يلزم أحداً أن ينتقل من داره التي كان فيها لما كان بها من الشرك ، فكأنه اختارها على دار الاسلام ، ولا يتولى أهل المذهب إلا من علموا منه الوفاء بدين الله ، وأداء الواجب من حق الله عز وجل ، ويبرءون من المصرين على المعاصي من أهل دعوتنا ، لأن المقصود بالذات

الحق وحدة ، حتى إذا تاب العاصي ورجع عن عصيانه ، وأتاب الى الله كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم على العموم ، وليس للنفر القليلين المستضعفين أن يبايعوا إماماً إلا على الجهاد لأعداء الله ، وإقامة شعائر الدين والقيام بحقوق الاسلام ، وإلا كانت بيعتهم رداً عليهم ، فإذا بايعوا إمامهم على الطاعة لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليس لهم الرجوع عن ذلك أبداً حتى يهلكوا في سبيل الله أو يظهروا على عدوهم ، لأن ما عقد على طاعة لا يجوز الرجوع فيه قبلى تحقق العجز ، ومن باع نفسه لله فعليه الوفاء ببيعته لله : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية .

وولاية من علم صلاحه في الدين واستقامته على منهج المسلمين تجب ولايته أياً كان ولو لم ندركه ، ولو كان من الأمم الأولى لعموم الدليل الوارد في المقام بنصه العام إذا قامت الحجة بعدالته ، وكذلك من كان من أهل الظلم أياً كانوا ، وفي أى زمان كانوا منا أو غيرنا في وقتنا أو قبلنا .

ومن مذهب أهل عمان البراءة من كل ظلم ، والوية لكل محق ، ولا يسبون المذاهب الأخرى ، ولا يقولون فيها انها خارجة عن حدود الإيمان ، ولا ينفرون عن خالفهم ، ولا يسمعون أهل الأهواء في أضرارهم ، ويكلون أمرهم الى خالفهم ، ولا يطيعون الملوك الجورة إلا تقية لهم ، ولا يجبرون أحداً على مذهبهم مهما كانت الغلبة لهم ، ولا يزيدون في الأمور الشرعية شيئاً لم يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام ولا الخلفاء الراشدون ، سواء كان في الأذان أو في الإقامة ، أو في سائر الصلاة .

ويرضى المذهب العماني من المذاهب الأخرى أن يكفوا عن سب أى أحد من الصحابة ، وألا يقدحوا في مذهب المسلمين ، وألا ينكروا الحق

ولا يعينوا الظالم في ظلمه ، لا يصرفوا تأويل القرآن الى مقتضى أهويتهم ، ولا مبرر لهم ولا دليل على ذلك لديهم ، كما صرف بعض أهل المذاهب تأويل ثلث القرآن أو قريب منه في على بن أبي طالب وأولاده بغير دليل ، وألا يقدر الشيعية في أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين . وألا يقول الخوارج على الله إلا الحق ، ولا يرغبوا عن سبيل المسلمين ، وألا يطعنوا في أحكامهم ، وأن يحسنوا الظن بالمسلمين ، وألا يعارض المرجئة عقيدة أهل الحق : ولا يتدخلوا في الضعفاء فيضلونهم بغير علم ، فإن الدين قول وعمل واعتقاد . ولا يكفى واحد عن الاثنين إذا قامت الحجة على ذلك ، وإلا كانوا أضر على الاسلام من اليهود والنصارى ، وأن يبرأ الناس من دعاة الظلم وأعوانهم ، وعلى الأقل لا يبرعوا ممن تولاه الإباضية ، ولا يتولوا من برعوا منه ، وعلى أقل الأقل إن رأوا ذلك ألا يظهره للمسلمين ، وإلا يفارقوا أهل الحق مهما كانوا أقوىاء أو ضعفاء ، وأن يوقنوا بحكم القرآن ولا يعترضوا على المسلمين في سبيل دعوتهم الى الله ، وألا يقدرحوا في أئمة المسلمين وعلمائهم ، وألا يسفها أحلامهم ، وألا يعينوا بفاة الأمة على المحقين منهم ، فإن إغاثة الباغى تفضى الى الكفر ، وألا يؤووا ولا يناصروا أحداً قام المسلمون عليه ، فإن مآواته مناصرة له .

ويكتفى العمانيون من سائر فرق الإسلام ألا يعترضوا عليهم في أحكامهم ، ولا يكونوا حجر عثرة لهم في سبيل سيرهم الى الله عز وجل ، ويرضى الإباضية من أهل البدع الضالة أن يستقروا بدعتهم ، ولا يظهرها وسعنا بذلك السكوت عنهم وأمرهم إلى الله ، ويرضى الإباضية العمانيون من بقايا الناس أن يتقوا الله ربهم ، ولا يجعلوا حكمه عز وجل تبعاً لحكمهم ، بل الله يحكم لا معقب لحكمه ، وألا يتمسكوا بطاعة قوم ضلوا

أم اهدتوا وألا يتابعوا عاصى الله عز و علا ، وألا يركنوا إلى الظالم ، فإن الله نهى عن الركون إلى الظلمة وألا يعينوا باغياً على محق ، ولا عذر لهم في الجهل ، بل أقل ما يلزمهم الوقوف عما لا يعلمون ، فإن الله لم يأذن لأحد أن يعطى عهده من يعصى أمره .

والإباضية العمانيون يدعون أن يطاع الله ولا يعصى في قليل ولا جليل ، وأن يحل كل حلاله ويحرم كل حرامه مهما كان ، وألا يستهان بالحقوق الدينية أو الإنسانية ، وأن يقدم في الأحكام كتاب الله على غيره ، وأن يعمل بسنة الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وسنة خلفائه الراشدين ، ليس للإباضية الغلو في الدين أو الغشم على المسلمين ، ولا التعدي على أهل القبلة في قتل ولا نكير ، فأموال البغاة لهم ، ولا تحل غنيمتهم ولا سبى ذراريهم بما عندهم من الاسلام ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أباح ذلك منهم ، ولا فعله غيهم ولا خلفاءه الراشدين رحمهم الله ورضى عنهم ، وأن حكم المرتد معنا عن دينه حكم رسول الله فيه لا زيادة ولا نقصان ، إذ لم يسر غنا إلى جوار ربه إلا بعد كمال الدين : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فتم الدين بشهادة القرآن ، وكمل في أحواله كلها بشهادة سيد المرسلين ، تركتم على المحجة الواضحة ليلاً كنهارها ، لا جهل ولا تجاهل ، إنا نحرم حرام الله في كل أحوالنا إلا ما اضرنا إليه ، ونحل ما حلل الله لنا في عسرنا ويسرنا في بلادنا أو بلاد قومنا ؛ وطعام الذين كفروا حل لنا بنص القرآن ، وطعامنا لهم كذلك أيضاً كما جاء في الكتاب العزيز ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مهما كان المطاع ، وفي كل زمان ندعو الى الله والى رسوله والى سيرة خلفائه الراشدين ، لا نرى أن نفارق شيئاً من ذلك ، لا نتبدل

للقوانين بالشرعية ، ولا نود أن يفارقنا قومنا من كانوا ومهما كانوا في
أى بقعة من الأرض ، ولا نقول في الدين بما لم يأذن به الله ، ولا نعتقد
الاستيواء القمود في حق الله عز وجل ، بل هو الملك والقهر والاستيلاء
لا غير ، ولا نقول الشفاعة لأهل الكبائر ، لأن هذا القول يناقض القرآن ،
ولا نقول بخروج العصاة من النار كذلك ، فإن هذا فيه النصوص
الحريجة ، ولا نقول إن الكفر كله معناه الشرك ، ولا نشرك أهل القبلة
بمعاصيهم ، ولا نرضى أن نتعدى ما حد الله لنا من الحدود ، ولا نقصر
في شيء منها ، فإن التقصير فيها من التعدي عليها ، ولا نرضى بالتهاون
فيها ، ولا نقول في صفات الله عز وجل إلا بما يناسب جلاله الأعظم ،
ولا نرضى انتقاص أى صفة من صفاته ولا نقيس صفته على صفات
مخلوقاته ، ولا نقول بنزوله ولا صعوده ولا حركته ولا سكونه في أى
شئ مما لا يليق بجلاله الأقدس وكماله الأنفس ، وأنه الواحد المالك الخالق
القادر الرازق الأول الآخر الحى القيوم ، ولا نقول بالشفاعة لأهل الكبائر
من العصاة ، لأنه دعاية باطلة وخدعة شيطانية لا يعول عليها إلا مغتر
بالهوى ، وأن للشيطان دسائس وعلينا أن نحذرهما في كل وقت لا نتزعزع
عن المنهج الحق لأجل الأهواء الضالة أو الجاهلة أو المخدوعة بالأهواء
المضلة ، نعوذ بالله منها •

قال إمامنا السالمى رحمه الله : الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن
إمامنا ، والسنة طريقنا ، وبيت الله الحرام قبلتنا ، والاسلام ديننا ، وهو
من الإيمان ، والإيمان من الاسلام ، والتقوى من الايمان ، والبر والوفاء
من الإيمان ، بعض ذلك من بعض على استكمال الإيمان بما فيه بمعنى ، أن
هذه الأشياء متلازمة لا ينفك بعضها من بعض ، ولا يغنى بعضها عن

بعض ، خلافاً للمرجئة ، ومن الإيمان إقامة حدوده والعمل بحقوقه ، ولا يثبت الإيمان بانتقاض فرائض الله ، لأن الإيمان العملى من الايمان الاعتقادى بمثابة الجسد من الروح ، أو الروح من الجسد ، لا يصح شىء منها إلا بكمال باقيها ، ولا إيمان لمن أقام على محارم الله ، وعروة الإيمان هى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله ، وأن ما جاء به حق ، والإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وبالكتاب وبالنبیین ، وبالجنة والنار ، وباتيان الساعة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإتيان الأول والتباعد من الثانى ، وإقامة الصلاة بمواقيتها ، والحضور لها فى الجماعة ، وإقامتها كما هى لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، وكل ذلك إيمان ، فإن خصال الإيمان إيمان ، والإيمان كما قدمنا اعتقادى وقولى وعملى كما هو مبسوط فى المطولات ، وخاصة التوحيد والإيمان كلها تحت قوله عز وجل : (ليس كمثله شىء) الآية فهذه هى المحيطة بكل التوحيد كما كشفنا ذلك فى سلم الاستقامة ولامية التوحيد ، وقد أغنى ذلك عن إعادته هنا ، وإنما ذكرنا هنا غالباً الإيمان العملى الذى عليه أهل عمان ، وبالأخص للفرق التى تجهل ما عليه أهل عمان فى العقيدة لعدم اطلاع الناس على ما عليه العمانيون ، لأن المشوهين من أعداء الدين قد نفروا الناس عن العمانيين بأنهم خوارج ، ولا يعلم أهل عمان ما بيث وراءهم من الأحاديث السيئة والأحداث الفاحشة ، وللحق أعداء وهم أهل الباطل ، وإذا لم يحارب الباطل وتحكم فى أعناقهم أسياف الحق ، فسرعان ما ترى الحق يهوى تحت أقدام الباطل ، والله لا يرضى لعباده الكفر ، وإن يشكروا يرضه لهم ، والله يعلم المفسد من المصلح .

ومن مذهب أهل عمان كما قال الامام : وجوب الجماعة فى الصلاة ،

ولا يؤمن لها ولا يقنت فيها ولا يقصر على المسح على الخفين ، قال أبو إسحاق : وذلك أن التأمين لم يثبت عند أصحابنا ، والقنوت لم يصح أو منسوخ ، وكذا المسح على الخفين منسوخ بآية الوضوء ، وأهل عمان يقولون من أصله لم يصح ، قال الامام : والقصر أى للصلاة في السفر دون الحضر ، وكذا الجمعة في الأمصار المصرة مطلقاً إذا أقيمت في وقتها ، وعلى شروطها الثابتة ، وعند أئمة العدل في الأمصار الغير المصرة إلى آخر خصال الإيمان أ ه .

سِلْسِلَةُ مَذْهَبِ أَهْلِ عَمَانَ

اعلم أن مذهب أهل عمان متصل من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بنقله وأئمة هداة وعلماء أثبات ، شهر مقامهم بين رجالات الإسلام ، وعرف مناهجهم بين قادة الأنام ، وما كان من ابن إباض رحمه الله ورعى عنه وما يتعلق بذلك ، فقد كشفنا ذلك كله كشفاً واضحاً في كتابنا « أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج » وذكرنا طبقات العلماء على إجمال الى عصرنا هذا ، ونذكر هنا ما يكون جمالا لتاريخ عمان كما ذكرنا قسماً مهماً منه أيضاً في كتابنا « العرى الوثيقة على كشف الحقيقة » والحمد لله الذي أعان عليهما .

وهنا نقول إن : مذهب أهل عمان تناقله غطاحل الرجال الذين هم في الدين أشهر من نار على علم ، وأول ناقل له الهمام مازن بن غضوبة السعدي ، وهو معروف في التاريخ العماني ، فهو صحابي عماني ، ثم كعب بن برشة الطاحي الصحابي ، ثم صهار بن العباس العبدى العماني الثالث ، ثم أبو شداد العماني الصحابي الرابع ، ثم عمرو بن العاص القرشي السهمي الصحابي الخامس .

هؤلاء الأسيخ الأجلاء والهداة الأدلاء ، والزعماء الأولون حملوا إلى عمان الدين الإسلامي ، وعلموا أهل عمان أصوله وفروعه وواجباته ولوازمه ومقتضياته ، وتفقه أهل عمان منهم قبل كل أحد ، وبعد ذلك انتشر الإسلام في عمان انتشار ضياء الشمس بعد الظلام ، حتى عم عمان أولها وآخرها ، ورسخ برجالها الأبطال وعلمائها الفطاحل كالإمام أبي

الشعشاء ، والإمام الربيع بن حبيب راوى المسند الصحيح ، وضمام بن السائب الندبى العمانى ، وجملة من أهل العلم العمانيين ، ومنهم سبعون راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص إلى المدينة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيهم عبد بن الجلندى سيدهم وزعيمهم •

ومن نقلة العلم من أهل عمان إلى عمان وإلى العراق كثيرون لا يحصون عدداً إلا أن طبقاتهم متفاوتة ، أما عن نقلوا فقد نقلوا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقلوا عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ، ونقلوا عن عائشة أم المؤمنين السيدة المصونة التى تحوى شطر الدين عن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، ونقلوا أيضا عن العبادلة الثلاثة ، وهم عبد الله بن العباس حبر الأمة وبحرها الزخار ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ونقلوا أيضا عن أنس بن مالك وأبى هريرة رواية الدين ، وعن أبى سعيد الخدرى ، وعن عبد الرحمن بن عوف أيضا كذلك ، وعن عمار بن ياسر ، وعن عبد الله بن مسعود حضيرة الفقه : وعن أبى ذر ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وسلمان سيد الفرس ، وصهيب إمام الثورى ، وزيد بن صوحان المقتول شهيداً يوم الجمل ، ونقلوا أيضا عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، وعن محمد وعبد الله ابنى بديل ، وحرقوص بن زهير السعدى أحد المشهود لهم بالجنة ، وعن زيد حصن الطائى الذى نعتة عائشة المقتول فى النهروان •

قال الإمام السالمى رحمه الله : هؤلاء الذين ذكرهم أبو المؤثر ،

قلت : وهم علماء الصحابة وسادة أمة الإجابة رحمهم الله ورضى عنهم .
قال : ولأصحابنا نقل كثير عن غيرهم ، لكن قال أبو المؤثر رحمه الله :
إنهم أخذوا أيضا عن كثير من رجال العلم وأعمدة الحق من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن أنكروا المنكر على أهله ، وممن
شهد يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين ، وممن شهد النهروان مع
المسلمين ، وممن لم يشهد هذه المشاهد ممن مات على دينهم ومن مات
قبل اختلاف الأمة ، فهم أئمتنا وأولياؤنا رحمهم الله ، لا ينكر فضلهم
ولا يبجل شرفهم .

ثم بعد الطبقة الثانية وهم : عبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه
الذين جاهدوا معه يوم النهروان حتى استشهدوا رحمهم الله على الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم أهل الطبقة الثالثة وهم : فروة بن نوفل الأشجعي ، ووداع
بن حوثره الأسدي ومن كان معهما يوم النخيلة رحمهم الله .

ثم أهل الطبقة الرابعة ، وهم : قرييب ، والزحاف وأصحابهما
الذين جاهدوا في الله حق جهاده ذكرهم الامام أبو إسحاق الحضرمي .

ثم أهل الطبقة الخامسة وهم : المرداس بن حُدَير ، وأخوه عروة
ومن معهما وهم الأربعة الذين شاع ذكرهم في عالم الاسلام بكل فضل
في الدين ، ومن باعوا نفوسهم لله حتى سألت أنفسهم على الحق .

ثم الطبقة السادسة وهم : عبد الله بن إياض ، وأبو الشعثاء جابر
بن زيد ، وصحار بن العباس العبد ، وجعفر بن السماك ، وحاتت بن كاتب ،
وأبو عبيدة الضير وهو أبو عبيدة الكبير العالم النحرير ، وأبو نوح صالح
بن نوح الدهان .

ثم الطبقة السابعة وهم : عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق إمام أهل اليمن ومن معه من الرجال كالمختار بن عوف المعروف بأبي حمزة أحد أبطال العلم ، وأقيال السنان ، وأبو الحر على بن الحصين ، ومن استشهد معهم في جهاد أهل البغي رحمهم الله .

ثم الطبقة الثامنة وهم : بن حبيب بن عمرو والفراهيدي البصرى ، وضمام بن السائب الندبى ، وأبو منصور الخراسانى ومن معهم في أيامهم .

ثم الطبقة التاسعة وهم : الجلندى بن مسعود الامام ، وأبو الخطاب إمام أهل المغرب ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسى ، ومن كان في طبقتهم وهم أفاضل الأمة في زمانهم .

ثم الطبقة العاشرة وهم : محبوب بن الرحيل ، وهاشم بن عبد الله الخراسانى ، وموسى بن أبى جابر ، وبشير بن المنذر ، ومنير بن النير الجعلانى ، وهشام بن المهاجر ، وعبد الله بن أبى قيس ، وسعيد بن المبشر ، وعلى بن عزرة ، وهاشم بن غيلان ، وسليمان بن عثمان ، وعبد المقتدر بن الحكم ، ومحمد بن هاشم بن غيلان ، وموسى بن على ، وسعيد بن محرز ، والوضاح ابن عقبة وأضرابهم ، فهؤلاء الأئمة الأجلاء والأساطين الفخام هم مقدمة رجال الإباضية الذين هم معروفون في السماء ، وإن أنكروهم أهل الأرض يأخذ بعضهم عن بعض من معاصريهم وغيرهم ، ذكرناهم لا على الترتيب الزمنى كما ينبغى ، لأن هذا يحتاج إلى فراغ واسع يأتى على ذكر منازلهم العلمية ، وطبقاتهم الزمنية وأسمائهم القبائلية ، وأعمالهم العلمية ومؤلفاتهم الثمينة التى يحق لها أن تكتب بماء الذهب على وجنات الحور ، فقد قاموا رحمهم الله ورضى

عنهم مقاماً يحق له الإكبار ، وجاهدوا واجتهدوا في حق دين الله عز وجل ، وأدوا واجبهم حتى انقضت أيامهم ، وجاء من بعدهم من أقاموا منار الدين ، وكشفوا عن منهج سيد المرسلين ، وابتلوا بالأمة حيناً من الدهر ، والله يجزيهم رضاه ويهديهم إليه سبيلاً (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سلبنا وإن الله لمح المحسنين) أما ذكر أئمة كل قرن على حدة فهذا شاق إذ ما من قرن إلا ولأهل عمان فيه علماء عديدون ، وفقهاء كثيرون ، وعلماء عمان هم فقهاء الشريعة ، لم يتخصص منهم أحد في غير الفقه ، وإن نال بعضهم من غير الفقه حظاً فغالباً يكون ذلك كالنادر ، وقد اشتهر بالطب منهم جماعة كمحمد بن هاشم الطبيب الرستاقى المشهور ، وهو صاحب لأمية الطب ، وإن كان لبعضهم في الطب أيادٍ إلا أنها بالعنى المعروف عند العرب ، ولهم في الطب النبوى نصيب ، لأنه شرعى فهو في علوم الشريعة الرعيل الأول ، ومن يعدهم غيرهم من علماء الأمة ، فهم رواة الحديث ولهم فيه السبق على غيرهم فإن الامام الربيع بن حبيب أول من ألف فيه المسند الشهير بالجامع ، إذ جمع فيه أمهات الأحكام من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام ، وعليه بنى المسلمون قواعد مذعبهم الصحيح ، ولم يذكره المؤرخون لعدم اطلاعهم عليه ، فإنه لم ينشر وبالأخص لم يطبع ، فانظر ما يقوله العلامة التتوخى فيه ، ولهم في علوم الأدب المقام الأكبر بالخليل ابن أحمد الفراهيدى ، وابن دريد وأضرابهم ، وفي التاريخ كذلك إلا أن غيرهم فيه لهم أكبر اعتناء وأعظم عمل كابن الأثير وابن خلدون والطبرى وغيرهم .

وإذا أردنا أن نذكر علماء عمان في كل قرن أعنى مشاهيرهم الأجلاء فالإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، وأبو عبيدة ومن

معهم ، فهم علماء القرن الأول للهجرة • ولا يرد علينا أن هؤلاء بصريون بل يقول هم عمانيون بغير شك ، وإن أقاموا بالبصرة فقد صارت البصرة عمانية بكل معنى الكلمة ، إذ كان علماءها هؤلاء ، وهم عمانيون ، وأميرها المهلب بن أبي صفرة وهو عماني بغير شك ، فهي عمانية به وبقومه الأزدي من أهل عمان •

أما علماء القرن الثاني فهؤلاء وآخرون جاءوا من بعدهم : فإن الامام الجلندي بن مسعود رحمه الله في أول القرن الثاني كما سوف تراه في محله إن شاء الله ، قال الامام رحمه الله وهو يذكر الامام الجلندي قال قال : أبو الحسن البسياني ، وكان في أيامه ، أى الامام الجلندي حاجب ، والربيع ابن حبيب بالعراق ، وعبد الله بن القاسم ، وهلال بن عطية الخراساني وخلف بن زياد البحراني ، وشبيب بن عطية العماني ، وموسى بن أبي جابر الأركاني ، وبشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلائي ، وهو من بنى حضرمي بن ريام قتل رحمه الله في وقعة دما من الباطنة أيام ابن بور ، قال : وكان هؤلاء بعضهم أكبر من بعض ، واقتدى بعضهم ببعض ، ومنهم الحسن بن عقبة ، والوليد بن خالد ، وموسى بن سعيد ، وجعفر بن بشير ، ومعين بن عمر ، ولوط بن سام ، وحميم بن المغير ، والهمام بن المجلس ، والنير بن عبد الملك ، وعبد الله بن أبي ، وعمام بن همام ، ومحمد بن عبد الله بن سوم ، وعمر بن يحيى ، وحמיד ابن عبد الله ، ويحيى بن يزيد ، وعمر بن عبد الله ، ثم وصفهم بأوصاف عظيمة عند المسلمين ستأتى إن شاء الله في إمامة الإمام الجلندي بن مسعود رحمهم الله ورضى عنهم •

قال : ومنهم أبو صالح الوضاح بن عقبة ، ويحيى بن نجيج ،

وكلهم عيالهم فقهه وأئمة هدى ، بل كاد أن يكون أيام الامام الجلندى كل أهل عمان علماء ، أو قل على الأقل أهل ذلك القرن .

ومن علماء القرن الثانى أيضا : شبيب بن عطية العماني الذى قام بالأمر احتساباً ، وكان من مشاهير أصحاب الامام الجلندى رحمهم الله ، وعبد الوهاب بن جيفر ، ومحمد بن عبد الله بن حساس ، وأبو جعفر سعيد بن محمد ، وسعيد بن محرز ، ومحمد بن محبوب الرحيلي القرشى ، ومحمد ابن هاشم ، وسبق ذكر أبيه هاشم بن غيلان ، والأشعث ، بن محمد ، ومحمد بن المعلى الكندى ، ومحمد بن عبد الله زميل الشيخ موسى بن على ، وعبد الله بن محمد بن روح ، ووائل بن أيوب ، والصلت بن خميس المعروف بأبى المؤثر البهلوى وهو خروصى النسب ، وعلى بن عزرة ، وسليمان بن عثمان ، ومسعدة بن تميم اللذان عقدا على الامام غسان بن عبد الله ، لأنه لما مات الامام الوارث رحمه الله قال سليمان بن عثمان : نريد أن نكتب لأهل السر بالحضور ، أى للعقد على الامام الثانى الذى يلى الوارث فقال مسعدة : يريد ابن عثمان أن تؤخر هذا الأمر الى أن يجتمع إلينا الناس ، أو قال غوغاء الناس فيختلفوا علينا ، بل نقطع الأمر قبل الاختلاف ، فإذا جاء الناس وجدوا الأمر مقضياً ، والأمور منتهية ، والأحوال قادرة على قرارها ، ومنهم هارون بن اليماني الشعبي الشهير فى أيام الإمام بالمهنا .

وأما علماء القرن الثالث فهم : هؤلاء المذكورون ومن التحق بهم ، وهم زيادة بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر والحكم بن بشير ، والأزهر بن على ، وعلى بن عزرة ، وجعفر بن زيادة ، وعبد الله بن أبى قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن هزبر ، والأشعث

ابن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وعمر بن الأخنس الذي صلى بالناس الجمعة •

مرض الامام الملك بن حميد اعتباراً لبقاء الامام ، إذ كانوا مجتمعين ، إذا مات الامام أقاموا عنه آخر مقامه ، فلم ير موسى بن علي رحمه الله النقض عليهم ، وكان العلماء يومئذ يعتبرونه الرئيس لهم ، وهو قدوتهم ، وراه ابن محبوب وهو الرئيس الثاني لأهل العلم ، وكان رأيه في القضية لأن كل واحد منهما يحمل على وجه من أقوال أهل العلم ، وبسط ذلك في الفقه ، ومن العلماء يومئذ صقر زائدة ، ومن العلماء العباس ابن زائدة ، وزياد بن مثوبة ، والمنذر بن بشير ، ورباط بن المنذر ، ومحمد ابن أبي حذيفة ، وهاشم بن الجهم ، وعبيد الله بن الحكيم ، وهؤلاء من جملة العاقدین للإمام الصلت بن مالك رحمهم الله ، ورئيسهم محمد ابن محبوب ، والشيخ أبو عبد الله بن محمد إبراهيم بن سليمان ، وعمر بن محمد الضبي ، وموسى بن محمد بن علي ، وغزان بن الهزير ، وزاهر بن محمد بن سليمان ، وغزان بن تميم ، وشاذان بن الصلت ، ومحمد بن عمر بن الأخنس ، وغدانة بن محمد ، وهؤلاء هم الذين بقوا متمسكين بإقامة الصلت بن مالك رحمه الله •

وبالجملة إذا ذهبنا إلى ذكر علماء عمان في كل قرن يضيق بنا الوقت ، فهؤلاء العلماء المعدودون ، وأولهم زياد بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر ، والحكم بن بشير ، إلى غدانة بن محمد ، هم إلى عهد الامام الصلت بن مالك ، والامام الصلت المذكور كان بويج بالإمامة لسته عشر خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فهو في صدر القرن الثالث ، وكان العلماء المشاهير الذين لهم في الأمة الحل والعقد لا يحصون

عدداً ، ثم طال عهد الصلت بن مالك ، إذ عاش في الإمامة إلى عهد سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، فكانت امامته خمساً وثلاثين سنة ، نشط فيها العلم وقوى سوقه ، وطالت أغصانه ، وأثمرت أيام الصلت بن مالك الثمر الحلو في عمان ، وانتشر العلماء في عمان ففى كل بلد تجد أجلة العلماء ، وغصت العواصم العمانية بهم ، وكان سلطان الإمامة بالغاً حده ، وعمان في ذرة الشرف وأهلها يتسابقون على العلم ، فحتى حماميرها وحطاطيها علماء ، إذ توالى أيام الإمام وازدهر عهدها ، وقامت لهم في أرجاء عمان ككبجة مشرقة ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

فلما طال العهد بالأمة ، وكانت من سنة الله تأديب عباده إذا أبطرتهم النعم ، فقاموا على الصلت بن مالك يحاولون خروجه من الأمر بغير قصور ولا تقصير ، والأمور في أيديهم ، والصلت كواحد منهم غير مختص بشيء دونهم إلا ما كان من خصائص الإمامة ، تجاسروا عليه حتى صارت أيامهم حديث سمر الناس ، وحيرة أهل الفضل ، ولم يزلوا على ذلك حتى تخلى الصلت رحمه الله من الأمر تسكيناً لسورة النافرين ، وإلقاء للأمر في نحورهم فعظمت محنتهم ، وجلت رزيتهم ، وأصبحوا في أزمة ضخمة ، واضطراب في القصد ، ولم يكن حلهم شافياً ، ولا عقدهم وافية ، حتى عرفوا بلية ما وقعوا فيه ، رزية الدين تحيط بهم ، فكان فيهم البصير مغلوباً ، وسنذكر ذلك إن شاء الله في محله .

ولقد اعتذرنا لك أيها القارىء الكريم بعذرنا عن ذكر عمان في كل قرن ، وعسى أن يمن الله علينا بالسعة فنذكرهم في سفر خاص بهم ، تخليداً لتذكركهم ، وإعتباراً بآثارهم ، ودعاية إلى أعمالهم ، والعلماء زينة الدهر ، وجمال الأيام ، ومجد عمان على الأقل ولنا فيهم :

قد زانت الأيام بالعلماء وهم أقمار ظلمتها وشمس نهارها
وهم بهم ينجاب غيم الغنى عن أفكارنا بالنور من أسرارها

نسأل الله الاقتداء بطريقتهم ، والتوفيق لسلوك سبيلهم ، والله
ولى التوفيق والتسديد •

ولا يخفى عليك أنا كنا معنيين هنا بسلسلة مذهب أهل عمان ، وعن
أخذوا بينهم ، وقد ذكرنا ذلك محققاً المصدر الأول ، وهو المصدر
الصحيح الذى يرده الكل من رجال الاسلام وبينا سبق أهل عمان إلى
خصال الخير قبل الغير ، وذكرنا أول ناقل للدين إلى عمان ، وأول معلم
لأهل عمان ، حتى مشى أهل عمان على المنهج الصحيح من أول أمرهم ،
وقد عملوا بما أوجب الله عليهم من إقامة الحق على سبيل الصديق
والفاروق ، وما زالوا على ذلك الحال إلا فى أيام الانقلابات التى تنزل
عليهم من أمراء الجور وملوك الظلم ، إلا أنهم لا يرضخون لهم رضوخ
الجانم ، أو يسكنون معهم سكنون النائم ، وإنما هم على حكم التقية حتى
تلوح لهم الفرصة المواتية ، فإذا رأوها هبوا لأخذها وعملوا اللازم فيها ،
ولم يضيعوها كما سوف يرى القارئ إن شاء الله لهذا التاريخ ذلك ،
ويرى أعمالهم فيه صحيحة المآخذ والحمد لله •

أما من عدا أهل عمان فمنذ تولى الأمر معاوية بن أبى سفيان ، هم
عبيد الملوك ، جاروا أم عدلوا ، ومتى يعدلون وهم عبيد الشهوات ، وأسارى
الأهواء ، ومماليك الرغبات النفسية ، وبذلك يضمحل الدين ويتمزق شمل
الاسلام ، وتنشأ الناشئة لا ترى إلا سلطاناً تقول له لبيك وسعديك والخير
كله فى يديك ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العون والهداية للطريق
المستقيم ، إنه كريم •

هذا هو الفارق بين أهل عمان وغيرهم من أمم الاسلام ، نعم يشارك أهل عمان في هذا الحال إخوانهم أهل المغرب الذين أقاموا منار الدين بأئمة عدول ، وأبطال فحول ، في الصدر الأول ، حتى ذهب ذلك منهم ، وكذلك أباضية اليمن وحضرموت ، أخذوا على ذلك الحال عهداً ، وبقيت دروسه يتناقلها الخلف عن السلف ، وهكذا ، وإحياء سير الرسول عليه الصلاة والسلام على الأسلوب الصحيح ، وقانونها الرجيح ، أمر مفروض على الأمة عند الاستطاعة ، وتوفر الأسباب ، وما زال أهل عمان في ذلك على وتيرة الصحابة رضوان الله عليهم :

تعاقبت خلفاء الله منصبها منذ الجلندي وختم الكل عزان

فأول إمام بعمان هو الجلندي بن مسعود الجلنداني ، وآخرهم عزان بن قيس البوسعيدي ، ثم تلاها في هذه الآونة التي نحن بها الإمام سالم بن راشد ، ومحمد بن عبد الله ، ويعرف الأول بالخروصي ، والثاني بالخليلي ، وكلاهما خروصي .

وسترى أيها القارئ في عمان قيام علمائها على أئمة الجور من أهل عمان وغيرهم ، وترى الأئمة الأتقياء الأبرار الذين لهم في عمان الحل والعقد على نهج عمر بن الخطاب وأبي بكر رضى الله عنهم ، حتى تعلم أن الإباضية هم عمدة الدين ، وبهم يعيش ما عاش ، وهم الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة ، لثباتهم على ما كان عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر الخلفاء الراشدين ، أما من عدا الإباضية وبالأخص منهم الذين لا يجيزون الخروج على أئمة الجور ، الذين يتولون الأمور ويمشون فيها بحسب هواهم ، فليسوا من الدين في شيء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الناس على دين ملوكهم ،

وأنت تدري أن بعض الملوك غالباً على دين نزواتهم فاذاً يكون الناس على دين النزوات نعوز بالله • أما الإباضية فيعتمون طبعاً ويهتمون شرعاً إذا صار الأمر بيد ملوك هذا شأنهم ، أما أولئك فينامون تحت ظل الملوك نوم الوداع المطمئن ولا يبالون ، وأما الإباضية فيتململون مع تلمل السليم ، ويتأوهون على ذلك تأوه المصدور حتى يروا استقامة الأمير واطمئنان الأمور ، فانظر الفرق بين الحالين واحكم بالحق ، وربنا المستعان على ما تصفون •

كلمة إجمالية على امراء بنى أمية

لا يخفى المطلع الخبير أن الحجاج بن يوسف ، تولى عمان في خلافة عبد الملك بن مروان ، وأن عبد الملك تولى الأمر لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة ، وبقيت عمان تحت أمر الحجاج يديرها عماله وتصرفها أعماله ، وأهل عمان تحت قهره ثم توفي عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ في شهر شوال ، وقام بالأمر بعده ولده الوليد بن عبد الملك في هذه الأثناء ، كان ابن الزبير في مكة ببيع له بالخلافة فيها قبل عبد الملك بن مروان بسنتين ، فتكون بيعته سنة ٦٤ في شهر رجب ، وذلك في آخر أيام يزيد بن معاوية ، ومضى الوليد في خلافته إلى سنة ٩٦ في النصف من شهر جمادى الآخرة ، وأمر عمان في يد عمال الحجاج الذين يتخالفون عليها ، ثم تولى سليمان بن عبد الملك بعد موت أخيه ومضى إلى سنة ٩٨ ، وقيل إلى سنة ٩٩ وتولى بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو سيد بنى أمية كلهم رحمه الله ، كان إماماً صادق الامامة ، تقياً رضيعاً قام على سوات بنى أمية يمحققها الواحدة بعد الأخرى ، وأعاد السيرة العمرية في طريقها الصحيح ، ومشى على ذلك إلى أن توفي رحمه الله بخمس بقين ، بل لخمس ماضين ، وقيل لست ماضين من رجب الفرد ، وقيل لعشر يقين منه سنة ١٠١ إحدى ومائة ، وهو في أول شبابه ابن تسع وثلاثين ، وقيل أربعين سنة ، وهو الذى استعمل على العراق عدى بن أرطاة الغزاري ، واستعمل عدى المذكور على عمان عمالاً أساءوا السيرة في أهلها ، فقام العمانيون وبلغوا الأمر إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمر بعزلهم واستعمل بدلهم على عمان بن عبد الله الأنصاري ، فأحسن السيرة في أهل عمان ، قال الامام : فلم يزل

والياً على عمان مكرماً بين أهلها ، نافذ الأمر فيهم ، وهم سامعون مطيعون ، ولم لا يكون أهل عمان سامعين مطيعين ، وخليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز ، وهو العبد الصالح من بنى أمية .

وأهل عمان لا زالوا خاضعين لأهل الصلاح منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فعاش فيهم عمرو بن العاص ، ولم ير منهم إلا ما سره وهكذا من بعده إلا أنهم ينفرون من الجورة ولا يرون لهم طاعة تبعاً للقرآن الكريم ، كما جاء فيه النص في اجتناب الظالمين وأعاونهم ، والتباعد منهم ، قال الامام ، وما زال عمر بن عبد الله الأنصاري في عمان يستوفي الصدقات منهم بطيبة أنفسهم حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر بن عبد الله لزياد بن المهلب : هذه البلاد بلاد قومك فشتأك بها ، وخرج عمر بن عبد الله من عمان غير معزول ولا مرغوب في خروجه لحسن سيرته ، وقام زياد بن المهلب في عمان حتى ظهر أبو العباس السفاح ، وصار ملك بنى أمية إليه لا يخفى أنه بعد موت عمر بن عبد العزيز ، تولى الأمر يزيد بن عبد الملك ، وهو الذي أراد أن يسير في الناس سيرة عمر بن عبد العزيز ، وقد أعلن للأمة بذلك ، فقام له من دمشق أربعون رجلاً من أعيانهم ، وقالوا له لا تفعل هكذا وامض على وجهك ، فإن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عقاب في الآخرة ، حيث هم قائمون بأمر الأمة مجاهدون ومجتهدون ، وحلف له أربعون رجلاً على ذلك فخدعوه بذلك لأغراضهم الشخصية ، وهذه أعمال القوم مع ملوكهم ، وتلك أعمال الإباضية مع سلاطينهم ، فانظروا أيها الناس كيف يلعب الشيطان بأهل الأهواء حتى يرمى بهم في البحر العميق الذي لا يخرجون منه ، فسرعان ما تبدل الحال في المسلمين بموت عمر بن عبد العزيز ، إلى يزيد المذكور ، ولم يبق الحال إلا أربعين يوماً إلى أن رجعت الأمور

القهقري ، وانهمك في حباية وأمثالها ، وغدا مغرمًا باللهو واللعب والسفه المفرط ، وهذا هو الذي أشار إليه أبو حمزة المختار بن عوف حين خطب في الناس خطبته المشهورة ، وصرح بأفعال المشار إليه ولهوه وطربه ، ولعبه بالأموال فتلك أحوال الإباضية عند هؤلاء الملوك الجورة الفسقة : فأين الثريا وأين الثرى ، إنه لبون بعيد وفرق كبير حفظه لنا التاريخ لمن يأتي فيعتبر •

ولما مات يزيد المذكور وولى بعده هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ مائة وخمس لخمس بقين من شعبان ، ومشى هشام في المسلمين على نهج من قبله من إخوانه حتى توفي في شهر ربيع الآخر بالرصافة سنة ١٢٥ خمس وعشرين ومائة ، ثم تولى الأمر بعده الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، وكان معروفاً بالفسق إذ كان فاسقا خليعا بالغاً في الفسق الغاية القصوى ، إذ كان يجعل للخمر حياضاً وللخلاعة غياضاً ، وللسفه موارد ومصادر وهو الذي قتله أهل دمشق ، إذ كان مستهتراً إلى حد بعيد ، وقد جمع مع الفسق الزندقة وتظاهر بالكفر الصريح ، وهو الذي لما تمكن السكر منه حلف ألا يصلى بالناس إلا امراته ، فأخرجها لابسة ثيابه ، وهى سكرى جنب فصلت بهم ، وكان بنى للخمر بركة عظيمة ، ومشى على هذا الحال وهو أمير المؤمنين ، فمن ياترى هؤلاء المؤمنين وهذا أميرهم ، فماذا يكون حالهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون •

كان إذا أجنب هذا الخبيث ينزل إلى بركة الخمر يغتسل من الجنابة ويشرب ويلعب فيها حتى يرى أن جانباً منها نزل ، وحينئذ يخرج من المغتسل ثم أرسل الله عليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص ، فأحاط به في تدمر فكان فيها دماره حتى قبضوا عليه وذبحوا

كما يذبح الثور ، واجتروا رأسه وأتوا به على رمح ، ثم نصبوه في مدينة دمشق ليراه الناس ، ثم بايعوا يزيد المذكور وهو ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ١٢٦ ست وعشرين ومائة ، وعرف بالمناقص لأنه نقص الأعطيات ، وردّها على ما كانت عليه أيام هشام ، وقيل لنقصان في أصابع رجله ، وكان يتنسك ويميل إلى الدين والأخلاق الصالحة ، ولكنه لم تطل أيامه ، إذ كان الداعي حثيثاً فمات في ثمانية من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وتولى الأمر بعده إبراهيم بن الوليد أخو يزيد ، وكان الأمر مضطرباً والأمور في تقهقر وانحطاط ، وانهار صروح الإمارة الأموية من كل جانب ، فكان في جمعة يسلم عليه بالخلافة ، وفي جمعة بالإمارة ، وفي جمعة لا يسلم عليه بشيء ، وهكذا كانت أموره متناثرة على وشك الاضمحلال ، ولله أمر هو بالغه ، وحكم هو نافذه .

فكانت خلافته شهرين وعشرة أيام ، ثم قام عليه مروان بن محمد المنبوذ بالحمار ، أي كان يلقب بالحمار ، وهذا آخر خلفاء بني أمية ، فأقام الله له أبا العباس السفاح عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي ، وظهر أبو مسلم الخراساني ، وقام الشر العباسي ليأخذ الثأر من العنصر الأموي للذي طالما لعب دوره الخاسر ، ومشى شوطه الفاجر ، ولا شك أن لكل شيء غاية إليها الانتهاء ، فكان انتهاء أمر بني أمية بهذا ، وكل هذا الحال الذي ذكرناه ، وعمان في يد أهلها من آل المهلب ، وإدارة شئوننا إلى رجال الأزدي دون غيرهم ، إذ هم سادتها وييدهم زمامها ، وقد أسفل الله عنها هؤلاء الأمراء الأمويين ، فلم يكن لهم فيها حل ولا عقد ، بعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

قال كمال الدين الدميرى : ظهر أبو مسلم الخراسانى وظهر أبو العباس السفاح بالكوفة ، وبويع له بالخلافة وجهازه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس لقتال مروان بن محمد المذكور المعروف بالجمدى ، والمنبوذ بالحصار ، فالتقى الجمعان بزباب الموصل واقتتلوا قتالا شديداً فانهمز مروان ، وقتل من عسكره خلق كثير ، وغرق منهم فى البحر كثيرون ، قال : وتبعه عبد الله الى أن وصل الى نهر الأردن ، فلقى جماعة من بنى أمية وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، فقتلهم عن آخرهم ، ثم أمر عبد الله بسحبهم على الأرض فسحبوا وبسط عليهم بساطاً ، وجلس هو وأصحابه فوقهم ، ودعا بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم ، فقال عبد الله يوم كيوم الحسين ولا سوى ، ثم جهز عمه صالح بن علي طريق السماوة فلحق بأخيه عبد الله ، وقد نزل دمشق ففتحتها عنوة وأباحها ثلاثة أيام ، قال ونقض عبد الله سورها حجراً حجراً ، وهرب مروان الى مصر فتبعه صالح ، وإذا بالمنهمز لا يتحدث إلا بالهزيمة والناس تتخاذل عنه وأموره تهوى ، وصروح بنى أمية تنهار وبرك الخمر قد آن جفافها ، وكان هذا الحال ينتظر من آل علي بن أبى طالب وهم الذين وترهم بنو أمية ، فلم يكن ذلك منهم لحكمة بديعة ، بل كان من آل الحبر ، وكان قتل مروان فى أبو صير ، وهى من قرى الصعيد ، قال : وكان قصده الحبشة فبيتوه وعاجلوه ، فقيل لما ضرب قال انقرضت دولتنا ، أى لا تقوم منا قائمة : وكان بطلاً شجاعاً مقداماً ، وكان قتله سنة ١٣٣ ، وكانت خلافته خمس سنين وشهرين وعشرة أيام ، وبدأت الدولة الجديدة تضع أطنابها وتمد رواقها حتى تأخذ عهداً .

(وتلك الأيام نداولها بين الناس) وفى التاريخ المعتبر للمعاقل والله

عمان تتخضر لتستقل عن الزعامة العامة

لما رأى العمانيون تدهور صرح الأمويين ، ورأوا أن الله أذن بزوال ملكهم وانحلال سلطانهم الفاشم ، قاموا يديرون السرى بينهم فى الانفصال عن القوم ، فرأوا أن نطاق الاسلام قد توسع ، وأن رواقه قد امتد ، وأن سلطانه قد قوى ودخل فى حضيرته ملوك ، واصطلم ممالك واحتوى على أقليم وقهر على أمراء ممالك عديدة ، ورأوا أن سلطان المسلمين العام ظالما وقد نأى عن سائر بلاد الاسلام ، واستقل الأمراء فى إماراتهم كحكام وملوك فى الأقطار النائبة ، حيث أصبح الاسلام يشمل أهل المشرق والمغرب ، وتفرقت فيه المذاهب وتعددت إليها المذاهب ، رأى العمانيون ضرورة إقامة إمام لهم ، ونظروا فىمن هو الأصلح لهذا الأمر الجسيم والعبء الثقيل الذى لا يقدر على حمله إلا أفراد ، حتى وقعت خيرتهم على الجلندى بن مسعود ابن جلندى الجلندانى : حيث اجتمعت فيه الخصال المطلوبة إذ كان من بقية ملوك عمان ، وإليهم كتب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى إسلام أهل عمان ، كما عرفت ذلك مما سبق من أخبارهم ، وقد جمع الجلندى شرف العلم والتقوى وخالص الايمان ، وقل أن تجتمع هذه الخصال مع الشجاعة والصلابة فى الدين ، وكان الجلندى بن مسعود من تلامذة أبى عبيدة رضى الله عنه ، وحضر بيعة الامام طالب الحق فى اليمن ، ثم رجع الى عمان فوَقعت خيرة المسلمين عليه ، فبايعه أهل عمان بيعة ورضوا به إماماً للكل ، ولم يعترض على البيعة له معترض فيما علمنا ، وأهل عمان كإخوانهم من أهل البلاد الأخرى لا يرضون لدينهم إلا الصالح ، إذ كانوا على منهج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى منهج عبد الله بن وهب الراسبى إمام

أهل النهروان ، وأصحابه الميامين الأصفياء المخلصين الذين لا يرون لهم حياة صالحة إلا تحت راية الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الخق إلا الضلال ، وقد علمت أن الله جعل الحق في الأمة حجة عليها ، فإن قاموا بواجب الحق نجوا عند الإله الواحد الأحد ، وإلا فقد تمت الحجة عليهم والله لا يضيع الحق بالباطل حاشاه .

تاريخ البيعة للإمام الجلندى بن مسعود رحمه الله

١- تحقق للعمانيين صحة صلاحية الجلندى للإمامة العليا ، اجتمعوا عليه وطالبوه أن يكون إماماً قائماً بأمرهم الدنيوية والدينية ، وكان أهل المذهب كلهم متحركين لنصب الإمامة ، وقد تحقق قام طالب الحق عبد الله ابن يحيى إماماً لإباضية اليمن ، وفى نفس الوقت بايع إباضية المغرب أبا الخطاب المعافرى كما علمت ، وكانت البيعة للجلندى رحمه الله فى سنة ١٣٢ اثنين وثلاثين ومائة ، وكان السفاح تولى الأمر بعد هذه المدة بسنة واحدة وبعض المؤرخين يرى إمامة الامام الجلندى كذلك وقعت سنة ١٣٣ ثلاث وثلاثين ومائة ، فتكون فى نفس السنة المذكورة ، والشهير هو الأول وهى سنة الامامة ، إذ كانت للإباضية قام ثلاثة أئمة فى ثلاثة أقطار العالم يقومون بأوامر الاسلام ، ويقيمون قواعده ويعملون بما فيه من الأحكام ، ويمشون على ضوئه فى الحلال والحرام ، فكانت لهم رنة فى العالم الاسلامى شرقاً ومغرباً ، واهتر العالم لهم هيبه ، وارتجت لعملهم هذا قلوب أعدائهم ، ونشطت النفوس المحبة لدين الله ، وأكبر الناس عملهم هذا أيما إكبار ، فخافهم الملوك المجاورون وحسداهم الأمم ، فلم تزل تنظر اليهم شزراً وتحاول هدم كيانهم هذا ، وردداهم عن التطاول فى العالم ، فتكون لهم سطوة عالية وسمعة دينية ، ويعلو شأنهم بين الأمم ، وكان اجتمع على إمامة الامام الجلندى رحمه الله علماء أجلاء وفضائل أئداء ، إذ كان أمرهم هذا فى ابتداء الامامة بعمان ، والأمور غير المألوفة تكون خيرة السامع ودهشة الرائي ، والاقدام عليها كبير لا سيما وأن الافتراق المذهبى قد بلغ شأوه .

قال الامام أبو الحسن البسياني : وقد أجمعوا على إمامة الامام
الجلندي بن مسعود وولايته والمجاهدة معه ، قال : وكان في أيامه أى
من علماء المسلمين : حاجب والربيع بن حبيب بالعراق ، أى بالبصرة
وعبد الله بن القاسم ، وهلال بن عطية العماني ، وخلف بن زياد
البحراني ، وشبيب بن عطية العماني ، وموسى بن أبى جابر الازكاني ،
وبشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلاني •

قال : وكان لهؤلاء بعضهم أكبر من بعض : واقتدى بعضهم ببعض ،
قال الامام في تحفة الأعيان : الامام الجلندي بن مسعود بن الجلندي
رضى الله عنه ، وهو أحد بنى الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن الحران
بن عبد عز بن معولة بن شمس ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم ،
وغلط من نسبه لغير ذلك ، قلت : لعل بعضا رآه من آل الجلندي بن كركر ،
وهذا من بنى سليمة بن مالك على الصحيح ، قال ولقد تقدم أن سبب
امامته أن أبا العباس السفاح ولى أخاه أبا جعفر المنصور على العراق ،
وولى المنصور على عمان جناح بن عبادة بن قيس الهنائي ، ثم عزله
وولى ولده محمد بن جناح ، فلان للمسلمين ووافقهم على ما يحبون حتى
صارت ولاية عمان لهم ، فعند ذلك عقدوا الامامة للجلندي بن مسعود ،
فكانت سببا لظهور الاسلام وقوة شوكته ، وكان عادلا مرضيا قلت :
سيأتى أن أهل عمان ما كانوا يفضلون عليه أحداً من أئمة عمان مع فضلهم
الذى اشتهروا به إلا أن يكون سعيد بن عبد الله بن محمد محبوب ،
فبعضهم يفضل الأول وبعضهم الثانى ، وبعضهم ساوى بينهما ، وفضل
الامام السالمى الجلندي على الكل ، إذ قال : قلت ولا أعدل بالجلندي اماما
بعمان ، فإنه قد جمع الصفات الثلاث : العلم والعدل والشهادة ، مع
ما جمع الله له من الصفات التى لا تكاد توجد فى غيره أ ه •

وهذا الكلام جاء في امامة سعيد بن عبد الله الرحيلي ، على أثر كلام نقله عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر رحمهم الله ، حيث قال : لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله ، إلا أن يكون الجلندي بن مسعود ، قال أبو إبراهيم محمد بن سعيد بن أبي بكر ، إن الامام سعيد بن عبد الله أفضل من الامام الجلندي بن مسعود ، قال أبو سعيد : وما أحقه بذلك ، فإنه كان اماما عادلا صحيح الإمامة من أهل الاستقامة عالما في زمانه ، لعله يفوق في أهل زمانه أو كثيرا منهم ، ومع ذلك قتل شهيدا رحمه الله وغفر له . أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر : إلا أنه وقف في تفضيله على الجلندي .

هذه أقوال هؤلاء القادة الأجلاء والسادة الأعزاء وتفضيل الامام . السالمي رحمه الله أوجه ، فإن الجلندي جمع الصفات التي اجتمعت في الامام سعيد بن عبد الله الرحيلي ، وهي العلم والعدل والشهادة ، وفاق الجلندي رحمه على غيره بالسبق ، وللسابق فضله كما أشار إلى ذلك القرآن ، ولأن الجلندي تسلسل من ملوك أجداء ولم تأخذ به سورة الملك عن خطة إخوانه ، ولم يعتر بغير الحق ، ولم ير إعطاء الدنيا في دينه مع إمكانه ، إذ خوطب أن يعلن الانقياد لسلطان العراق ولو بلسانه فقط ، فلم ير ذلك ، وضحى بنفسه في سبيل إرضاء ربه عز وجل ، وإكراما لدينه ومذهبه لا يرى الخصم منه هواده في شيء ما رحمه الله ورضى عنه ، وعن أهل الوفاء لدين الله ، وفيه جاء عند ذكر آل الجلندي :

كالجلندي ومن كمثل الجلندي في عمان تجلسه الفضلاء

فتلك السننتان اللتان عاشهما الجلندى كانتا الأساس الذى مشى عليه
أهل عمان فى تقرير مصير حياتهم الدينية ، أما الدنيا فثمتها عند أهل عمان
الفضل غير كبير ، لأنها الظل الزائل والخيال ، وكل منقضى فغير مهم عند
أهل الحق إذ خلق الخلق لغيرها •

التاريخ يحدث عن الإمام الجندى وأصحابه

رحمهم الله وعن أعمالهم بعمان

قال الشيخ العلامة الجليل أبو الحسن البسيانى : فسار الجندى بن مسعود رحمه الله في عمان ، فأظهر الحق وعمل به ، وأخذ الدولة من يد الجبابرة ، وبرىء من الجبابرة وأشياعهم ، ودان بقتال أهل البغى ، ولم يستحل مع ذلك غنيمة ولا سبى ذرية ، ولا استعراضاً بالقتل من غير دعوة ، قال : وقد قال الامام منير بن النير الجمالنى : لم يأخذوا أى الإمام وأعوانه الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها في غير أهلها ، والمعنى كل أعمالهم في الأخذ والرد على الجهة المشروعة ، قال : ولم يستطعوا أى الصدقة من الناس على غير الوجه المشروع ، وهو الإثخان في الأرض والحماية والكفاية والمكافحة عن حريم المسلمين ، بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التى تعينهم في دين الله ، وحفظ الرعية ، ثم وضعوها في مواضعها وقسموها على أهلها بحكم القرآن فريضة من الله ، والله عزيز حكيم .

قال : ثم بلغنا عنهم فيما استقام عليه رأيهم أن يرفضوا صدقة البحر إلا ما طابت به أنفس الناس أن يبذلوه لهم ، وذلك لما يتخوفون من الدخل عليهم في سبيل الله ، إذ لم يحموه أى ولا جباية بغير حماية ، وحماية البحر لم تنس لهم بعد ، قلت : لأن العهد لم يطل بالإمامة ، فلعن هذا الحال في أول سنة أو في ثانى سنة ، لأن إمامة الإمام الجندى لم تستكمل للسنة الثالثة على الشهر ، وكانوا يأملون حماية الملكة العمانية كما يلزم ، قال : ولا يولون أمرهم ولا يبعثون في حوائجهم ،

ولا يستعملون على صدقاتهم وأهل رعيتهم ، ولا يستقضون على أهل ولايتهم إلا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع والتخرج المعروفون بالفضل الموصوفون بالخير من أهل البيوتات من قومهم ، غير سقاط ولا أدياء ، ولا متهمين ولا مقترفين ، أى لا يفعلون شيئاً مما ذكر إلا بأهل العدل والضبط والنزاهة والورع الذى لا شائبة فيه ، والمراد وصفهم بالنعوت الكاملة والأوصاف الفاضلة ، وهم كذلك فوق ما قال ، وكيف لا وهم كرسى الإمامة العمانية التى فى السائلة والمسئولة فى الأمة ، وعلى منهاجها سيكون سير ركب الإمامة رحمهم الله ورضى عنهم .

قال : لا يتعلق بهم التسباب ، ولا يلجأ إليهم العاب ، ولا يلزم بهم القبيح ، ولا يتهمون فى دينهم ، مرضيون فى إخوانهم ، متبع رأيهم ، معروف فضلهم ، معروفون به ، قد أحكمت آراؤهم فى قوة الحق ، وإحكام آرائهم فى أمور الدين ليست الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم ، أى المشتبهات النبوية ، قال وكيف لا يكون كذلك من باع نفسه لله ليجود بها على ترك الدنيا ويزهد بما فيها ، وكان المرء منهم يرزق فى الشهر سبعة دراهم ، أى من بيت المال فى غلاء من السعر فيصبر على القوت اليسير رغبة فى الآخرة والثواب من عند الله .

قال وبلغنا أنه ربما بقى مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده فى فء المسلمين ، رحمهم الله ورضى عنهم وجزاهم خيراً مع ما أظهروا من السنة فى الأمر الخلقى والأخلاقى ، فشمس اللباس ولا حظوة حتى فى النساء ، فأصدروا أوامرهم فيهن بإدناء الجلابيب ، أى لأجل ستر العورات وصيانة الهيئات قال : وأمروهن برفع الخمر فوق الأذقان وستر النواصي وسائر الزينة إلا الوجه والبنان ، أما

ما وراء ذلك فهو حرام على من أبداه من النساء ، أو من نظر إليه من الرجال شهوة ، أى عملاً بأوامر القرآن ، فإن الله ذكر النساء وأمر فيهن كما في الرجال ، ولم يغفلن • كما لم يغفل أحداً من أهل التكليف ، قال : وجعل النطاق من تحت الدرع إلا فقيرة لا تقدر على درع سابغة ، فلها أن تبرز فوق درعها ، ونهى النساء عن الجلوس في السكك ، والخروج في يوم المطر والريح العاصفة ، وأمر الرجال برفع ذيولهم وقصير أشعارهم ، إذا سبغت إلى العوائق ، قال : وأنكر على أهل القبلة أن يتشبهوا بزى أهل الذمة ، أى للنهى عن ذلك في السنة ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، كما أنكر على أهل الذمة ان يتشبهوا بزى أهل الإسلام ، ونهى الرجال أن يبدوا ما فوق الركب ، أى لأن ذلك عورة للحديث : عورة المسلم مع المسلم من سراة لركبة ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام •

قال وكانوا أهل فقه وأهل علم وحلم ، ونؤدة وتراحم وتودد ، ووقار وسكينة ، ولب وعقل وبر ورحمة ، وصدق ووفاء وتخشع وعبادة ، وورع وتخرج وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطامع السوء ، ولا يتعاطون من الناس الحقوق ولا يدخلون في خصومات الناس ، ولا يجتعلون على استخراج الحقوق ، أى لا يأخذون على إخراجها جعلاً ، أى أجراً أو نحوه ، ولا يسترشون أى لا يأخذون الرشا على طلب الحوائج التي تعينهم من أمر الناس ، ولا يستفضلون في الرزق على الشبعة ، أى لا يأخذون فضلاً فوق ما يشبعهم ، ولا يغتاب بعضهم بعضاً ليس من شأنهم الغيبة ولا البغى ولا الحسد ولا التقاطع ولا التدابر ولا البغضة ولا شيء من أخلاق أهل الريبة يحرصون على آدابهم في الدين ، ومع أهل الدين ، ويكرهون العيوب ويهجرون أخلاق أهل الفجور

والمعاصي ، هم أنوار في الأرض وغرباء في الناس ، يعرفون بسيماهم
أى كأنما عناهم القائل :

سيما التعفف تكسوهم جلال غنى فالقلب شبع والبطن خمسان

قال : وكيف لا يكون كذلك من باع نفسه لله ينتظر حنتها ليلاً
ونهاراً وصباحاً ومساءً ، ليس له في شيء من الأمور ولا لأحد من
الناس ، دنت رحمة أو بعدت أو عظم خطره أو صغر أو ارتفع شأنه أو
تواضع إلا فيما وافق الحق مع ما لا يحصى من أخلاقهم الحسنة الجميلة ،
التي زينهم الله بها في الدنيا ، وترك عليهم الثناء الحسن الجميل فيمن
خلف بأعقابهم • قال الامام : انتهى كلام منير بن الجلندي وأصحابه ،
وحسبك بمن أتنى عليه منير هذا الثناء الحسن الجميل ، وأطبقت الأمة
على الثناء عليهم ، وألسنة الأمة أقلام الألوهية ، والناس شهود الله في
أرضه جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً ، قلت : لقد حفظت أن شراة
الجلندي رحمهم الله كانوا يضرب بهم المثل ، فيقال أزهد من شراة
الجلندي •

واعلم أن تلك الصفات لم تكن حتى للصحابة لولا فضيلة الصحبة ،
فإنما هي من معاجز الرجال ، ولا جرم لقد جعلهم الله الأصل الذي عليه
من بعدهم من الأمة ، وجعل إمامهم كذلك ، ولا ريب أن طالب الآخرة
لا يرى شيئاً سواها ، فإنها المقر وهذه التي نحن فيها الممر ، ويفوز
من جعلها ممراً ولم يجعلها مقراً •

الجلندى ينظم شراته

لا ريب أن الإمام بمنزلة مربى الأمة ، والأمير يضع مسالك الخير للمأورية في جميع أمورهم الدينية والدنيوية ، والقائد يرتب الجند ويديربهم على موارد حياتهم ومصادرها ، ولا يكفى جعل الأمة جائمة على هذه البسيطة ، فإن السلطان معلم الشعب ، ولقد علم الله عز وجل الأمم في كل وجه من وجوه أمورهم ؛ وعلمت الأنبياء أممها جميع ما يلزم في هذه الحياة وكذلك الملوك والأمراء والزعماء من الخلفاء ، لهم تعاليم معروفة وأنظمة مألوفة ، وكذلك كان الإمام الجلندى رحمه الله رتب الشراة مراتب إعدادية ، فجعل الشراة كتائب ، وجعل لهم مراتب ، قال الامام فجعل : على كل مائتين من الشراة الى ثلاثمائة أربعمائة قائد من أهل الفضل والحجا والبصيرة والثقة ، والعلم والمعرفة ، والفقه والحزم والقوة . قلت : وهذا من نوع نظام عصرهم كما هو عمل ملوك بنى أمية . قال : وعلى كل عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ، ويؤدبهم بالمعروف ، ويسددهم عن الزينغ ، ويقيمهم على الطريقة ، ويهديهم سبيل الرشاد ، قلت : هذا واجب عقلا ونقلا ، وكما قدمنا إنه مؤدب ومرب لأمته وشعبه ، وأمور الدين مقدمة على أمور الدنيا ، ولا ريب فإن الدنيا والدين كلاهما لا بد منه ، وعلى كل حال فإن الاستقامة في الدنيا طريق الخير إلى الآخرة ، والامام الجلندى رحمه الله إنما تقدم لطلب الآخرة ، ورفض ضدها ، ولما تحركت الطبيعة النفسية في بعض رجال الامام ، والتفتوا الى الدنيا استنكرهم إخوانهم ، وارتابوا من قبلهم ، وكانوا سبب القيل والقال .

قال الإمام : إن رجالا منهم تاقت أنفسهم إلى النساء ، أى للعامل الطبيعى الذى تتحرك به الشهوات • قال : فلما ذكروا ذلك استوحش منهم أئمتهم وقادتهم ، أى لأن المشغول بالآخرة دائماً يكون منكسر القلب محترق الأحشاء ، خوفاً ورهباً ، ومن كان كذلك أنى تتسنى له المظاهر الشهوانية ، فإذا تحرك لها فكأنه أعرض عما هو فيه وتشاغل به عما هو بصدده ، قال فلم يكن من القوم إذ ذكروا النكاح نظر اليه دون أن يعرضوا أمرهم على أهل الفضل من أهل العراق ، أى لم يكن لهم إقدام عليه ، حتى أبلغوا الأئمة فى هل هذا الحال ينبغي لهم أم لا ؟ قال : فلما وصل ذلك إليهم فزعوا منه أى رأوه تغيراً عما هم عليه من التخلّى من أمر الدنيا والإقبال على الآخرة فإن المار لا يليق به فى طريقه إلا أخذ ما يبلغه المحل الذى هو سائر إليه •

قال الامام : فزعوا منه وساءهم ذكر الشراة الذين باعوا أنفسهم للنساء ، وطلب الشهوات ، ورأوهم قد زاغوا عن طريقهم الأولى ، وخافوا أن يكون دخل عليهم ما غير نفوسهم وحركها الى ما يسبب ملاحيتها عن الآخرة ، قال : فكتبوا اليهم أى أهل العراق كتبوا الى قادة الشراة ما نصه : إنكم كتبتم الينا تجبرونا عن الشراة أن أنفسهم تنازعهم الى النساء ، وهذا أمر عظيم غير أنهم إن لم يقدرُوا على الصبر فليعرض الفقير منهم نفسه على النساء المسلمات الصالحات ، فان قبلته المسلمة على عشرة دراهم ينجزها إياها ولا يبقى لها عليه دين بعد العشرة فليتزوج ، وإن صبر عن النساء فهو خير له ، والمعنى أن هذا الأمر غير شاغل للبشارى عن شرائه ، وقد فروا من أن يكون عليهم ديون يمنعهم عن قصدهم ، وفى هذا كسر لتلك الشهوة المتحركة فيهم ، ولا يمنع الشراة عن قصدهم ولو يرغبوهم فى النساء الجميلات

اللواتى يتكفون لأجلهن المغارم ، فعشرة دراهم أمرها يسير ، وصاحبها فقير ، وقد دفع بها صاحبها الأمر الخطير ، وكل عسير في الدين الاسلامى يسير ، والمنته لله الوالى الكبير .

فقرى من هذا أن الامام الجلندى جعل الجيش كتائب ورايات ، بعضها مائتا رجل فتكون كتيبة ، وبعضها ثلاثمائة ، وبعضها أربعمائة وهكذا ، وجعل على كل كتيبة قائداً كامل الشروط دينياً وفقهاً وأدباً وأمانة الى آخر ما ذكر ، وهذا أمر لا بد منه في الحياة الاسلامية الصحيحة ، كما أنه جعل لكل عشرة رجال مؤدباً دينياً وأخلاقياً تمشى الشراة على ضوء تعاليمه الصحيحة الصالحة ، فيكون الامام قد أدى واجبه نحو هؤلاء الشراة ، كما أدى واجبه نحو أمته المسلمة وشعبه المؤمن ، ويكون بذلك عند الله من الرجال الصالحين ، وهكذا كان الامام الجلندى الذى هو أول إمام بعمان ، وأول من أقام صروح الاسلام ، في هذا الوطن الخالد بملوكه وأئمته وشعوبه الى الآن ، وكان الجلندى الإمام دستوراً للإمامة في عمان ، وأن أعماله هذه اتبعت من جاء بعده من الأئمة ، فلذلك فلم يفضل العلماء عليه أحداً من الأئمة إلا أن يكون سعيد بن عبد الله ، بقية الأئمة دونها والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم :

كذا كان الخليفة من قديم

مثالاً للملوك الصالحينا

وأول من اتخذ الشراة الإمام الجلندى رحمه الله ، فكانوا سهاماً على المدو مسمومة ، ورماحاً مهياً لظمن المدو عندما يتحرك بسوء على المسلمين ، وليت كل الأئمة فعلوا كذلك ، بل أراد الإمام عزان بن قيس

من أئمتنا المتأخرين رحمهم الله أن يفعل ذلك ، وكان رأياً صائباً ، لكن كان الداعى حثيثاً ، فانه لما بويع لم يزل في حرب حتى قضى الله عليه مستمجلاً ، فبعد ما أقام منار الدين في تلك البرهة العاجلة ، وأراد أن ينظم الشراة بعد انتخابهم ، فاجأته المنية فقتل شهيداً رحمه الله في مدينة مطروح في مدة أشبه بمدة الجلندى رحمه الله ورضى عنه ، ولكل عامل نيته والحمد لله ، فكان الإمام مهاباً لو أراد الله بقاءه في عمان لكان لها أعظم شأن بين دول الاسلام ، إذ كان الشراة رجالاً متجردين لله ، يقيمون كل ثورة أو حركة في الوطن ، وقد اعتدوا لذلك قلباً وقلباً ، وحملوا سيوفهم لنصرة الحق غير مبالين بما يلاقون .

الإمام الجلندي يقتل أبناء عمه في الله

لا يخفى أن أحفاد الملوك والزعماء الذين لم ينزل منهم الإيمان منزلاً صالحاً يعتقدون الأحقية بالأمور دون غيرهم ، وكل واحد يرى أنه الأقدم به عن سواه ، وهذا بشيء معروف في طبيعة العرب وغيرهم ، فإذا كان هناك وازع ديني ردهم عن التخطب ، وأرشدهم عن التهور ودلهم على الطريق الواضح طريق الخير والسبيل الصالح ، ومن ذلك النوع الذي أشرنا إليه جعفر بن سعيد الجلندي وابناه النظر وزائدة ومن معهم من جماعتهم ، كاتبوا أعداء الإمام رحمه الله ، ولعلمهم يريدون أن يبياعوا غيره ، أى الذى يأملون معه الرغبة والمنزلة ، وأهل الدنيا ضد أهل الآخرة فى كل أمة وكل جيل ، قال الإمام : قال أبو الحواري : بلغنا أن الجلندي بن مسعود رحمه الله قتل جعفر الجلنداني وابنيه النظر وزائدة على كتاب بيعة كانت منهم على المسلمين ، فلما صح ذلك عند الجلندي رحمه الله أرسل إليهم ، قال : ولم تكن منهم محاربة فيما بلغنا إلا ما ظهر من كتابهم ، فقدمهم الجلندي ف ضرب رقابهم على ذلك الكتاب فيما بلغنا ، قال : ولما ضرب رقابهم فاضت عيناه بالدموع ، أى لأنهم أقاربه وبنو جلدته ، والمراد أنه رحمه الله استحل قتلهم بنفس تلك البيعة وب نفس الكتاب عملاً بما ورد فى آثار المسلمين من أن من كاتب عدو المسلمين فقد صار محارباً لهم ساعياً فى هدم كيانهم بممالاته لعدوهم ، وهو شهير آثار المسلمين ، وعليه أهل الحق ، وقد فعله الأئمة بعد الجلندي وأخروهم هم به الإمام سالم بن سليمان

الخروصى فى حميد بن مسلم بن سليمان الندابى صاحب سرور لولا أن أصحابه تداركوا الأمر ، ومن دس على المسلمين أو واطأ عدوهم أو سعى فى تفريق كلمتهم أو شاقهم فى شىء ولو بلسانه فهو محارب لهم باغ عليهم .

المسلمون يشتمون على الإمام الجندى

لما قتل الامام الجندى بن مسعود رحمه الله جعفر بن سعيد الجندانى وابنيه النضر وزائدة ومن معهم من جماعتهم بسبب المؤامرة التى تأمروا بها ، وراهم تحمل جنازتهم دمعت عيناه ، وراه أصحابه على ذلك ، وعيناه تذرفان الدموع ، فاستكروا ذلك منه وساءت ظنونهم فيه ، وكانوا أشداء على أهل الباطل كما وصف الله عز وجل أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : (أشداء على الكفار) وقال عز وجل : (وليجدوا فيكم غلظة) أى على الباطل ، أما على الحق فهم رحماء بينهم •

فقال الشراة لإمامهم أعصبية. يا جندى أى تبكى عليهم عصبية لهم ، والحق أوجب قتلهم فقال رحمه الله فى لهف وهدوء : لا لكن الرحمة كما قال الصحابة رضوان الله عليهم لنيبيهم : تنهانا عن البكاء وتبكى يا رسول الله ، وذلك لما مات ولده إبراهيم فقال ﷺ : إنها الرحم ، وإنما نهيتكم عن شق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام • فاعتذر الامام الجندى رحمه الله لهم بذلك ، وقال غيره : كان الجندى رحمه الله ، قتل جعفر بن سعيد وغيره من بنى الجندى ، فدمعت عينه جزعاً عليهم ، فوقع فى نفوس المسلمين عليه من ذلك ، فقالوا له اعتزل أمرنا فاعتزل أمرهم وعد الاعتزال راحة له ولم يتعبرم ، لأنه ما كان قيامه رغبة فى الإمارة أو حباً لها ، وسلم اليهم السيف والقلنسوة ، اذا كانا شعار الإمام الخاص ، فلبث فيهم يغدو ويروح كواحد منهم ، ثم رجعوا اليه فطلبوا أن يرجع

الى ما كان فيه من أمرهم ، فكره ذلك فلم يزالوا به حتى رجع الى مكانه
بعد اعتزاله •

قال : وفي مواضع أنه اعتزل فلم يكذب يرجع ولم نعلم أنهم بايعوه
مرة أخرى بعد اعتزاله • قال الامام : يعنى أنه رجع الى الأمر بالعقد
الأول والله أعلم • ومحل الكلام هل ذلك العقد انحل فيحتاج الى عقد
آخر أم هو باق ؟ ولعل نفس القبول منه ومنهم كاف لبقاء الإمامة ،
لأنه لم يعزل عن حدث ولا وجد أنه احتج عليهم عند طلبهم اعتزاله ،
هل لهم ذلك أم لا ؟ وهل يصح له الاعتزال بنفس الطلب منهم أو منه
مثلا ؟ وقيل إنما عزلوه اختياراً هل هو معهم باطناً وظاهراً أم هو في
الباطن على غير ما هو في الظاهر ؟ فلما رأوه معهم باطناً وظاهراً طلبوا
رجوعه للأمر ، لأنه أحق به من غيره ولا جرم له فيه فتلكاً عليهم خوف
أن يقع بينهم سوء ظن كالأول •

فله در هؤلاء الرجال الصالحين الصادقين ، فهؤلاء الرجال وأمثالهم
هم الذين أمر الله بالكون معهم ، إذ قال عز وجل : (وكونوا مع
الصادقين) •

مقتل أبى الدلف شييان بن عبد العزيز اليشكرى بعمان

كان أبو الدلف المذكور صفري المذهب بل كان أحد أئمة الصفرية ، وكان الخوارج بايعوه بعد قتل الخبيري ، أقام يقاتل مروان بن محمد الأموي السابق الذكر ، ثم تفرق عنه جنوده وتراخى عنه قومه ، وهرب عنه كثير من أصحاب الطمع ، حتى بقى فى قلة من قومه التى لا تجاوز أربعين ألف رجل ، وماذا عسى أن يبلغوا وهم بالنظر الى عدوهم شىء غير كبير فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا الى الموصل فيجعلوها ظهرهم ، فارتحلوا فتبعهم مروان حتى انتهوا الى الموصل فمكسروا شرقى دجلة ، وعقدوا جسورا عليها من عسكرهم الى المدينة ، فكانت سيرتهم ومرافقتهم منها ، وخندق مروان بإزائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكاز ومروان بخصمة ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج ، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ، وقيل تسعة أشهر ، وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له : أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان بن هشام فى عسكر شييان أسيراً ، فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر اليه ، وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه الى العراق ، وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذى عائذة قريش ، وهو خليفة للخوارج بالعراق ، فلقى ابن هبيرة بعين النمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانصرفت الخوارج ثم اجتمعوا بالنخيلة من الكوفة ، فهزمهم ابن هبيرة ثم اجتمعوا بالبصرة ، فأرسل شييان اليهم عبدة بن سوار فى خيل عظيمة فالتقوا بالبصرة فانهمزمت الخوارج وقتل عبدة بن سوار ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم تكن لهم همة بالعراق ، واستولى ابن هبيرة على العراق وكان منصور بن جهور

مع الخوارج ، فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة الى واسط ، فأخذ ابن عمر فحبسه ووجه نباتة بن حنظلة الى سليمان بن حبيب وهو على كور الأهواز ، فسمع سليمان الخبر ، فأرسل الى نباتة داود بن حاتم ، فالتقوا بالمرتان على شاطيء دجيل ، فانهزم الناس وقتل دارد بن حاتم ، وكتب مروان الى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بارسال عامر بن ضبارة المري اليه فسيره في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فبلغ شيبان خبره ، فأرسل الجون بن كلاب الخارجي في جمع فلقوا عامراً بالسن فهزموه ومن معه ، فدخل السن وتحصن فيه ، وجعل مروان يمدده بالجنود على طريق البر حتى ينتهوا الى السن ، فكثرت جمع عامر ، وكان منصور بن جهور يمد شيبان من الجبل بالأموال فلما كثر من مع عامر نهض الى الجون والخوارج فقاتلهم فهزمهم ، وقتل الجون وسار ابن ضبارة مصعدا الى الموصل ، فلما انتهى خبر قتل الجون الى شيبان ، ومسير عامر نحوه كره أن يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه من الخوارج ، وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره في جمع كثير في أثر شيبان ، فان أقام أقام ، وإن سار سار ، وألا يبدأه بقتال ، فان قاتله شيبان قاتله ، وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتبعه ، فكان على ذلك حتى مر على الجبل ، وخرج على بيضاء فارس وبها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر في جموع كثيرة ، فلم يتهيأ الأمر بينهما فسار حتى نزل جيرفت من كرمان ، وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بازاء ابن معاوية أياما ، ثم ناهضه وقاتله ، فانهزم ابن معاوية بهراه ، وسار ابن ضبارة بمن معه فلقى شيبان بجيرفت فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ، ومضى شيبان الى سجستان فهلك بها وذلك في سنة ١٣٠ ثلاثين ومائة .

قال : وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر
ثم انهزم شيبان حتى لحق بفارس وعامر بن ضبارة يتبعه وصار شيبان
الى جزيرة بركاوان ، ثم خرج منها الى عمان فقتله جلندى بن مسعود
ابن جيفر بن جلندى الأزدي سنة أربع وثلاثين ومائة ، هذا كلام ابن
الأثير في قضية شيبان الحرورى .

ويقول الإمام السالمى رحمه الله على أثره : وقد تقدم ذكر سبب
ارتحال شيبان من جزيرة بركاوان ، وإن تلك كان سبب حروب خازم بن
خزيمة فى أيام السفاح ، فيكون أول أمر شيبان فى أيام مروان ابن محمد
ومقتله فى أيام السفاح فى عمان على يد شراة الجلندى إمام المسلمين ،
وذكر فى تحفة الأعيان أنه كان قد جاء الى عمان بجيش هارياً من
السفاح ، فلما قدم الى عمان ، قلت : لا يعرف مجيئه عمان على أى
وجه والظاهر أنه لم يجىء لاجئاً بدليل الحرب التى وقعت بينه والإمام
فانهم لا بد أن يعرفوا ما عنده فى مجيئه ، فلما رأوه جاء على حرب
قابلوه بما يلزم ، قال فأخرج له الإمام رحمه الله هلال بن عطية
الخراسانى رحمه الله ، وأكرم بهـلال ومعه يحيى بن نجيج ، وكان يحيى
مشهوراً فى الناس فضله فى جماعة من المسلمين ، فلما التقوا وصار
واصفين أى توافقوا للقتال ، قام يحيى بن نجيج فدعا بدعوة أنصف
فيها الفريقين فقال : اللهم إن كنت تعلم أنا على الدين الذى ترضاه ،
والحق الذى تحب أن تؤتى به ، فاجعلنى أول قتيل من أصحابى ، ثم
اجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، واجعل الدائرة عليهم . وإن كنت
تعلم أن شيبان وأصحابه على الدين الذى ترضاه والحق الذى تحب
أن تؤتى به ، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، فأمن الفريقان ،

ثم زحف القوم بعضهم الى بعض فكان أول قتيل من المسلمين يحيى بن نجيح ، وأول قتيل من أصحاب شيبان شعيان ، ومكن الله المسلمين منهم ، واستولوا عليهم ، فلم تبقى لهم بقية فيما علمنا .

وكان ذكر شيبان هذا في التاريخ العماني لدواع . أولا أنه جاء عمان فقتله العمانيون ، وثانيا أن قتله كان بلاء عظيما على أهل عمان ، إذ جاء خازم بن خزيمة التميمي طالبا لشيبان هذا ، ولما وجدته مقتولا وأراحهم الله منه لم يكتف خازم إلا بخضوع أهل عمان لسلطان بغداد وهو السفاح ، ولا يبالي الجاهل بما يلاقى وإلا فما جرم أهل عمان إذ جاءهم باغياً عليهم ، فقاتلوه فقتلوه ، فكان ينبغ من خازم شكرهم وتأييدهم ، وأن يودعهم بسلام إذ كفوهم إياه ، ولكن لله في خلقه إرادات لا بد من كونها ، والى هذه الأحوال يشير شيخنا ابن جميل عفا الله عنه في سلكه حيث يقول :

وفي عمان أول الأئمة هو الجلندي كاشف للنمة
وكان عدلا ثقة مرضيا براك وفأ عالماً تقيا
وأجمع الكل على إمامته واتفقوا كذا على ولايته

الى أن قال :

قام الجلندي في عمان عادلا وكان بالحق القويم عاملا

وعنه :

واستشهد الجلندي مع أصحابه على هداه وعلى صوابه

وذاك في جلفار من عمان عليهم سحائب الرضوان

في حديث له طويل أعرضنا عن ذكره كله .

ويقال جملة القتلى عشرة آلاف قتيل فهلكت تلك الدولة بقتل

الأخيار ، وتملكت يد الأشرار ابتلاء من الله لعباده ، فرحم الله الإمام

الجلندي . وشراته الأشداء الذين باعوا نفوسهم في طاعة الله

عز وجل .

منتهى أمر الإمام الجلندى وأصحابه بعد قتل شيبان

لم يكن إلا عشية أوضاها منذ قتل شيبان بن عبد العزيز اليشكرى المعروف بأبى الدلف فى عمان ، حتى قدم خازم بن خزيمه التميمى الطالب لقتل شيبان ، فلما وصل عمان لم يجد من أهل عمان إلا الخير ، وإن كانوا استنكروا مجيئه بجيش يخوض أرض قوم ويشق بلادهم بغير إذنهم . قال الإمام : وصل خازم الى عمان ، واتصل بالإمام الجلندى ، وقال : إنا كنا نطلب هؤلاء القوم ، وقد كفانا الله قتالهم على أيديكم ، ولكى أريد أن أخرج من عندك الى الخليفة ، وأخبره أنك له سامع مطيع ، فشاور الجلندى المسلمين أى قومه وأهل الرأى عنده فى ذلك الأمر الذى يريده خازم ابن خزيمه ، فلم ير المسلمون له ذلك لأنه خضوع للجبار الظالم ، واعتراف له بالطاعة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، مالم تتعين التقية ، ولا تقية هنا ، لكنها المنية ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينة .

قال الإمام : وقيل سأله أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه ، أى الطابع الذى يختم به الكتب . قال : فأبى الجلندى رحمه الله من ذلك نظراً الى أنه حق للوارث ، وهذا زعيم جاهل لا يسلمه اليهم ويبقى الإمام مسئولاً عنه أمام الله عز و علا . وقال أبو محمد : طلب خازم من الجلندى تسليم خاتم شيبان وسيفه ، وأن يخطب لسلطان العراق ويعترف له بالطاعة ، قال : فاستشار الإمام الجلندى العلماء من أهل الدعوة ومعهم يومئذ هلال بن عطية الخراسانى ، وشيب بن عطية العمانى ، وخلف بن زياد البحرانى ، فأشار عليه أن يدفع سيف شيبان

وخاتمه وما يرضيه من المال ، ويضمن لورثة شييان قيعة السيف والخاتم يدفع بذلك عن الدولة . قال : فأبى خازم إلا الخطبة والطاعة ، فرأوا أن ذلك لا يجوز في باب الدين أن يدفع عن الدولة بالدين . وإنما يدفع عنها بالرجال والمال انتهى كلام أبي محمد رحمه الله .

وقال أبو عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله : لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بألسنتهم إذا خافوهم على الدولة والرعية ، قال : ولا يفعلون ذلك بغير الألسنة شرارة كانوا أو غير شرارة ، قال وأما المال فلا أ ه . والمعنى أن المال يكون لهم تقوية ولا يصح أن يقوى الظالم بالمال أو بالرجال ، لأنه يتقوى به على الغير من الناس ، وكان الرأي الأول لو قبله خازم واسماً لأن التقية بالمال القليل عن المال الكثير أجازها العلماء ، ووجه ارتكاب أخف الضررين والمال ، وضع لصيانة الحال وصيانة الدين أكبر من كل شيء ، ومشهور المذهب جواز التقية .

قال الإمام : ثم إن الجلندي أبى من إعطاء خازم ما سأل فوقع القتال بين خازم بن خزيمة والجلندي . قلت : أظن أن الإمام لم يكن مستعداً للقتال ، وإنما لاقى خازم بن خزيمة حين علم أن هذا جاء طالباً لشييان ، ونحن قد قتلنا شييان وقومه ، وتكون لنا على هذا القادم يد في ذلك فيلأقيه الإمام بحالة سلمية ، وللناس غوائل والجاهل لا يبالي ، فلم يجد الامام المخرج لتدارك الأمر ، فكان الأمر مستعجلاً . والداعي حثيثاً ، ولا بد لما أراد الله عز وجل . قال : فقتل جميع أصحاب الجلندي ولم يبق إلا وهو وهلال بن عطية ، وكان وزيره الأكبر ، فقال الجلندي : أحمل يا هلال . فقال

هلال للإمام : أنت إمامى فكن أمامى ولك على ألا أبقى
بمعدك :

قال الإمام لهلال ما ترى قال تقدم وأنا غيمن جرى
تقدم الإمام حتى قتل - لا وقتل القاضى وراه مقبلا
كان لهم كأسد فى الصولة وكمقاب الجو عند الجوله
أبدى ثقافه تحير الذهنا مع بسالة عليها يثنى
فاستشهدوا وقد حورت جلفار مشهدهم جاءت بذا الأخبار

وهذا الذى كان يلاحظه أهل الرأى فى الموافقة لتسلم هم دولتهم
وتبقى لهم عزيمتهم وكرامتهم ، ويسلم لهم دينهم ، ولكن لله أمر هو
بالغه ، وحكم هو نافذه . وقضاؤه وقدره لا يبد من كونهما ، وقد علم أن
الإمام التقى خازماً فى جلفار التى تقع مكانها الآن رأس الخيمة ، مما
يدل أن الامام التقاهم التقاء صديق لصديق ، ولما وقعوا فى الأمر لم
يروا إلا إعلان الوفاء لله كما شرطوه على أنفسهم ، فوفوا به وعلى الله
توكلوا وإليه توجهوا رحمهم الله ورضى عنهم .

قال فى معالم الجزيرة : بعد ذكر الامام الجلندى فأرسل السفاح
جيشاً لقتالهم ، أى الامام وأصحابه ، قال فانهمز العمانيون وهلك إمامهم
ولكن لم تكن عساكر الخليفة تصل إلى أوطانها حتى صارت أمور عمان
فوضى ، واضطر الأهالى إلى عقد اجتماع وانتخاب إمام على حسب
أصول المذهب ، فوقع الاختيار على رجل يقال له محمد بن عفان الخ
ولما برز هلال بن عطية ، وهو يرى أنه الموت ، ويرى إخوانه وإمامه
صرعى ، ولم يكن واهى العزيمة ولا خائر الأعصاب ، ولا خافق القلب

فتقدم البطل الكرار الذى يحق له أن يلحق بجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وعليه لأمة حربيه ، فكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته ولم يعرفوه حتى عرفتهم به شجاعته وبسالته . وقالوا : هلال بن عطية ، وتنادوا باسمه ، وهكذا شأن الهلال ، فجال معهم وجالوا معه حتى قضوا عليه ، فقتل رحمه الله ، وكيف لا وقد عرفوه قبل أن يكون أباضياً رحمه الله ورضى عنه ، إذ كان من صنائيد خراسان وأبطالها المشهورين ، وكان نير البصيرة صادق السريرة شجاعاً مقداماً ، وقيل إن الذى تولى قتل الجلندى الامام رحمه الله هو خازم بن خزيمه إذ رأى الجيش قد نفى وبقي الرجلان الامام والقاضى ، فقام خازم لقتال الامام ، فكان هو قاتله بالنفس فلم يزل بعد قتله مذعوراً خائفاً لا يهدأ الليل ولا ينام ، ولا يزال له هممة الذعر حتى إذا أدركته الوفاة قيل له أبشر ، فقد فتح الله على يدك فقال غررتمونا فى الحياة وتغرونا فى المات هيئات هيئات ، فكيف لى بقتل الشيخ العماني يعنى الامام الجلندى . والمعنى أن قتل الشيخ العماني بغير حق نعمة ساحقة غررتمونا بها ، وتغرونا حتى فى مثل هذا الحال ، فما الذى ينجينا من قتل الشيخ المذكور .

ولا شك أن المرء يعلم من نفسه عقوبة جرائمه التى يقتربها بغير حق ، لكنه فى حال غطرسته لا يلتفت على شئ ولا يبالي بما يأتى وما يذر ، حتى إذ ضاق الخناق ولم ير له مناصباً قام بعض أصابع الندم ، وخرج رجل من أهل عمان للحج فاصطحبه رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا ينام فسأله العماني عن ذلك وهو لا يعلم أن صاحبه عماني ، فقال : خرجت مع خازم بن خزيمه الى عمان فقاتلنا فيها قوماً لم أر مثلهم ، فإنا منذ ذلك الحال لا أنام ، فكتم العماني حاله عنده وبقي متعجباً من الرجل

وما ابتلى به ، فقال في نفسه أنت حقيق بذلك ولا يخفى أن قتل مؤمن واحد بغير حق لا تعادله الدنيا بأسرها .

ولما قتلوهم ووثبوا على ممسكهم لم يجدوا فيه إلا أثواباً خلقة ، ووجدوا حمائل سيوفهم من ليف ، فانظر في الأحوال نظر اعتبار تجد الإباضية وأئمتهم قطعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أخفاها الدهر ليوم ما ، وليكونوا حجة صادقة في الدين ، ولما قضى عليهم خازم بن خزيمة في تلك المارك التي أدارها عليهم بنصير حق ، وعلى غير استعداد ، بل هذه عندي أشبه بقضية النهروان ، إذ كان القوم ينتظرون الإمام للتفاهم بينهم ، وزوال الوحشة الجائئة إذا هم والسيوف تعمل فيهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وهؤلاء كذلك وإلى الله المصير .

ولما انتهى أمر الامام الجلندي وأصحابه ، نشط التكالب على أهل عمان وارتاع العمانيون من الواقع ، وشاعت الإشاعة عن أمر سهول أثر على الأمة وألبسها الدهش ، وحل على السواد الأعظم الخوف ، وترادفت الظنون ، وبذلك لم يتحرك من العمانيين متحرك ، فانسحب خازم بن خزيمة بجيشه الضخم المنتصر ، ودوخ عمان قاهراً عليها .

وفي ابن الأثير في حوادث سنة أربع وثلاثين ومائة ، قال : كان قتل الجلندي في هذه السنة وهو الصحيح عند الامام السالمى ، وكذلك نقول فإن الجلندي بويج في سنة ١٣٢ ، وعاش سنتين كاملتين وشهراً وقيل أشهراً . قال الامام : وفي كامل الأثير أيضا أن خازم بن خزيمة كان

من السفاح ، وكان أخوال السفاح من بنى عبد المدان ، وهم خمسة وثلاثون رجلا ، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ، ومن مواليتهم سبعة عشر رجلا ، قصدوا السفاح فلقبهم جازم بن خزيمة بذات المطامير ، وكان قد وجد عليهم فلم يسلم عليهم ، فلما جازهم شتموه ، ثم رجع إليهم وعاتبهم على أمر كان قد وجد به عليهم ، فأغلظوا له في الجواب ، فأمر لهم فضربت أعناقهم جميعاً ، وهدمت دورهم ونهبت أموالهم ، ثم انصرف عنهم قال : فبلغ ذلك اليمانية ، فاجتمعوا ودخل زياد بن عبد الله الحارثي معهم على السفاح ، فقالوا له : إن خازماً اجترأ عليك واستخف بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معترزين بك طالبين معروفك ، حتى إذا صاروا في جوارك قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه ، فهم بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية ، فدخلا على السفاح وقالوا يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من لهؤلاء ، وأنت هممت بقتل خازم ، إنا نستعيذك بالله من ذلك ، فإن له طاعة وسابقة ، وهو يحتمل له ما صنع ، فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد ، وقتلوا من خالفكم وأنت أحق من يغمد إساءة مسيئهم فإن كنت لا بد فاعلا ومجمعاً على قتله فلا تتولى ذلك بنفسك وابعثه لأمر إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي تريد ، وإن ظفر كان ظفرك لك ، قال : وأشاروا إليه بتوجيهه الى من بعمان من الخوارج يعنى المسلمين ، والى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، قال : وأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل ، وكتب الى سليمان بن على يحملهم الى جزيرة بركاوان وعمان أ ه .

وكان شيبان يقود جيشا يبلغ أربعين ألف رجل ، فليس يكون

مناله هيناً ، فساقته الأقدار الى عمان ، فكان عليه من أهل عمان ما كان وإذا بخازم يلتحق بعمان طالبا للمذكور ولقتال أهل عمان ، إذ كان مندوباً لقتال الكل ، وكان أهل عمان قتلوا شيبان ولم تغسل سيوفهم من الدماء بعد حتى جاء خازم مختدعا لأهل عمان ، بأنه جاء لقتال شيبان وقد كفيتمونا إياه ، فسر ذلك أهل عمان ، وما كانوا يظنون أنهم مقصودون أيضا بالذات كقصدهم لشيبان ، فخرج الامام الجلندى لملاقاتهم في شردمة من أصحابه ليتفاهم مع القوم ، فأظهر لهم خازم تلك التعللات الرموز اليها بالخاتم والسيف ، حتى إذا رأى انقيادهم رمز لهم بالخطبة بالطاعة لسلطان العراق ، وهو السفاح ، وما كانوا مستعدين لحرب حتى إذا وقعوا فيها أحاطت بهم الجنود من كل جهة ووضعت السيوف على رقابهم والقوم غافلون ، وأعداؤهم غادرون ، وللناس طوايا تظهر عند إمكان الفرص ، ولهم غوائل ضد كل غافل وفي الغيب عجائب .

وكان قتل الامام الجلندى سنة ١٣٤ ، ومكث خازم بعمان أشهراً وكان خازم أرسل برؤوس أعيان القتل الى بغداد متبجحا بهم ومفتخرا بقتلهم ، وعلى أثر ذلك سلط الله على السفاح الجدرى وهو بالأنبار ، وتوفي منه في سنة ١٣٦ ست وثلاثين ومائة في ١٣ من ذى الحجة ، ودفن في قصره بالأنبار ، ولم يمكث بعد قتل الجلندى إلا أقل من السنتين والله أعلم .

فرحم الله الجلندى وأصحابه ورضى عنهم ، قال صاحب معالم الجزيرة : فانتخبوا محمد بن عفان فباشر الامامة سنتين ، فلم يحسن

العمل فخلعوه ، وأقاموا مكانه الوارث بن كعب ، قلت : هو محمد بن
أبي عفان ، وما كان في الحقيقة إماماً ، وإنما كان رجلاً تظن فيه البطولة
التامة ، ولعله يكون كفوّاً لحمل أعباء الأمر ، وإذا به بخلاف ذلك ويبقى
كضابط للجيش الى أن يرى المسلمون رأيهم ، ولما ظهر لهم عدم كفاءته
للأمر أخرجوه منه كما سوف ترى ذلك إن شاء الله .

آل الجندى يطنون الطاعة لخازم

لما قتل الامام الجندى بن مسعود وأصحابه ، زحف خازم على عمان فاتحاً ؛ كان آل الجندى الذين اضطفونوا الامام في قتل جعفر بن سعيد وابنيه ومن معهم من آل الجندى ، الذين كاتبوا بالبيعة على الامام ، وأقصى الامام بقية آل الجندى الذين يميلون ميلهم ومن يظن فيهم السوء ، وأدنى منه أهل التقوى ورجال العدل وأبطال الحق ، ساءهم ذلك ، ولعلمهم كما يقول القائل :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرى نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وماذاك من بغض لها غير انه يرخى سواها فهو يهوى انتقالها

ولا شك أن الغالب يكون مرهوب الجانب ، ولهذا تقدم آل الجندى إلى خازم بن خزيمة سامعين له مطيعين ، لا سيما بعد تلك الحرب الطاحنة التي أفنت أبطالا ، وما كان أهل عمان ليسلموا بلدهم الى الغازى لقمة سائغة ، بل اشتد الأمر بين خازم بن خزيمة والجندى ، واسمع ما يقول ابن الأثير المؤرخ الشهير ، قال : سار خازم الى البصرة في الجند الذين معه ، وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ، ومن أهل مرو الروذ من يثق به ، فلما وصل البصرة حملهم سليمان في السفن وانضم اليه بالبصرة أيضا عدة من بنى تميم ، فساروا في البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان ، فوجه خازم فضلة بن نعيم النهسلى في خمسمائة الى شيبان ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فساروا إلى عمان وهم صفرية ، فلما وصلوا الى عمان قاتلهم الجندى وأصحابه ، قال : وهم إباضية ، واشتد القتال بينهم وقتل شيبان وأصحابه ، قال :

ثم سار خازم في البحر بمن معه حتى أرسوا إلى سواحل عمان ، فخرجوا إلى الصحراء فلقبهم الجندى وأصحابه ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم ، وقتل منهم أخ له من أمه في تسعين رجلا ، ثم اقتتلوا من الغد قتالا شديداً ، فقتل يومئذ من الذوارج ، يعني المسلمين ، تسعمائة ، وأحرق منهم نحواً من تسعين رجلا ، ولم يفر أحد من الفريقين عن صاحبه ، أي فقد ثبت الامام ومن معه على قتلهم .

ثم دارت رحى الحرب بينهم في اليوم الثالث والرابع الى السابع ، فلم تزل المعارك دائرة بين الامام وعدوه الغازي حتى أشار على خازم بعض أهل مشورته أن يهجم على بيوت أصحاب الإمام ، وكانت بيوتاً مبنية من خشب وذلك أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقفة ويوروها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ، ثم يمشوا بها فيضرموا بها في بيوت أصحاب الجندى ، وكانت من خشب ، قلت : لعلها من سعف النخل ، وهو الواضح وضعوها لتقيهم الشمس والبرد فقط .

قال فلما فعل ذلك وضرت بيوتهم بالنيران اشتعلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم ، فحمل عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم ، وقتلوا الجندى فيمن قتل ، قال : وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف قتيل أ ه .

ولعل الأكثرية من الغزاة وهو الظاهر لأن الجندى لم يكن مستعداً لحرب خازم ، وإنما فاجأه خازم على أثر مقتل شيبان ، أو لعلهم بقية الجيش المقاتل لشيبان ، فقبل رجوعهم الى أوطانهم فاجأهم جيش خازم ، فكانت إحدى الحسنين لهم ، وقد خرجوا لذلك رحمهم الله ورضى عنهم .

باعوا بباقية الرضوان فانيهم كان لذة هذا العيش شعبان

وإن مقتلة تتكشف عن عشرة آلاف قتيل لعظيمة في المسلمين ، وهنا
برز الباكون من آل الجلندی ، للاقاة خازم بن خزيمه لينالوا معه رغبتهم
المرجوة بموت الامام الذي لم يروا معه مصالحهم . قال الامام رحمه
الله في أمر عمان بعد الجلندی كلاماً واسعاً بعضه نقل عن ابن الأثير ،
وبعضه عن التاريخ العماني خلاصته :

أن محمد بن زائدة وراشد بن النضر ، وهما أبناء من قتلها الامام
كما سبق الحديث عنهم ، وعدوها ضغينة على الامام ، وأن خازماً بقى في
عمان أشهراً يرتب أمر عمان ومعه آل الجلندی المذكورون ، وقد أرسل
برعوس القتلى إلى السفاح في بغداد ، فقط قلد خازم أمر عمان محمد بن
زائدة وراشد بن النضر ، ومعهم الأشعث بن حكيم ، وكان هؤلاء
الجلندانيون جبابرة ظلمة ، تسيطروا على الناس بسيطرة خازم ، إذ
هم له أعوان ، فكانوا عماله على قومهم ، وكان هو سيدهم والجامع بين
الطرفين الظلم والعسف والجبروت ، وهذه هي الخصال الملاحقة ،
والأعمال الساحقة ، ولكن أهل الظلم لا يبالون ، بل كانوا يقتلون النبيين
فكيف بغيرهم ، وقد اشتهر آل الجلندی بالجبروت في هذه الآونة .

قال الامام رحمه الله : ذكرت السير أي سير أهل عمان ، أن الجبابرة
استولت على عمان بعد الجلندی ، فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور ،
قال فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة وراشد بن النضر الجلندانيان :
قلت : قد سبق أن خازم بن خزيمه لما احتل عمان وقتل الامام الجلندی
وأصحابه ، وانكسرت عصا المسلمين ، ودخل خازم عمان متغلباً عليها ،

وكان جباراً ظالماً كما وصفه ابن الأثير ، إذ مر على بنى عبد المدان فقتلهم ، فهنا لباه بنو الجلندى ومهدوا له طريقاً ييسراً لا يخاف فيها دركا ولا يخشى ، وكانوا أعوانه وهم أعيان أهل عمان إذ ذاك ، إذ هم ذراري أولئك الملوك المتقدمين ، وأبناء عم إمام المسلمين ، ففتقلدوا الأمر في عمان بخازم بن خزيمة ، وشاييمهم أهل الأهواء من أهل عمان ، وأهل الباطل أكثر من الحق في كل أمة ، وبقوا على فسادهم ، وخازم بن خزيمة ترف أعلامه على عمان ، وبقي في عمان مدة حتى استقدمه السفاح إليه ، فلباه وعمان طوع يده ، ورهن إشارته ، يخطب فيها للسفاح على منابرهما ، وكان الامام قتل أقاربه المذكورين على كتاب البيعة الذى وجده عليهم ؛ وكان الكل إقطاعياً كما يقول العصريون ، وعاثوا في عمان ، وسرى الضعف في المسلمين سريان النار في الهشيم ، لأن صوت العدل خافت ، وصوت الباطل مرفوع ، ومن ذلك ما كان من الأحداث طيلة تلك المدة .

ومنها قتل عبد العزيز الجلندانى ، وعلى ما يظهر أن قتله كان لكونه من أتباع الحق ، قال الامام : وذلك في حال ضعف المسلمين ، قال : عن الوضاح بن عقبة عن مسيح بن عبد الله أن عبد الرحمن بن المغيرة أخبرهم ، وقد كان الأشعث بن حكيم والجلندانىون على حال من الخروج ، والمعنى متظاهرون بالخروج على الدولة ، وذلك في حال ضعف المسلمين في أيام خازم بن خزيمة ، وأن جعفر بن بشير كان هو وآخر غيره بالعراق مع أبى عبيدة وحاجب رضى الله عنهما ، حتى قدم الجلندانىون إلى العراق ، أى كانوا يراجعون سلطان العراق ، وهو السفاح المقدم الذكر ، فأخبر القادمون الامام أبا عبيدة وحاجباً أن الجلندانيين نزلوا على عبد العزيز الجلندانى فقرأهم ثم قتلوه ، فقال لهم موسى وحاجب : لا تقبل مقاتلكم على المسلمين ، فلم يقبلا قولهم ،

قالوا : فإننا نذهب إلى السلطان . قال : اذهبوا ، وكانوا أرادوا بذلك الشكاية إلى الامام أبي عبيدة ليدخلوا السبيل من طريقة . قال : فلما حضر خروج جعفر وصاحبه إلى عمان ، قالوا لأبي عبيدة . ما نقول لأهل عمان منكمما في القوم ، وقد كان أهل عمان افترقوا في قتلة عبد العزيز فمنهم من برىء منهم أى من القاتلين ، ومنهم من تولاهم أى القاتلين ، لما كان من أقوال تنبنى عليها الأحوال ، قال : ومنهم من وقف عنهم للإشكال الذي عرض لهم ، هل كان عبد العزيز من البغاء أم من الثقات ؟ فقالوا ، أى أبو عبيدة وزميله حاجب : قولوا لأهل عمان إن كل له ولاية يتولاه المسلمون ، وكل من كان على أمر من أمرهم أولى بما ضيع ، حتى يطلب الأمر إليه الذي ضيعه ، فيكون فيه عليه الحق أى يمتنع عن إعطائه ومن امتنع عن إعطاء الحق فهناك تترك ولايته ، أى أن سبقت له ولاية فبامتناعه عن إعطاء الحق تسقط ولايته . قال : فهذا حديث عبد الرحمن بن المغيرة عن المسبح بن عبد الله .

قال الامام : وحاصله أن الطائفة الخارجة نزلوا على عبد العزيز فأضافهم فقتلوه ، فلم يستحسن المسلمون ذلك منهم ، فلماذا اختلفوا في ولايتهم ، حتى قال أبو عبيدة ، قال هو وحاجب في فضل القضية ، قال : وكان المسلمون يرجعون إلى قولهما ، أن بنى الجندى قد طلبوا إلى أبي عبيدة وحاجب ما طلبوا من قتلة عبد العزيز ، فلما يسمعا ، فلذا قال الجندانيون : نذهب إلى السلطان يعنون عامل بنى العباس . فقال : اذهبوا على طريق التهديد ، ولم يبلغنا أنهم ذهبوا إلى السلطان والله أعلم بما كان .

شبيب بن عطية العُماني المحتسب

من حوادث أيام بنى الجلندی ، ظهور شبيب بن عطية العُماني ، ولا يشقبه عليك بشبيب الخارجي إمام الصفرية ، فإن بعض الناس التمس عليهم شبيب العُماني بشبيب الخارجي ، وكان شبيب هذا من أصحاب الإمام الجلندی ، ذكر ذلك الشيخان : أبو محمد وأبو الحسن ، ولم ينسباه ولم أعرف نسبه حتى أحرره ، وهذا من قصور أهل العلم .

قال الإمام ، في تحفة الأعيان ، بعد أن ذكره عن أبي محمد وأبي الحسن قال : وذكر غيرهما أنه كان يجبي القرى ، ولم يكن إماماً منصوباً ، وإنما كان محتسباً . قال : والظاهر أن أمره هذا كان بعد الجلندی ، وكان رجلاً صلباً في دينه شديداً على الجبابة ، داعياً إلى مخالفتهم ، قال وله سيرة تنبىء عن تصلبه في دينه وشدته على البغاة ، يعنى مقالة حررها ونشرها إلى الناس ليعلموا الأحوال في مهاج الأعمال ، وهذا معنى السيرة عند أهل عمان ، إذا قالوا في سيرة فلان ، ولفلان سيرة إلى بنى فلان ، وهكذا وكانت سيرة شبيب معربة عن قصده ، مبرهنة عن صده ، وفي الأثر لأهل العلم كلام على شبيب المذكور وأعماله ، وفي ولايته والبراءة منه ، وذلك لتصلبه ، فمن رأى من شبيب التصلب في أعماله قال : ليس له هذا إذ هو ليس إماماً حتى يفعل هذه الأثياء ، والذي يهمه أمر المسلمين ويود إرغام المفسدين يقول : ما فعله شبيب حق وصواب ، وإذا بالناس فريقتان أو ثلاثة ، وهكذا العلماء حين يريد الله خذلانهم بعد ما قال لهم : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

قال الإمام : صار يجبي القرى احتساباً ، فمنهم من لم ير له ذلك ،

لأنه ليس بإمام منصوب ، ومنهم من عذره ورآه محتسباً ، وللإمام حقوق يراها أيضا بعضهم للمحتسب . قال المعتز بن عمار بن سالم بن ذكوان الهلالي : إن البراءة منه وحد السيف معاً ، أو قال سواء إنى لا أبرأ منه حتى يحل دمه ، قال هاشم بن غيلان ، عن موسى بن أبي جابر قال : قلت للربيع ما تقول في أهل عمان ؟ فإنهم اختلفوا وافترقوا في أمر شبيب قال : قال الربيع من تولاه فتولوه ، ومن برىء منه فابراءوا منه . قال فقلت : ما القول في الكف فإنى أرجو أن يكون فيه ألفة وصلاح ؟ قال : فما يقول بشير ؟ قال قلت : صاحبي ولا يخالف على ، فقال أنتم أعلم بأهل بلادكم ، وأما أنا فليس ذلك رأيي . قال فلما قدم موسى أشهر ذلك ولقى هادية فتابعه .

قال عبد الوهاب بن جيفر : من تولاه برئنا منه ، قال هاشم : وكره بشير الكف ، وقال معقل : يتولاه بشير وأهل الحق ، قال : وسئل الفضل بن الحواري عن الذي اختلفوا فيه من أمر شبيب ، قال : كان مجاباً ، وكان يجبي القرى ، فإذا قدم السلطان تركها واعتزل . قلت : ولم يذكروا من هذا السلطان الذي إذا قدم ترك شبيب الجباية من أجله وهذه الأيام هي أيام السفاح في بغداد ، ولم يقل التاريخ إن السفاح جاء عمان ، ولعله عامل السلطان أو رسول برسله سلطان العراق لأخذ الجباية من عمان ، فإن جاء ترك شبيب الجباية خوفاً ، فإذا ذهب الى العراق برز شبيب وأعلن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودعا الى الجباية ، والظاهر أن الذي يبرز لشبيب الأمير الذي ولاه خازم وأقره سلطان العراق من آل الجلندي .

قال الإمام السالمى : قلت ولعل اعتزاله كان في عام لا يجبي فيه ،

أى إنما يترك الجباية فى عام لا حماية له على البلاد ، ويفهم من ذلك أن السلطان المشار إليه يأتى فى بعض السنوات فاذا جاء تخاذل عن شبيب أعوانه خوفاً من السلطان • قال الإمام : إنما جبايته كانت وقت حمايته فمتى حصلت له الحماية جبى ما قدر عليه ، وهمتى زالت عنه بالعجز عنها رفع يده • قال : وهذا هو الظن بشبيب إن صح ما قاله فيه الفضل بن الحوارى • قال : والظاهر منه التصلب فى الأمور ، فتخلىة البلاد للحائر منا فيه للظاهر من حاله والله أعلم بما كان هنالك •

قال أبو الحوارى : من برىء من شبيب برئنا منه ، ومن برىء ممن تولاه برئنا منه ، ومن تولى من تولاه فهو على ولايته إن كانت له ولاية أه •

هذا ما ذكره من أمر شبيب هذا ، ولقد قام شبيب على الأقل أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على قدر استطاعته ، فاعلا للخير عاملاً لله بما استطاع كيف يبرأ منه ، وما بال هؤلاء الذين يقولون بالبراءة لا يغفلون شيئاً يحسن السكوت عليه ، أو ما بالهم لا يشدون عضده ولما لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، ما بالهم ينتقدون شبيباً ويعلنون البراءة منه أيحس الإنسان المسلم ويجازى على إحسانه بالتأنيب ورفضه من ولايته ، إن هذا لا يليق فى الدين ، ولا يحسن بالمسلمين ، ولا هوادة فى الدين ، فان الحق مطلوب من أى الناس الذين يستطيعون إقامة حق فى لأمة ، وإن قيل : إن شبيباً لم تقع له بيعة من المسلمين • فالجواب : كذلك بيعة أبى بكر رحمه الله ، وإنما بايعه بعضهم فقط ، ورضى الباقون فثبت إمامته ، ولا يشترط بيعه عموم المسلمين • واليكم سيرة شبيب التى ذكرها الامام السالمى رحمه الله ، وهى تدل على أن شبيباً كان أميراً صالحاً مطاعاً فى

الأمة ، ماضياً فيها على الحق والحق يجب قبوله ممن جاء به ومن قام به في الأمة ، ولو كان عبداً حبشياً مجدعاً .

قال شبيب : أما بعد فانه قد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يد المسلمين واحدة على من سواهم ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، وقد أمسيتم وأمسينا إخواناً على الصالح التي قد ترون . اختلفت في إعلق الأمة وتشتت أمرها ، ووثب بعضهم على بعض كالسباع ينهش بعضهم بعضا بالظلم والعدوان . والغشم وانتهاك المحارم ، ولا يعرفون حق الله ولا حرمة الاسلام ، ولا يحتجرون به وأمسينا بحمد الله ونعم الله علينا وعليكم سابغة ، وفضله علينا وعليكم عظيم ، يؤمن بعضنا بعضا ، ويعرف بعضنا لبعض حرمة الاسلام ، وحق أهله ، وكتاب الله أمامنا وأمامكم ، إن كنا وكنتم صادقين . يا أيها الناس : اعلّموا من أمرنا أن نقائل ونقتل من عصى الله حتى يفيئوا إلى أمر الله ، أو تفنى أرواحنا إن شاء الله ، ليرد منار الاسلام الى معالمها الأولى التي كانت على عهد نبي الله ، والذين من بعده أبى بكر وعمر حلال الله حلال إلى يوم القيامة ، ورضاء الله رضا الى يوم القيامة ، وسخط الله سخط الى يوم القيامة ، لا تنقض الطاعة بالمعصية ، ولا تثبت الطاعة بالمعصية بل بالطاعة ، ولكن حتى يستكمل الناس جميعا الطاعة بحدودها وأعلامها ومنارها ، وأحكامها وأنسابها الرضا بها ، ومن كره هذا فالطريق له مخرى يذهب حيث يشاء من البر والبحر ، وليكن امرؤ على حذر أن يتتبع عورات المسلمين ويكاتب عدوهم ، ويشغب عليهم بسعيه بين المسلمين بطانة .

إلى آخر ما جاء فيها من بيان الحق الواضح ، والتحريض على القيام

بالأمر ، والرد على المخالفين في شكهم وحيرتهم أ ه ما أورده الامام السالمى من كلام الأمير شبيب بن عطية رحمه الله ، وهذه الكلمات الجوهرية من هذا البطل المسلم التى تعرب عن نزاهة نفسه وحسن سيرته ووثوقه بربه ، وغيرته على الأوامر الدينية ، وتصلبه في إثبات الحق وقيامه بأوامر الله عز وجل ، لها قيمتها عند أهل العدل الذين ينزلون الرجال منازلهم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو قام رجال الدين كشبيب هذا كل من جانبه لما راجت أسواق الباطل ، ولا تجرأ على أهل الحق جاهل ، وبماذا تعرف الرجال إلا بالأفعال ، فلقد أحسن شبيب رحمه الله وشكر الله له عمله إن شاء الله .

ومن الأحداث التى وقعت في أيام آل الجلندى بعد إمامهم المرضى الجلندى ابن مسعود خروج غسان بن سعيد المحاربى الهنائى في سنة ١٤٥ في عهد المنصور العباسى في بغداد ، خرج على المسلمين بعمان غسان بن سعيد المحاربى الهنائى على نزوى ونهبها ، وعاب فيها بما لا يرضاه الله ولا رسوله ، وقاتله بنو نافع وبنو هميم في نزوى ، فغلب عليهم وقتل منهم خلق كثير ، وكان بنو نافع من أشرف أهل العقر ، إذ هم رهط الشيخ أبى المنذر بشير بن المنذر ، وكان بنو هميم بطناً من بنى معن بن مالك بن فهم ، وكان آل الحارث إبراء أنصاراً لهم ، وبين الفئتين روابط صداقة فتآمروا على قتل غسان ، واجتمع رأيهم أن يمضوا الى العتيك ، واتفق رأى العام بينهم على ذلك ، وخرجوا وكنوا لغسان بين داره ودار جناح في صحار بموضع يقال له الخور ، وقد رجع غسان عائداً رجلاً مريضاً من بنى ربيعة ابن هناة بن مالك ، فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم ، ولا شك أن الطالب غالب فلما مر عليهم تمكنوا منه فقتلوه ، فغضب لذلك منازل بن خنبش ، وكان منزله في نبا بموضع يقال له العقير ،

وكان منازل المذكور عاملا هناك لمحمد بن زائدة بن جعفر بن سعيد الجلنداني ، وراشد بن النصر ، فثار هؤلاء غازين أهل إبراء من شرقية عمان ، حتى أتوا على حين غفلة من أهلها ، فلما علم أهل إبراء بهذا الغزو ، برزوا وأداروا رحى الحرب بين الفريقين ، فكانت الدائرة على أهل إبراء ، وانكشفت الواقعة عن أربعين قتيلا من أهل إبراء خاصة ، لأن الغزاة كانوا كامنين لهم على مرصد يمكنهم من قتل القوم ، وفي هذا التاريخ كان للعهد في بغداد للمنصور العباسي ، وهو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، وفي الأندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفي هذه الأثناء بدأ دور بني الجلندي للانحلال ليحل محلهم من يصلح أمر الأمة بعد الضلال ، وينير الطريق للمسلمين لإنقاذهم من ورطة الوبال ، ولكل شيء غاية ينتهي إليها فقد أراد الله زوال الأمر لبغيهم بعد عدلهم .

قال الإمام : في الأثر والمراد به دواوين الفقه التي دونها العلماء فوضعوا فيها حقائق تاريخية تتعلق بالأحكام الشرعية ، وكذلك قولهم قال المسلمون فتراهم يطلقون ذلك ويريدون به أهل الوفاء بدين الله منهم لا مطلق من ينتحل مذهب الإباضية من السواد الساذج ، ويطلقون ذلك أيضا ويريدون به الكل ويريدون به أحيانا أهل الولاية خاصة ، ولكل مقام مقال . قال أبو إسحاق : اعلم أن أصحابنا رحمهم الله يذكرون لفظ المسلمين ويريدون به أهل الوفاء بالدين . أي أهل الاسلام الكامل ، فيذلك على هذا أنهم يذكرون لفظ المسلمين مقابل الجبابرة ، وكلاهما يصدق على أهل المذهب ، كما يذكرون المسلمين مقابل المخالفين ، ويذكرونه ويراد به أهل الولاية ، ويراد بقسميه أهل البراءة ، وكل ذلك يستدل عليه بمعونة

القرائن ، وليس المراد أن قسيم المسلمين المشركون كما هو اصطلاح الخوارج والوهابيين أه تعليقاً على الطبعة الثانية لتحفة الأعيان •

ولا يخفى أن راشد بن النضر ، ومحمد بن زائدة الجلندانيان ومن معهما من أهل عمان ، لا زالوا يرتادون المساعدة والمعونة على أهل عمان لتعزيز رئاستهما ، والتغلب على الأمة بالقهر ، كما كان آباؤهما ، وقد قضى الامام عليهم كما تقدم ، وبقي هؤلاء يتعززون بالغزاة لعمان ، ويرومون السيطرة على الأمة بدعوى أنهم أحفاد الملوك ، وأولياء الأمور دون غيرهم ، وكانت شوكة المسلمين أعنى أهل الحق قد ضعفت بتلاشى الأمور ، قال الامام : وهم يومئذ أهل ضعف ، أى فى ذلك الحال ، وكان راشد ابن النضر قد نزل بالمهرة يطلب منهم النجدة على أهل عمان ، لأن المهرة أقرب الى عمان من غيرهم ، وكان سلطان بغداد إذ ذاك مشغولاً بشئونهم فى بلاده ، وإذا جاء عمان وانتصر على أهلها ربما اجتاح الغث والسمين ، وأما المهرة فليس لهم ذلك ، وإنما هم أجلاف تقضى بهم لأغراض ويكثر بهم السواد ، ثم أقبل راشد بن النضر بجيشه يشق عمان من طريقها الغربى حتى بلغ أهل عمان أنه نزل المجازة من الظاهرة ، كما أشار الى ذلك ابن رزيق وأخذه عنه الامام السالمى رحمه الله ، ولعل أكثر أهل أهل السير من أهل عمان يذكرون ذلك ، وكانت من الظاهرة وهنا تحرك العمانيون لمقاومة هذا الباغى ، فتكاتبوا من جميع النواحي وتعاهدوا على حرب هذا البغى الذى أقبل به راشد بن النضر ليقضى به غرضه فى قومه أهل عمان ، وكان عبد الملك بن حميد يومئذ شاباً أى جديد عهد وكان يدعو المسلمين على المبايعة على راشد بن النضر ، ومعه محمد بن المعلى والأخنس الفشحى من كندة ، وخرجوا فى طلب راشد المذكور متجردين لحربيه خائفين من فساده فى عمان ، فالتقوا فى المجازة من أرض الظاهرة

شرقى وادى المجازة ، فدارت رحى الحرب بين الفريقين فانتصر المسلمون على راشد وهزمه الله ، وقتل من قومه كثيرون ، وأكثر القتل وقع فى بنى ناحية إذ هم الأكثر وهم شرارة الجيش ، فقتل منهم خلق كثير يحصون وإذ ذلك هرب راشد بن النصر ، واستولى المسلمون على داره فنسفوها لئلا تكون له قوة يأوى إليها ويتحصن فيها هو أحزابه ، وبسبب نفسها وقع بين أهل العلم القيل والقال فى نفسها ، فقد جاء فى الأثر أن المشايخ من أهل سلوت ومن معهم غضبوا لنفسها ، فقتل من حديث الفضل بن الحوارى عن أبى جعفر سعيد بن محمد ، وعن سعيد بن محرز ومحمد بن محبوب ، وعن محمد بن هاشم عن هاشم بن غيلان أن المسلمين لما نسفوا دار راشد قدم عليهم الأشعث بن محمد وهم مع بشير فى بهلى ، فتكلم فى ذلك الأشعث بن محمد ، وقال : ليست هذه الحال من سير المسلمين ، والمعنى أن هذا لم يكن من عمل المسلمين فى حروبهم ، فقلت له قد نسف المسلمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصن بنى النضير فرد على ذلك أى الأشعث ، قالوا بيان ذلك فى كتاب الله عز وجل ، قال الله عز وعلا : (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، وذلك أن المؤمنين كانوا ينسفون من قبلهم ، وكانت اليهود تنسف من قبلها ، ذلك لأن المسلمين كانوا يتوقعون الهزيمة ، وأرادوا أن يفوتوا اليهود ما استطاعوا تفويته واليهود يرون أن المسلمين منصورون عليهم ، ولهذا قاموا ينسفون ما استطاعوا أن ينسفوه حتى لا يستغفمه المسلمون ، فنزلت الآية فى ذلك بعينه ، وقيل إن اليهود يسدون بما ينسفون الخلل الذى ينسفه المسلمون ، والمعنى واحد . وقال غيرنا : إن المسلمين أيضا قام بعضهم ينسف وبعضهم يعارض كما صرح بذلك أهل التفسير ، فرد الأشعث على ذلك معارضاً له ، فقال بشير بل هكذا

كان كما يقول المسلمون ، قلت : أى قال الشيخ المعارض للأئمة : وبلغنا أن أهل دار رهوا المسلمين بسهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسها فنسفت ، فقال الأئمة لعلهم نسفوا شرفاتها ، فقال الشيخ بشير : بل نسفوها من أصلها ، قال الامام ، وكان ابن راشد فى نزوى ، ولعله راشد بن النضر ، وهو الواضح قال أبو جعفر : خرج المسلمون بعمان ، فلم يأخذوا الزكاة حتى كانت وقعة المجازة فى شهر رمضان ، أى الوقعة التى كانت بينهم وراشد بن النضر التى انهزم فيها راشد بن النضر وأعوانه من آل الجلندى ، ورأوا بذلك استحلال الجباية ، إذ لا جباية إلا بحماية ، ورأوا أن حمايتهم الآن اتضحت على عمان ، أما قبل ذلك فلا ، لأن راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ومن معهما يسيطرون على عمان ، وبانكاسارهم فى وقعة المجازة رأوا أنهم لا يرجعون الى ظهر ، ولا يؤيدهم أحد لا سيما أن المسلمين كلهم مجتمعون ، وقد هرب راشد بن النضر شاردا من عمان ، وإن أهل عمان قد نسفوا دار راشد ، وبعبارة قد زالت قوته وانكسرت شوكته ، وخرج من عمان خائفا يترقب ، ورجع المسلمون إلى منج ، وخرج منهم من خرج الى موسى بن أبى جابر فى أركى ، وكان مرجع المسلمين ، وكان به علة فحملوه الى معسكرهم بمنج ، فلما وصلوا بموسى وكان معه زميله الشيخ الكبير بشير بن المنذر رحمهما الله وجماعة من أخصيار المسلمين وأعيانهم فى العلم والدين ، واجتمعوا للمشورة فيمن هو الذى يليق تقديمه فى المسلمين ، وتطمئن به النفوس ، ويكون كفؤا للأمر الذى هم بصده ، وكيف يأتون هذا الأمر ، وكانت الآراء تتضارب فى الموضوع ، والخلاف والشقاق مرهوب الجانب والدخول فى الأمر الجلل يحتاج الى نظر طويل ، والقاء الآراء على بساط المجتمع أمر يفكك الحزمة التى عليها أولئك المجتمعون ، ولكن من أنضجته التجارب ودارت عليه الأيام دورات متعددة يفهم من أين تؤكل الكتف .

هنا قال الشيخ موسى بن أبى جابر رحمه الله لمحمد بن المعلى الكندى : قد وليناك صحار وما يليها ، فاكفنا أمرها وولينا فلاناً كذا ، وولينا محمد بن عبد الله بن أبى عفان اليعمدى وادى القرىات وبقية الجوف ، فرضى كل موضعه ، ويسر كل واحد بولايته المشار اليها ، وبذلك فرق الشيخ موسى بن أبى جابر لهؤلاء المتطولين للأمر ، المادين له أعناقهم . وقال موسى لمحمد بن عبد الله : اقطع للناس الشرى ، وكان بشير بن المنذر معهم وهو ساكت ، وقد سمع ما قال موسى وما فعل فقال عند ذلك كنا رجوناك يا أبا على أن تسير بهذه الدولة ، فرددتها الى هؤلاء الذين يخافون على الدولة ، والمعنى سلطهم على الأمر وهم غير مخفى جانبهم . فقال الشيخ المجرب موسى بن أبى جابر : إنما كان نظرى يا أبا الحكم للدولة ، أى ناظر فى صلاحها لا فى غيره ، لأنهم قد اجتمعوا وكل يطلب هذا الأمر لنفسه ، والأمر بعده ضعيف ففرقناهم عن وجوهنا حتى يقوى الأمر ويشتد ساعده ، ونتمكن من نفوذ ما نريد أن ننفذه . قال : فأمر محمد بن عبد الله بن أبى عفان أن يقطع للناس الشرى كقطع ، والمعنى أقام الجند الذى يعتمد عليه للقائم بالأمر ، وكان ذلك هو ما يجرى فى عرفهم مقاطعة العسكر على أجرة معلومة يقبلها الجندى ويلتزم بها المسئول على حسب الاتفاق ، ألا تسمعه يقول : فقطعه حتى قوى أمره ، فلما قوى الأمر أمر موسى بن أبى جابر محمد عبد الله بن أبى عفان ، فأرسل الى القرى الولاية وعزل كل من كان ولاه ، وقامت دولتهم وانه لنظر سديد ورأى رشيد ، بلغ به موسى بن أبى جابر رحمه الله الفضل وظهر به على الدرورة ، وتمكن من ترتيب ما أراد والحمد لله الذى يهدى من شاء للحق بإذنه .

ولولا ذلك الذى صنعه موسى لما تم لهم أمر ولا قامت لهم قناة ،

فإنهم على ظهر شقاق وكل يحاول أن يكون هو وموسى كان يفهم مقاصد القوم ويعلم ما انطوا عليه ، ولما تفرقوا وجمع هو الجيش الذى يعزز الحركة ، ويقيم الأود ، ويرفع العلم رد على الولاة وأخرجهم من ولاياتهم ، وانه يعلم أنهم ليس لهم أن يخالفوا ، ولعلمهم يعتقدون إن عزلوا من هنا يولون من هناك ، فتمسكن نفوسهم الى ذلك ، وقد بلغ ما أراد واستقر الأمر واجتمع المسلمون بعد فرقتهم ، وتشتت شملهم وكان السلطان العام إذ ذاك فى بغداد الخامس من بنى العباس ، وهو الرشيد فانه تولى الأمر بعد وفاة أخيه الهادى ، وذلك فى سنة ١٧٠ سبعين ومائة فى ١٤ ربيع الأول من السنة المذكورة ، وكانت تلك الأحوال المارة كلها فى أيام أبيه المهدي ، وأخيه الهادى ، وعاش الرشيد الى سنة ١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة ، وكان الرشيد وأيامه زهرة الدولة العباسية بكل معنى الكلمة ، ولكل شىء غاية ينتهى اليها ، والدنيا لا تستقر على حال ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وفى ذلك من الحكمة الإلهية مالا يبلغه عقل عاقل مهما بلغ من سعة التفكير وحسن الدراية والله ولى الكل .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	ترجمة مؤلف الكتاب (تمهيد)
٦	من هو مؤلف الكتاب ، أسمه ونسبه
٧	مولده ونشأته ، صفاته وبعض من أخلاقه
٨	أعماله
١٠	مؤلفاته
١٥	مقدمة
٣٧	الحلقة الأولى من تاريخ عمان (في التعريف بعمان)
٥٤	مناخ عمان ، جبال عمان
٥٥	رمال عمان
٥٦	مراعى عمان ، حيوانات عمان
٥٧	الحيوانات الوحشية ، بحر عمان
٥٨	أودية عمان
٦١	الولايات بعمان
٦٢	العواصم بعمان
٦٧	الحلقة الثانية (في الأمم التي قطنت عمان)
	الحلقة الثالثة (في نزول مالك بن فهم بعمان وحروبه للفرس
٧٤	الى انتهاء أمرهم)
٧٨	مالك بن فهم يروم التغلغل في داخلية عمان
٧٩	الفرس يعقدون مؤتمرهم في ذلك
٨٠	مالك بن فهم يتأهب لمصادمة الفرس بعمان
٨٢	المرزبان بيندىء بفتح الحرب

الصفحة	الموضوع
٨٥	الفرس تطلب من مالك بن فهم الهدنة
٨٦	مالك بن فهم يلقي نظرة الى قلعات
٨٨	الملك يجهز قواته لحرب العرب في عمان
٨٩	مالك بن فهم يتأهب لمصادمة العجم مرة أخرى
٩١	الحرب تشتد بين مالك بن فهم والفرس لتنتهي
٩٦	أعمال مالك بن فهم بعد انتهاء الحرب
١٠١	أولاد مالك بن فهم وأعمالهم بعد أبيهم
	الحلقة الرابعة (في بدء الاسلام بعمان الى انقضاء أيام
١٠٥	الخلفاء الأربعة)
١٠٨	مازن يشكو حاله لرسول الله
١١٤	ملك عمان جيفر يعقد مؤتمر للنظر في الدعوة النبوية
١١٧	المنقاش يدور بين عبد وعمرو
	عمرو بن العاص أمير عمان يخرج الى المدينة معبرا عن انقياد
١٢٤	أهل عمان للاسلام
١٣٣	أبو بكر يجهز عبد بن الجلندي ومن معه لحرب آل جفنة
١٣٤	عمان وأبو بكر رحمه الله تعالى طيلة حياته
	الحلقة الخامسة (في فضائل أهل عمان وذكر مشاهيرهم
١٤٢	في صدر الاسلام
١٦٠	أو بكر الصديق وعمان
١٦٥	عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمان
١٦٩	عثمان بن عفان وعمان في عهده
١٧٩	على ابن أبي طالب وعمان
١٨٤	خلافة عبد الملك ابن مروان وعمان

الصفحة	الموضوع
١٩٢	أول عامل للحجاج على عمان
١٩٤	مذهب أهل عمان
٢١٠	سلسلة مذهب أهل عمان
٢٢٢	كلمة اجمالية على أمراء بنى أمية
٢٢٧	عمان تتحضر لتستقل عن الزعامة العامة
٢٢٩	تاريخ البيعة للإمام الجلندي بن مسعود رحمه الله
	التاريخ يحدث عن الإمام الجلندي وأصحابه رحمهم الله
٢٣٣	وعن أعمالهم بعمان
٢٣٧	الجلندي ينظم شراة
٢٤١	الإمام الجلندي يقتل أبناء عمه في الله
٢٤٣	المسلمون يشتدون على الإمام الجلندي
٢٤٥	مقتل أبي الدلف شيبان بن عبد العزيز اليشكري بعمان
٢٥٠	منتهى أمر الإمام الجلندي وأصحابه بعد قتل شيبان
٢٥٨	آل الجلندي يعلنون الطاعة لخازم
٢٦٣	شبيب بن عطية العماني المحتسب

حقوق الطبع محفوظة لدى
وزارة التراث القومي والثقافة
ص.ب : ٦٦٨ - الرمز البريدي : ١١٣ مسقط
سلطنة عُمان

رقم الإيداع : ١٦٠ / ٩٢